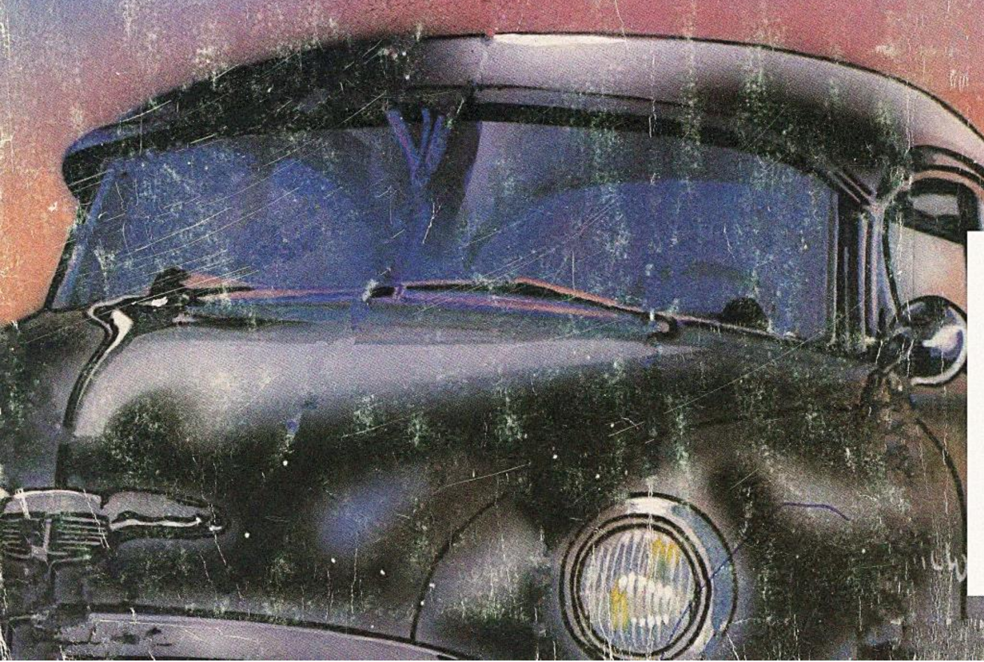
أجاثا كريستي

٧

اختطاف رئيس الوزراء



اجاثا كريستي

اختطاف رئيس الوزراء

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف إخوان

إسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

غلاف واشراف فنى :
ايهاب التركى
إخراج فنى :
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

الفصل الأول

مغامرة " نجمة الغرب "

همست أقول فجأة وأنا واقف أمام النافذة بمسكن بوارو أطل على الشارع :

- هذا غريب .

فسألني بوارو فى هدوء وهو جالس فى مقعده الوثير :

- ما الخبر ؟

- لك أن تستنتج ماهنالك من الحقائق التالية .. هناك فتاة شابة ترتدى ثيابا ثمينة وقبعة غالية ومعطفا من الفرو تسير فى بطء وترنو الى البيوت وهى تتقدم فى طريقها ، ويسير خلفها ، من غير أن تدرى ، ثلاثة رجال وامرأة متوسطة العمر ، وقد انضم اليهم الآن بالذات غلام راح يشير اليها باصبعه ، فأى مأساة هذه التى تدور أمامنا ؟ .. هل الفتاة لصة ؟ .. وهل الذين يتبعونها من رجال البوليس يتأهبون للقبض عليها متلبسة بالجريمة .. ؟ أم تراهم هم اللصوص ، يتآمرون للأعتداء على المرأة البريئة .. ؟ مارأى المخبر الكبير ؟ .

- أن المخبر الكبير يختار اسهل الحلول كما يفعل دائما ياصديقى .. انه يقوم لكى يرى الامر بنفسه .

وأشفع صديقى القول بالعمل فلحق بى أمام النافذة ، وماهى الا دقيقة حتى راح يضحك فى مرح وقال :

- أنك تشوه الحقائق بخيالك الخصب كعادتك دائما .. هذه هى مس مارفل ، نجمة السينما المشهورة ، والذين يتبعونها انما هم جماعة من المعجبين عرفوا شخصيتها ..

وبهذه المناسبة أقول لك ياعزيزى هاستنجز أنها تعرف أمرهم .

ضحكت وقلت :- وضح كل شيء اذن . ولكنك لاتستحق أى ثناء على هذا فأنت قد عرفتها .

- هذا صحيح ! .. ولكن كم مرة رأيت أنت مارى مارفل فى السينما ياصديقى ؟

قلت بعد تفكير :- نحو اثنتى عشرة مرة .

- أما أنا فرأيتها مرة واحدة .. ومع ذلك فقد عرفتها على الفور .

فقلت فى ضعف :- انها تبدو مختلفة كثيرا .

فصاح بوارو :- عجبا لك ! أكنت تريد أن تراها تسير فى شوارع لندن وهى تضع على رأسها قبعة عريضة من قبعات رعاة البقر أو وهى حافية القدمين وعلى رأسها باروكة تجعلها تبدو كاحدى الفتيات الايرلنديات !.. إنك لاتهتم بالجوهر أبدا . ولعلك تذكر قصة الراقصة فاليريا سانتكلير ؟

هززت كتفى فى شيء من الضيق فقال بوارو يطيب من خاطرى :

- ولكن لابأس ياصديقى .. فلا يمكن لاى شخص أن يكون مثل هرقل بوارو ، وأنا أعرف ذلك جيدا .

فصحت موزعا بين الضيق والطرب :- الحق أننى لا أعرف أحدا شديد الفخر بنفسه مثلك .

- ماذا تريد ؟ .. حين يكون المرء عبقريا وفريدا فى نوعه فأنه يعرف ذلك .. بل يشاركه الآخرون رأيه ، بما فى ذلك ، إذا لم أخطئ ، مس مارى مارفل .

- ماذا ؟

- انها قادمة لرؤيتى من غير أى شك .

- وماالذى يحملك على هذا القول ؟

- ان الامر بسيط . ان هذا الشارع ليس من الشوارع الارستقراطية ياصديقى

ولايقيم فيه أى جراح أو طبيب ، وليس فيه أى محل من محلات الازياء . ولكن يقيم فيه مخبر سرى مشهور .. نعم ياصديقى .. هذا صحيح .. اننى أصبحت مشهورا .. البعض يقول للآخر .. كيف هذا ؟ .. هل فقدت قلمك الحبر الذهب ؟ .. اذهب اذن الى ذلك البلچيكى الصغير .. انه مدهش جدا .. ان الجميع يقصدونه فأسرع إليه .. وهم يأتوننى جماعات ياصديقى بمشاكل أشد ماتكون من السخافة والحماقة .

ودق الجرس فى هذه اللحظة فاستطرد يقول :- ألم أقل لك .. هى مس مارفل !

وكان بوارو على حق كعادته . وبعد برهة قصيرة دخلت النجمة الامريكية ، ونهضنا واقفين نحييها .

كانت مارى مارفل ، بدون منازع ، إحدى شهيرات ممثلات السينما . وكانت قد قدمت إلى انجلترا أخيرا برفقة زوجها جريجورى ب . رولف ، وهو نجم سينمائى هو الآخر .. وقد تم زواجهما منذ عام فى الولايات المتحدة . وكانت هذه هى أول زيارة لهما لانجلترا ، وقد أقيمت لهما حفلة استقبال . وانبهر كل الذين شاهدوا مارى مارفل وثيابها الانيقة وفراءها ومجوهراتها ، خاصة تلك الماسة الكبيرة المعروفة باسم " نجمة الغرب " ، وذلك نسبة الى صاحبتها . وقد أفاضت الصحف فى الكتابة عن هذا الحجر الشهير ، وبعض ما كتبته حقيقى ، والبعض الآخر يبعد عن الواقع ولكن الامر المؤكد الثابت هو أن هذه الماسة مؤمن عليها بمبلغ خمسين ألف دولار .

مرت كل هذه التفاصيل بذهنى سراعا وأنا أنضم الى بوارو لتحية عميلتنا الجميلة.

كانت مس مارفل نحيلة العود ، صغيرة ، ذات قسط وافر من الجمال ، تبدو كالطفلة بعينيها الواسعتين البريئتين .

جذب بوارو مقعدا قدمه اليها فجلست وبدأت الحديث قائلة :

- من المحتمل يامسيو بوارو أن تظن أننى حمقاء ، ولكن اللورد كرونشو ذكر لى الليلة الماضية الطريقة البارعة التى جلوت بها سرموت ابن أخيه ، وأحسست أنه يجب

أن أستشيرك . وقد يكون الأمر مجرد خدعة سخيفة .. وهذا رأى جريج أيضا .. ومع ذلك فان هذا الأمر يثير جزعى الى حد كبير .

وتوقفت لتسترد نفسها .. وابتسم بوارو مشجعا وقال :

- استمرى ياسيدتى ، فأننى مازلت فى الظلام كما تعلمين .

- انها هذه الرسائل !

وفتحت مس مارفل حقيبتها وأخرجت منها ثلاث رسائل قدمتها لبوارو ، ففحصها هذا الأخير فحصا دقيقا ثم قال :

- ورق رخيص ...الاسم والعنوان مطبوعان فى عناية كبيرة .. . لنقرأ مضمونها الآن .

وبدأ يفحص احدى الرسائل . وأسرعت فدنوت منه ، وانحنيت فوق كتفه . كانت عبارة عن جملة واحدة مطبوعة فى وضوح تام كالظرف تماما . وهذا نصها :

" يجب أن تعود الماسة الكبيرة التى هى عين الرب اليسرى الى المكان الذى جاءت منه " .

وكانت الرسالة الثانية صورة طبق الاصل من الاولى ، ولكن الرسالة الثالثة كانت أكثر وضوحا فقد كان هذا نصها :

" أننا حذرناك ولكنك لم تستمعى الى نصحنا ، ولهذا سنأخذ الماسة منك . عند اكتمال القمر ستعود الماستان اللتان هما عينا الرب اليمنى واليسرى كما هو مكتوب".

وقالت مس مارفل :- اعتبرت الرسالة الاولى مزحة ، ولكن حين جاءتنى الرسالة الثانية بدأت أعجب . وجاءت الثالثة أمس فبدا لى عندئذ أن الامر قد يكون أكثر خطورة مما تصورت .

- أرى أن هذه الرسائل لم تأت بالبريد .

- كلا انها سلمت لى باليد .. جاءنى بها رجل صينى ، وهو الامر الذى افزعنى .

- لماذا ؟

- لأن جريج اشترى تلك الماسة منذ ثلاثة أعوام من رجل صينى بسان فرنسيسكو .

- أرى ياسيدتى أنك تعتقدين أن الماسة التى يتكلمون عنها هى ..

قالت مس مارفل تكمل حديثه :- هى " نجمة الغرب " .. هو ذلك .. ويعتقد جريج أن هناك قصة ترتبط بها .. ولكن الصينى الذى باعه أياها لم يشأ أن يذكر له أى شىء عنها . ويقول جريج أن الرجل كان يبدو عليه الذعر الشديد كما لو أن الموت كان يلاحقه ، وأنه كان شديد اللهفة للتخلص منها . وقد طلب مايوازى عشر ثمنها فقط ، وكانت هدية جريج لى بمناسبة الزواج .

هز بوارو رأسه مفكرا ، وقال :- هذه القصة تبدو خيالية بعيدة التصديق .. ومع ذلك فمن يدرى .. هلا تكرمت ياهاستنجز وأعطيتنى التقويم الصغير ؟

أجبته الى طلبه ، وقال وهو يقلب صفحاته :- دعنا نرى .. متى يكتمل القمر؟.. آه ! .. يوم الجمعة المقبل أى بعد ثلاثة أيام .. حسنا ياسيدتى .. انك تطلبين مشورتى وأننى لازجيها لك .. قد تكون هذه القصة الجميلة مجرد خدعة .. وقد تكون غير ذلك.. ومع ذلك فأننى أنصحك بأن تتركى هذه الماسة فى عهدتى حتى بعد يوم الجمعة المقبل ونستطيع أن نتخذ مانشاء من خطوات .

مرت سحابة أمام عينى الممثلة وقالت فى ارتباك :

- أخشى اننى لن استطيع ذلك .

فسألها بوارو وهو ينظر اليها مليا :- انها معك الآن .. أليس كذلك ؟

ترددت المرأة الشابة لحظة ثم دست يدها فى صدرها وأخرجتها وبها سلسلة طويلة رفيعة وأنحنت الى الامام وهى تفتح يدها فاذا فى راحتها حجر كبير من اللهب الأبيض مثبت فى اطار من البلاتين يتألق أمام أعيننا ويرسل بريقه فى عظمة وجلال .

أطلق بوارو صيحة خافتة طويلة تدل على الاعجاب وتمتم يقول :- رائع .. هل

تسمحين يا آنسة ؟ ..

وأخذ الماسة في يده وفحصها في عناية كبيرة ثم أعادها الى صاحبتها وهو ينحني انحناءه قصيرة وقال :

- أنها ماسة رائعة .. ليس فيها أى صدع أو عيب .. آه ! ..ولكن ياللسموات !! وتحملينها معك هكذا بكل بساطة .

- كلا ، كلا . انني في الواقع شديدة الحرص يامسيو بوارو . انني احتفظ بها في صندوق مجوهراتي في العادة واترك الصندوق في خزانة الفندق ، فأننا نقيم في "الفندق الكبير" . ولكني أحضرتها معي اليوم لكي أريها لك .

- وستتركينها معي ، أليس كذلك ؟ .. ستسمعين نصيحة بابا بوارو ؟

- حسنا .. أصارحك القول يامسيو بوارو اننا سنذهب يوم الجمعة القادم الى قصر ياردلي تشيز ، وسنمضي هناك بضعة أيام مع اللورد ياردلي وزوجته .

أيقظت كلماتها صدى مبهما لذكرياتي .. فقد راجت الشائعات ، منذ سنوات ، ولاادرى شأنها الآن ، على أن اللورد ياردلي وزوجته قد انتقلا الى الولايات المتحدة بقصد الزيارة وأن فخامته أسرف في الانفاق على صديقة له هناك . ولكن كان هناك شئ آخر غير هذا بكل تأكيد .. اشاعة أخرى ربطت بين اسم الليدى ياردلي ونجم سينمائي من نجوم كاليفورنيا .. عجبا ! .. لقد عاد كل شئ الى ذهني بسرعة البرق.. لم يكن ذلك النجم غير جريجورى ب . رولف طبعا !

واستطردت مس مارفل تقول :- سأطلعك على سر صغير يامسيو بوارو .. اننا عقدنا صفقة مع اللورد ياردلي .. فهناك فرصة في أن نقوم بتصوير فيلم تدور أحداثه في أراضيه التاريخية .

صحت أقول في اهتمام :- في ياردلي تشيز ! .. انه يعتبر من أفخم القصور في انجلترا باسرها .

هزت مس مارفل رأسها وقالت :- أظن أنه أجمل القصور الاقطاعية كلها حقا ولكن اللورد ياردلى يطلب مبلغا جسيما نظير ذلك ، ولاادرى هل تتم الصفقة أم لا . ولكننا نحب دائما ، أنا وجريج ، أن نربط بين اللهو والعمل .

- ولكن .. التمس المعذرة لغبائى ياسيدتى .. من الممكن زيارة ياردلى تشيز من غير أن تأخذى الماسة معك طبعا .

بدت فى عينى مس مارفل نظرة صارمة قاسية تناقضت مع بريقهما الصبيانى ، وبدت فجأة أكبر سنا مما هى فى الواقع وقالت :

- أننى أريد أن ألبسها هناك .

وقلت فجأة :- طبعا .. فهناك بعض المجوهرات المشهورة فى قصر ياردلى ، ومن بينها ماسة كبيرة ..

وقالت مس مارفل فى ايجاز :- هو ذلك .

وسمعت بوارو يهمس قائلاً :- آه .. أذن فالامر كذلك .

ثم اردف يقول بصوت مسموع وهو يضرب الحديد بالنار فى اللحظة المناسبة كعادته دائما ، وهو يدعو هذه الطريقة من أصول علم النفس الحديث :

- اذن فأنت قد تعرفت بالليدى ياردلى .. أو لعل زوجك هو الذى تعرف بها ؟

فقالت مس مارفل :- ان جريج تعرف بها حين كانت فى أمريكا منذ ثلاث سنوات.

وترددت لحظة ثم أردفت تقول فجأة :- هل قرأ أحدكما " أخبار المجتمع " ؟

اعترف كل منا بأنه لم يفعل فقالت :- أننى أسألكما ذلك لان فى العدد الذى صدر هذا الاسبوع نبذة عن أشهر المجوهرات فى العالم ، والواقع أن الامر غريب حقا .

نهضت ومضيت الى المكتب فى الناحية الأخرى من الغرفة وعدت ومعى الجريدة المذكورة فأخذتها منى وبحثت عن المقال وراحت تقرأ بصوت مرتفع :

" وبين الاحجار الاخرى المشهورة يمكن أن نضم ماسة نجمة الشرق وتملكها أسرة

ياردلى . وقد جاء بها أحد أجداد اللورد ياردلى الحالى عند عودته من الصين . وترتبط بها قصة رومانتيكية تقول أن هذه الماسة أن هى الا العين اليمنى لاحد أرباب المعابد ، وأن هناك ماسة أخرى تشبهها فى الحجم والشكل يقال انها العين اليسرى لنفس الرب المذكور ، وأن هذه الماسة سوف تسرق هى الاخرى فى يوم من الأيام فتذهب عين إلى الغرب وتذهب الأخرى الى الشرق : وانهما سوف يلتقيان بعد ذلك من جديد ثم تعودان بنصر كبير الى الرب . وان من المصادفات العجيبة أن تكون هناك فى الوقت الحالى ماسة تشبه هذه الماسة كل الشبه ، فى الوصف وفى الحجم تعرف باسم نجمة الغرب ، وهى ملك لنجمة السينما المشهورة مس مارى مارفل . وأن المطابقة بين الماستين لتكون أمرا مثيرا " .

وأمسكت عن القراءة فتمتم بوارو يقول :

- مدهش ! .. انها قصة خيالية من الدرجة الاولى بدون أى شك .

وتحول الى مارى مارفل واستطرد :- أو لست خائفة ياسيدتى .. ؟ ألا تؤمنين بالخرافات والأوهام .. ؟ ألا تخافين الجمع بين هاتين الماستين التوأم خشية أن يظهر أحد الصينيين فيسرقهما ويعود بهما الى الصين ثانية .

كانت لهجته ساخرة ، ولكن بدا لى أن تحت لهجته هذه تكمن نبرة من الجد والخطورة ، وقالت مس مارفل :

- اننى لاأعتقد ان ماسة الليدى ياردلى تشبه ماستى فى أى شئ ، ومهما يكن من أمر فاننى سأتأكد من ذلك .

ولاادرى ماذا كان بوارو ينوى أن يقول لان الباب فتح فى هذه اللحظة ، ودخل شاب وسيم الغرفة . كان يبدو من قمة رأسه التى يغطيها الشعر الاسمر المجعد حتى أخمص قدميه انه ولد ليكون بطلا من أبطال القصص الغرامية الخيالية .

وقال جريجورى رولف :- قلت اننى سآتى للقائك يامارى وهأنذا . مارأى مسيو

بوارو فى معضلتنا الصغيرة ؟ .. اليس من رأيه أنها خدعة كبيرة كما أقول أنا ؟

نظر بوارو الى النجم الكبير مبتسما .. كان هناك تناقض مضحك بين الرجلين . وقال فى صوت جاف :

- سواء أكانت مزحة أم لا فاننى نصحت زوجتك يامستر رولف أن لاتأخذ الماسة معها الى قصر ياردلى يوم الجمعة ؟

- اننى معك فى هذا الرأى ياسيدى . وقد سبق ان قلت هذا لمارى ، ولكن ماالعمل؟ .. انها امرأة بكل مافى هذه الكلمة من معنى وأظن أنها لاتحتمل فكرة أن امرأة أخرى غيرها يمكن أن تتفوق عليها من ناحية المجوهرات .

فقالت مارى مارفل فى حدة :- ماهذا السخف ياجريجورى ؟

وأحمر وجهها غضباً . وهز بوارو كتفيه وقال :

- أننى قدمت لك مشورتى ياسيدتى . ولاأستطيع أن أفعل أكثر من هذا .

وشيعهما حتى الباب وتمتم يقول حين عاد :- ها .. ها .. ماأغرب النساء ! .. وياللزوج الطيب ! ..انه ذكر لها رأيه ، وهو رأى صائب ولكنه لم يكن لبقاً مع ذلك .. كلا بالطبع .

ورويت له ذكرياتى المبهمة فهز رأسه فى قوة وقال : هذا ماظننت . ومهما يكن من أمر فهناك شئ غريب فى هذه المسألة كلها .. التمس معذرتك ياصديقى فأنا خارج لأتمشى قليلا ولن أغيب كثيرا ارجو أن تنتظرنى .

وكنت قد غفوت نصف اغفاءة حين طرقت صاحبة البيت الباب وأطلت برأسها قائلة:- سيدة أخرى تريد أن ترى مسيو بوارو . قلت لها انه غير موجود ولكنها قالت انها ستنتظر عودته لانها قدمت من الريف .

- أوه .. دعيها تدخل يامسز مورشيزون ، فربما أستطيع أن اؤدى لها خدمة ما .

وفى اللحظة التالية دخلت السيدة ، وركض قلبى بين ضلوعى حين وقع عليها بصرى ،

فلم تكن غير الليدى ياردلى ، وكنت قد رأيت صورتها مرارا فى الجرائد ، فى أخبار المجتمع . وقد عرفتها على الفور ، وقلت وأنا أقدم لها مقعدا :

- تفضلى ياليدى ياردلى . لقد خرج صديقى بوارو ولكنى أعلم أنه سيعود بعد قليل .

شكرتنى وجلست . كانت على النقيض من مس مارفل ، فقد كانت طويلة القامة ، سمراء ، متألقة العينين ، ذات وجه شاحب تتجلى فيه سمات الكبرياء ، ولكن كان فى ثنايا شفتيها سمة من الحزن .

وتملكتنى الرغبة فى أن أنتهز الفرصة .. ولم لا ؟ .. فقد كنت أحس فى حضور بوارو بحرج كبير وأشعر بأننى لست فى أحسن حالاتى ، ومع ذلك فلم يكن هناك أدنى شك فى أننى أملك ، أنا الآخر ، ميزة الاستنتاج الى درجة كبيرة . وانحنيت الى الامام بدافع فجائى وقلت :

- ليدى ياردلى .. اننى أعرف لماذا أتيت .. لقد جاءتك رسائل تهديد بخصوص الماسة .

لم يكن هناك أى ريب فى أن سهمى قد أصاب ، فقد فغرت فاها وحدقت فى وقد غاص اللون من وجنتيها وصاحت :

- أتعرف .. وكيف هذا ..

ابتسمت وقلت :- باستنتاج منطقى سليم ، فاذا كانت مس مارفل قد وصلتها خطابات تهديد ..

- مس مارفل ؟ .. هل كانت هنا ؟

- أنها انصرفت منذ لحظات ، وكما قلت الآن ، اذا كانت ، بصفتها صاحبة احدى الماستين جاءتها رسائل تهديد غامضة ، فلابد أنك أنت ، بصفتك صاحبة الماسة الثانية قد جاءتك رسائل من نفس النوع .أرأيت كم يبدو الامر بسيطا .فهل أنا على صواب؟

وهل جاءتك أنت أيضا مثل تلك الرسائل ؟

ترددت لحظة كما لو كانت لا تدرى هل توليني ثقتها أم لا . وأخيرا أحنت رأسها بالايجاب وهى تبتسم ابتسامة خفيفة وقالت :

- هو ذلك .

- وهل جاءتك رسائل أنت أيضا .. عن طريق رجل صينى ؟.

- كلا ، بل جاءتنى بالبريد . ولكن صارحنى القول .. هل اجتازت مس مارفل نفس المحنة هى الأخرى ؟.

سردت عليها أحداث الصباح . وأصغت إلى فى اهتمام ثم قالت :

- كل هذا يرتبط بعضه ببعض . فرسائلى صورة طبق الأصل من رسائلها .. صحيح أنها جاءتنى بالبريد ولكن تفوح رائحة غريبة منها .. رائحة غريبة تعيد الى ذهنى سحر الشرق .. فما معنى كل هذا ؟

هززت رأسى وأجبت :- هذا هو مايجب أن نهتدى اليه . هل الرسائل معك ؟ .. قد نستطيع أن نهتدى الى شئ عن طريق خاتم البريد .

- أننى ، أعدمتها لسوء الحظ ، فقد ظننت فى بادئ الامر أنها مزحة سمجة ، فلم يكن من المعقول أن تحاول احدى العصابات الصينية استرداد هاتين الماستين حقا .. أن ذلك غير معقول .

ودرسنا الحقائق مرة أخرى ، ولكننا لم نستطع التقدم خطوة واحدة نحو استجلاء السر ، وأخيرا نهضت الليدى ياردلى وقالت :

- لاأظن أننى سأنتظر عودة بوارو أكثر من ذلك . يمكنك أن تذكر له كل شئ على كل حال .. أشكرك يامستر ..

وترددت وهى تبسط يدها فقلت :- كابتن هاستنجز . طبعا .. ماأغبانى حقا ! .. أنت صديق آل كافنديس ، أليس كذلك ؟ .. ومارى كافنديس هى التى أرسلتنى لمقابلة

مسيو بوارو .

وعندما عاد صديقى استمتعت بأن رويت له ماحدث أثناء غيبته ، واستجوبنى مرارا ، وفى شئ من الاستيضاح عن كل مادار بيننا من حديث واستطعت أن أدرك أنه استاء لمجئ الليدى ياردلى أثناء غيابه ، كما أدركت أن الرجل العجوز أحس بشئ من الغيرة ، فقد أعتاد على أن يبخسنى مواهبى دائما ، وأظن أنه ساءه أن لايجد منفذا لانتقاداته . وكنت والحق يقال مسرورا من نفسى وان كنت قد حاولت أخفاء هذه الحقيقة أشفاقا من أن أثير غضبه فاننى كنت شديد التعلق بهذا الصديق الغريب الاطوار على الرغم من حساسيته المفرطة . وقال أخيرا وقد ارتسمت على ملامحه ابتسامة غريبة .

- حسنا .. ان المؤامرة تنمو وتزداد وضوحا .. أرجو أن تناولنى دليل النبلاء من فوق هذا الرف .

وأخذ يقلب صفحاته ثم استطرد :- آه .. هاهو اسم ياردلى .. انه الفيكونت العاشر الذى يحمل هذا الاسم .. خدم فى حرب جنوب افريقيا .. ولكن كل هذا لاأهمية له .. وتزوج فى مارس سنة ١٩٠٧ بالشريفة مود ستوبرتون ، الابنة الرابعة للبارون كوتريل الثالث .. حسنا .. حسنا .. له ابنتان ، ولدت الاولى فى سنة ١٩٠٨ ، والثانية فى سنة ١٩١٠ .. الاندية التى ينتمى اليها .. وقصوره .. كل ذلك لايساعدنا فى شئ . ولكننا سنرى هذا اللورد غدا صباحا .

- ماذا ؟

- نعم ، فقد أبرقت إليه .

- ظننت أنك نفضت يدك من هذه القضية .

- أننى لاأعمل لحساب مس مارفل مادامت قد رفضت اتباع مشورتى .. وان ماأقوم به الآن انما أقوم به ارضاء لى أنا .. هرقل بوارو .. فقد صحت نيتى على أن أدس أنفى فى هذه القضية .

- وهل أبرقت الى اللورد ياردلى فى هدوء لكى يأتى الى المدينة ارضاء لنزوتك هذه ؟ .. لن يروق له هذا .

- بل على العكس .. سيكون ممتنا لنا اذا أحتفظنا له بماسته العائلية .

فسألته فى لهفة :- اذن فأنت تظن حقا أن هناك احتمالا فى أن تسرق

أجاب بوارو فى برود :- بل اننى أكاد أجزم بذلك فكل شئ يشير الى هذا الاحتمال .

- ولكن كيف ؟ ..

أوقف بوارو أسئلتى المتدفقة بحركة مرحة من يده وقال :- ليس الآن .. أرجوك .. لاتدعنا نشوش أفكارنا .. وانظر الى هذا الدليل ، ألا ترى كيف وضعته ؟ .. أن المجلدات الطويلة مرصوصة فى الرف العلوى ، والاصغر حجما فى الرف الذى يليه ، وهكذا .. وبهذا نطبق النظام والتنسيق كما قلت لك مرارا ياهستنجز .

فقلت :- هذا صحيح .

ثم أعدت وضع الكتاب المذكور فى مكانه المناسب .

* * *

كان اللورد ياردلى رجلا رياضيا ذا صوت رنان ووجه أحمر ، وقد بدا لى رقيق الحاشية لايتمتع بأى ذرة من الذكاء . وقال :

- هذه قصة غريبة يامسيو بوارو أرانى عاجزا عن فهمها . يبدو أن زوجتى جاءتها رسائل غريبة وكذلك مس مارفل .. فما معنى هذا ؟

ناوله بوارو جريدة " أخبار المجتمع " وقال :- أول كل شئ ياسيدى هو أننى أريد أن أسأل هل هذه الوقائع صحيحة ؟

أخذ النبيل الجريدة وتجهمت أساريره غضبا وهو يقرأ ثم قال :- سخف وأى سخف! .. ليست هناك أى قصة خيالية تتعلق بهذه الماسة وأعتقد أنها جاءت من الهند مباشرة

فى بادئ الامر ولم أسمع أبدا عن هاتين الماستين الصينيتين .

– ومع ذلك فان ماستك معروفة باسم " نجمة الشرق " .

فقال اللورد محنقا :– وماذا لو كان الامر كذلك ؟

– ان ماأريد أن أطلبه منك ياسيدى اللورد هو أن تكل لى كل شئ ، فاذا فعلت ذلك بدون أى تحفظ فان أملى كبير فى أن أتجنب الكارثة .

– اذن فأنت تظن ان هناك شيئا وراء هذه القصة ؟

– هل تفعل ماأقول لك ؟

– طبعا . ولكن ..

– حسنا . اسمح لى أولا أن ألقى عليك بضعة أسئلة . هل أستقر الرأى بينك وبين مستر رولف على التقاط مناظر فيلمه القادم فى أملاك تشيز ؟

– أوه .. هل أخبرك بذلك ؟ .. كلا . لم يستقر الرأى بيننا على شئ بعد ..

وتردد ، وأزداد اضطرام وجهه الاحمر واستطرد : يمكننى أن أوضح لك الامر على كل حال .. اننى كنت شديد الغباء فى كثير من الأمور يا مسيو بوارو وأنا غارق فى الديون الآن .. ولكنى أريد أن أسوى أمورى وأن أتمكن من العيش فى القصر القديم موفور الكرامة ، وجريجورى رولف يعرض على مبلغا كبيرا من المال يكفى لان أعيد نصاب حياتى ولكنى لاأميل الى ذلك .. فأننى أمقت مجرد فكرة تجمع كل هذا الحشد فى أراضى تشيز .. بيد أنى قد أضطر الى ذلك مالم ..

وأمسك عن الكلام .

نظر بوارو اليه فى حدة وقال :– اليك فكرة أخرى اذن .. دعنى أخمن .. هل تفكر فى أن تبيع " نجمة الشرق " .

أومأ اللورد ياردلى برأسه وأجاب :– هو ذلك . ان هذه الماسة من ممتلكات الأسرة منذ أجيال ولكنها ليست ميراثا موقوفا على أحد . ومع ذلك فان من العسير أن تجد

مشتريا لها وقد كلفت هوفبرج ، جواهرجى شارع هاتون جاردن بأن يبحث لى عن مشتر ولكن عليه أن يجد ذلك المشترى فى أسرع وقت والا وقعت الكارثة المحققة .

- هل تسمح لى بسؤال آخر .. هل تحبذ الليدى ياردلى ذلك ؟

- أوه .. أنها تعترض على بيع الماسة كل الاعتراض .. ولكنك تعرف النساء طبعا انها تحبذ ذلك العمل السينمائى .

قال بوارو :- اننى أفهم .

وبقى لحظة يفكر ثم نهض فجأة واقفا وقال :- هل تعود الآن الى قصر ياردلى ؟.. حسنا .. لاتقل كلمة لاحد .. لاى أحد .. انتظر زيارتنا مساء اليوم سنأتى بعد الخامسة بقليل .

- حسنا .. ولكنى لاأرى ..

فقاطعه بوارو فى رقة :- لاأهمية لهذا .. انك تريد أن أحتفظ لك بالماسة ، أليس كذلك ؟

- نعم .. ولكن .

- أفعل ماأقول لك أذن .

وغادر النبيل الغرفة وهو حائر لايدرى ماذا يقول ؟

* * *

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف حين وصلنا الى قصر ياردلى تشيز ، وتبعنا الساقى المبجل حتى آخر طرقة مكسوة جدرانها بألواح الخشب المشغول ، تتوسطها مدفأة تتوهج بها قطع الحطب . ووقعت عيناى على لوحة جميلة .. صورة الليدى ياردلى وطفلتيها ، وقد انحنت الام فى زهو وفخار فوق ابنتيها ، وكان اللورد ياردلى يقف بجوارهم وهو يبتسم .

وقال الساقى يعلن قدومنا : مسيو بوارو وكابتن هاستنجز .

نظرت الليدى ياردلى الينا وقد أجفلت فجأة ، وتقدم زوجها منا فى ارتباك ، وعيناه تبحثان عن سبب قدوم بوارو ، ولكن الرجل العجوز كان رزينا بقدر ماتستدعيه المناسبة فقال :

- أرجو أن تلتمس لى العذر فما زلت أتحرى قضية مس مارفل ، انها جاءتكم يوم الجمعة الماضى ، أليس كذلك " .. رأيت أن أقوم بجولة أولا لكى أتأكد من أن كل ماقالته لى صحيح ، كما أننى رأيت أن أسأل الليدى اذا كانت تذكر شيئا مايتعلق بخاتم البريد على الرسائل التى تسلمتها .

هزت الليدى ياردلى رأسها فى أسف وقالت :- أخشى أننى لم ألحظ ذلك . هذا غباء منى ، ولكن لم يخطر لى أن أنظر اليها نظرة جدية .

وقال اللورد ياردلى :- هل تبيتان الليلة ؟

- ولكنى أخشى أن نتسبب فى مضايقتكما أيها اللورد .. أننا تركنا حقائبنا فى الحانة .

ولكن اللورد ياردلى قال فى إصرار :- حسنا .

سنبعث لاحضارها .. كلا ، كلا .. أنكما لاتسببان لنا أى مضايقة .

لم يعترض بوارو ، وجلس بجوار الليدى ياردلى وأخذ يداعب الطفلتين . وما هى الا لحظات قصار حتى راح الجميع يمرحون ويلعبون معا ، وأشركونى معهم .

وقال بوارو وهو ينحنى انحناءة قصيرة بعد أن أقبلت مشرفة صارمة الوجه ، وأخذت الطفلتين وهما تتمنعان .

- أنت أم طيبة .

مرت الليدى ياردلى بيدها على شعرها المجعد وقالت وفى صوتها رنة من الحنان :

- اننى أعبدهما .

وقال بوارو وهو ينحنى مرة أخرى :- وهما أيضا تعبدانك .

ودق الجرس ايذانا بارتداء الثياب للعشاء ، فنهضنا لكى نصعد الى غرفتنا ، وفى هذه اللحظة دخل الساقى وفى يده طبق فوقه برقية ناولها للورد ، فضها هذا الاخير وهو ينطق بكلمة اعتذار مقتضبة ، وقست ملامح وجهه وهو يقرأها ، ثم ناولها لزوجته وهو يتنهد وقال يخاطب بوارو :

- لحظة واحدة يامسيو بوارو .. أشعر أنه يجب أن تعرف مضمون هذه البرقية . انها من هوفبرج . يقول أنه يعتقد انه عثر على مشتر لماستى .. امريكى مسافر الى الولايات المتحدة غدا . سيرسل الى الليلة رجلا لكى يفحص الماسة . ياالهى ! .. لو عرف الامر ..

وماتت الكلمات بين شفتيه .

وكانت الليدى ياردلى قد ابتعدت قليلا وهى ممسكة بالبرقية وهمست تقول :

- أرجو ألا تبيعها ياجورج ، فهى ملك للأسرة منذ وقت طويل .

وانتظرت أن تتلقى ردا ولكنها عندما لم تسمع شيئا قست ملامحها وهزت كتفيها قائلة :

- يجب أن أذهب لاستبدال ثيابى ، وأظن أن من الاوفق أن أعرض " البضاعة " .

وتحولت الى بوارو وهى تبتسم ابتسامة خفيفة وقالت :- انها أبشع القلادات التى صممت حتى الآن ، وقد وعدنى جورج دائما بأن يعيد تصميمها من جديد ولكنه لم يوف بوعده أبدا .

ثم غادرت الغرفة .

وبعد نصف ساعة كنا نجلس نحن الثلاثة فى غرفة الاستقبال الكبيرة فى انتظار قدوم الليدى . وكان ذلك قبل موعد طعام العشاء ببضع دقائق .

وفجأة تناهى الى أسماعنا صوت خفيف خافت ، ولم تلبث الليدى ياردلى أن ظهرت فى اطار الباب . كانت متألقة الوجه ترتدى ثوبا طويلا فاتنا أبيض اللون ،

وحول جيدها يبرق نهير من النار ، ووقفت مكانها واحدى يديها تتحسس القلادة ، وقالت فى مرح :

- هاهو ذا القربان .

وبدا أن استياءها قد تبخر وتلاشى واستطردت تقول : انتظروا ريثما أضئ النور فترى اعينكم أبشع قلادة فى انجلترا .

كانت مفاتيح النور خارج الباب مباشرة . والشئ الوحيد الذى حدث ويصعب تصديقه هو أنها ماكادت تمد يدها حتى انطفأ النور فجأة وبدون سابق أنذار ، وانصفق الباب وتناهى الى سمعنا من الناحية الأخرى صرخة كبيرة حادة أطلقتها امرأة .

وصاح اللورد ياردلى :- ياالهى ! .. هذا صوت مود ! .. ماالذى حدث ؟ اندفعنا فى الظلام نتحسس طريقنا كما يفعل الاعمى ، ومرت بنا بضع دقائق قبل ان نهتدى الى الباب ، وبالهول المنظر الذى وقعت عليه أبصارنا ، فقد تمددت الليدى ياردلى على الارضية الرخامية فاقدة الوعى وحول عنقها الابيض ، حيث انتزعت القلادة ، علامة حمراء .

أما القلادة نفسها فقد اختفت .

وفيما نحن ننحنى فوقها مذهولين نتساءل ان كانت قد ماتت أو مازالت على قيد الحياة انفرج جفناها وهمست تقول فى مشقة :

- الرجل الصينى ! .. الرجل الصينى ! .. الباب الجانبى !

قفز اللورد ورافقته وقلبى يدق بعنف .. الرجل الصينى ثانية ! .. كان الباب الجانبى المقصود بابا صغيرا فى آخر الحائط لايبعد بأكثر من اثنتى عشرة ياردة من مسرح الفاجعة . وما ان دنونا منه حتى اطلقت صرخة ، فقد كانت القلادة تبرق على عتبته . ولاريب أنها سقطت من اللص أثناء فراره . وانحنيت لالتقاطها وأنا أشعر بسرور كبير ، ولكنى لم البث أن أطلقت صرخة أخرى أتبعها اللورد بصيحة هو الآخر ،

فقد كانت هناك ثغرة فى منتصف القلادة .. وأختفت نجمة الشرق !

وهتفت أقول :- لقد وضح الامر الآن .. انه ليس بالامر العادى .. كانت النجمة هى كل مايريد .

- ولكن كيف دخل ذلك الرجل القصر ؟

- من الباب .

- ولكنه موصد دائما .

هززت رأسى وقلت وأنا أدفعه وأفتحه بسهولة :- ولكنه غير موصد الآن . وفيما أنا أفعل ذلك سقط شئ على الأرض فألتقطته فاذا به قطعة من الحرير المطرز الذى لايمكن أن يخطئ المرء فى نوعه . كانت قطعة من ثوب .. من تلك الثياب التى يرتديها الصينيون عادة .

قلت أوضح الامر : تعلقت بالباب وهو يندفع منه هاربا .. اسرع .. لايمكن ان يكون قد ذهب بعيدا .

ولكن مطاردتنا للرجل وبحثنا عنه راحا عبثا ، فقد تيسر للص الهرب فى جوف الظلام . وعدنا الى القصر على مضض ، وأرسل اللورد ياردلى أحد خدمه لاخطار البوليس .

أما بوارو فكان قد بادر الى اسعاف الليدى ياردلى بما له من دراية فى مثل هذه الاحوال . وكانت الليدى قد استردت جأشها بما يكفى لكى تذكر قصتها فقد قالت :

- هممت بإدارة زر الكهرباء حين اندفع نحوى رجل من الخلف وانتزع القلادة من حول عنقى بحيث وقعت على الارض . وفيما أنا أقع رأيته يختفى من الباب الجانبى ورأيت من ثوبه حينئذ أنه صينى .

وأمسكت وهى ترتجف .

وظهر الساقى وقال يخاطب اللورد ياردلى فى صوت خافت :- رسول من قبل

مستر هوفنبرج ياسيدى .. يقول أنك تتوقع قدومه .

وقال النبيل المذهول :- رحماك ياالهى ! .. أظن أنه يجب أن أراه . كلا ليس هنا يامولينجر بل فى المكتبة .

دنوت من بوارو وقلت :- ألا ترى ياصديقى أن من الاوفق أن نعود الى لندن .

- هل تظن ذلك ياهاستنجر ؟ .. لماذا ؟

فقلت وأنا أسعل فى رقة :- لم تجر الامور وفق ما نشتهى ، أليس كذلك ؟ .. أعنى أنك قلت للورد ياردلى أن يترك نفسه بين يديك فتسير الامور على مايرام .

فقال بوارو فى اكتئاب :- هذا صحيح ليست هذه القضية من قضاياك اللامعة .

تسببت طريقته فى وصف الاحداث فى أن ابتسم ولكنى مع ذلك عدت أقول فى إصرار :

- مادام الامر كذلك ، وأرجو أن تغفر لى ذلك ، افلا تظن أن من الخير لنا أن نبادر بالانصراف .

- والعشاء ؟ .. العشاء الفاخر الذى لاشك أعده طاهى اللورد ياردلى .

فقلت فى فروغ صبر : أوه .. أى عشاء ؟

بسط بوارو يده فى فزع وقال : - ياالهى ! .. هل تعالجون فنون الطعام فى هذه البلاد بمثل هذه اللامبالاة الاجرامية .

واستأنفت أقول :- ثم أن هناك سببا آخر يدعونا الى العودة الى لندن بأسرع مايمكن .

- وماهو ياصديقى ؟

فقلت وأنا أخفت من صوتى :- الماسة الأخرى .. ماسة مسز مارفل .

- حسنا .. وماشأنها ؟

ضايقنى غباؤه ورحت أتساءل ماذا جرى لذكائه المعهود وقلت :

- ألا ترى ؟ .. أنهم حصلوا على إحدى الماستين ، وسيحاولون الحصول على الماسة الأخرى الآن .

فصاح بوارو وهو يرتد الى الوراء وينظر اليّ فى أعجاب :- أوه .. أن عقلك أمره غريب ياصديقى ! .. هل خطر لك اننى لم أفكر فى ذلك ، ولكن مازال أمامنا كل الوقت .. ان يكتمل القمر قبل يوم الجمعة !

هززت رأسى فى شك . فأن نظرية اكتمال القمر لم تحدث فى نفسى أى تأثير . ومع ذلك استطعت اقناع بوارو ، وغادرنا القصر بعد أن تركنا كلمة للورد ياردلى نوضح بها الموقف ونعتذر اليه .

كان من رأيى أن نذهب الى الفندق الكبير مباشرة وأن نذكر لمس مارفل ماحدث ولكن بوارو رفض هذه الخطة وأصر على أن نذهب فى صباح الغد ، ولم يسعنى الا أن أوافقه متذمرا .

وفى الصباح بدا بوارو غير راغب الى الخروج بشكل غريب . وبدأت أشك فى أنه أحس بأنه أخطأ فى معالجة هذه القضية وكره السير فيها وقال فى حصافة عجيبة ردا على إصرارى والحاحى أن تفاصيل قضية ياردلى قد نشرتها جرائد الصباح وان آل رولف لاريب قد عرفوا الآن كل شئ وأنه لاسبيل لاخبارهم بما حدث فسكت على مضض.

واثبتت الحوادث أن هواجسى كان هناك مايبررها ، ففى نحو الساعة الثانية رن جرس التليفون فأسرع بوارو يرد عليه ، وأصغى بضع لحظات ثم قال فى ايجاز :

- حسنا . اننى قادم حالا .

وأعاد السماعة مكانها ثم تحول الى وقال فى شئ من الخجل :-

- ماذا تظن ياصديقى .. قد سرقت ماسة مس مارفل .

فصحت وأنا أهب واقفا : ماذا تقول ؟ .. وماقولك الآن فى نظرية اكتمال القمر ؟

نظر بوارو الى فاستطردت أقول :- ولكن متى وقع ذلك ؟

صباح اليوم على ماأعتقد .

هززت رأسى فى حزن وقلت :- لو أنك استمعت الى .. أرأيت أننى كنت على حق؟ .

فقال بوارو فى حذر :- يبدو هذا ياصديقى ان المظاهر خادعة كما يقولون ولكن يبدو أن الأمر قد انتهى كما تقول حقا .

وبينما كانت سيارة الاجرة تنطلق بنا نحو الفندق الكبير ، حاولت استنتاج جوهر الخطة الحقيقية فقلت :

- كانت نظرية اكتمال القمر خدعة بارعة المقصود منها أن نركز اهتمامنا على يوم الجمعة وبهذا نكون بعيدين عن كل حرص وحذر . مما يؤسف له أن ذلك لم يخطر على بالك .

فقال بوارو فى مرح وقد عاد اليه عدم اكتراثه بعد النكسة القصيرة :-

لعمرى .. لايمكن للمرء ان يفكر فى كل شئ .

شد مارثيت له عندئذ فقد كان يمقت فكرة الفشل وقلت أواسيه :

- ماعليك .. أرجو لك حظا أفضل فى المرة القادمة .

وفى الفندق الكبير أدخلنا فورا الى مكتب المدير ، وكان جريجورى رولف هناك ومعه رجلان من اسكوتلانديارد وأمامهم كاتب شاحب اللون .

أومأ رولف الينا حين دخلنا وقال :- اننا نحقق فى الامر .. وأنه لامر يدعو الى العجب حقا . ومن الصعب تصديقه .. فكيف وانت ذلك الرجل الجرأة على أن يفعل مافعل .. الحق اننى لاأدرى .

كانت بضع دقائق كافية لكى نعرف كل الحقائق ، فقد خرج مستر رولف من الفندق فى الحادية عشرة والربع . وفى الحادية عشرة والنصف أقبل سيد يشبهه كل الشبه فى

الشكل والمظهر بما فيه الكفاية ، ودخل الفندق وطلب صندوق المجوهرات من خزانة الامانات . ووقع على الايصال بالاستلام وهو يقول فى غير اكتراث أن التوقيع سيبدو مختلفا بعض الشئ لان يده جرحت وهو يخرج من باب السيارة . وابتسم الكاتب ابتسامة خفيفة وقال انه انما يرى اختلافا يسيرا . وضحك رولف وقال له : " أوه .. لاتقتلونى كما لو كنت لصا حقا ، فقد جاءتنى خطابات تهديد من رجل صينى واسوأ ماهناك أننى أنا نفسى أبدو كما لو كنت صينيا ، ولعل ذلك بسبب عينى .

واستطرد الكاتب يقول ، وكان هو الذى حدثنا بكل ذلك :- ونظرت اليه فرأيت مايعنيه على الفور . كانت عيناه تنحدران الى جانب كعينى الشرقيين ، ولم اكن قد لحظت ذلك من قبل .

فقال جريجورى رولف مزمجرا وهو ينحنى الى الامام :- لعنة الله على ذلك الرجل.. هل ترى ذلك الآن ؟.

نظر الرجل اليه وأجفل قائلا :- كلا ياسيدى لا أستطيع أن أقول اننى ألحظ ذلك .

وانصافا للحق لم يكن فى العينين اللتين تنظران الينا اى سمة من سمات الشرقيين..

تمتم رجل اسكوتلانديارد وقال :- ياله من رجل جرئ ! خطر له أن العينين يمكن أن تكونا موضع ملاحظة فأمسك الثور من قرنيه لأزالة الشك لاريب أنه راقبك حتى خرجت من الفندق ياسيدى فأسرع بالدخول بمجرد انصرافك .

فسألت :- ماذا حدث لصندوق المجوهرات ؟

- وجدناه فى أحد ممرات الفندق .. لم ينقص منه غير شئ واحد ." لجمة الغرب " .

تبادلنا النظرات .. كان الامر غريبا غير مألوف .

هب بوارو واقفاً وقال آسفا : لم أكن بذى فائدة تذكر هل استطيع أن أرى السيدة ؟

قال رولف : أظن أن الصدمة قد قهرتها .

- لعلنى أستطيع أن أتبادل معك اذن بضع كلمات ياسيدى ؟

- بكل تأكيد .

وعاد بوارو بعد نحو خمس دقائق وقال فى مرح : والآن ياصديقى هلم بنا الى مكتب البريد .. يجب أن أرسل برقية .

- لمن ؟

- للورد ياردلى .

وقطع على الاسئلة المحتملة بأن تأبط ذراعى قائلا :- هلم بنا أيها الصديق . أننى أعرف ماتشعر به بخصوص هذه القضية المخزية ، أنا لم أبل بلاء حسنا . أما أنت فيمكنك أن تبلو أحسن البلاء بدلا عنى .. حسنا ، كل شئ جائز .. لننس هذا وهلم بنا نتناول الغداء .

وعدنا الى مسكن بوارو فى نحو الساعة الرابعة . ونهض شخص من مقعد بجوار النافذة ، لم يكن غير اللورد ياردلى . كان يبدو زائغ النظرات ، شارد الذهن ، وقال :

- لقد جاءتنى برقيتك فأتيت على الفور .أننى ذهبت الى هوفنبرج .ولكنه لايعرف شيئا عن ذلك الرجل الذى يقول أنه موفد من قبله ولا عن البرقية فهل تظن ..؟

بسط بوارو اليه يده وقال :- ارجو ان تلتمس لى العذر فأنا الذى أرسلت البرقية ، وكلفت ذلك الرجل بأن يمضى اليك .

فصاح الرجل النبيل فى ضعف :- أنت ! .. ولكن لماذا ! مالذى ؟ فأجابه بوارو في برود - كانت فكرتى فى أن أعجل بالأحداث .

فصاح اللورد ياردلى :- تعجل بالأحداث .

أجاب بوارو فى مرح : - وقد نجحت الحيلة ولهذا يسرنى ياسيدى أن أرد اليك هذه.

وبحركه دراماتيكية قدم شيئاً يبرق .. كانت ماسة كبيرة ولهث اللورد قائلا :

لنجمة الشرق ! .. ولكني لا أفهم .

فقال بوارو:- كلا لاأهمية لهذا . صدقني انه كان من الضرورى أن تسرق الماسة انني وعدتك أن أحفظها لك وقد بررت بوعدى . يجب أن تسمح لى بأن احتفظ بسرى الصغير. أرجو ان تنقل عظيم احترامى الى الليدى ياردلى وأن تذكر لها مدى سرورى لتمكنى من إعادة الجوهرة اليها .. ماأجمل هذا ! .. أليس كذلك ؟.. طاب يومك ياسيدى اللورد .

وشيع الرجل النبيل القصير المذهول حتى الباب وهو يبتسم ويتحدث ، ثم استدار وهو يدعك يديه فى سرور فقلت :

- بوارو ؟ . أترانى جننت ؟

- كلا ياصديقى . ولكنك تعانى ارتباكاً فكرياً كعادتك .

- كيف حصلت على الماسة ؟

- من مستر رولف .

- رولف ؟

- نعم ان خطابات التهديد والرجل الصينى والمقال الذى ظهر فى جريدة أخبار المجتمع كل هذا تفتق عن ذهن مستر رولف . اما الماستان المفروض أنهما متشابهتان كل الشبه فلا وجود لهما إلا فى مخيلته هو .. لم تكن هناك غير ماسة واحدة يا صديقى .. موجودة أصلا فى مجموعة ياردلى وانتقلت إلى حوزة مستر رولف منذ ثلاثة أعوام ، وقد سرقها هذا الصباحِ مستعيناً بلمسة من الشحم وضعها فى طرف كل عين من عينيه آه .. يجب أن أراه علي الشاشة فهو فنان حقاً .

فسألته فى حيره :- ولكن لماذا يسرق ماسته بالذات ؟

- لأسباب كثيرة أولها ان الليدى ياردلى أصبحت متململه .

- الليدي ياردلى ؟

– أنت تعرف أنها بقيت فى كاليفورنيا وحدها بعضا من الوقت ، كان زوجها أثناء يستمتع فى مكان آخر . وكان مستر رولف شابا وسيما خياليا . ولكنه فى قرارة نفسه كان رجلا عمليا فبادل مسز ياردلى الحب ثم هددها بعد ذلك ، وقد واجهت الليدى بهذه الحقيقة فى الليلة الماضية ، فأعترفت لى بالحقيقة وأقسمت أنها كانت طائشة وأنها كانت تشعر بالوحدة واننى أصدقها فى الواقع . ولكن لم يكن هناك شك فى أن رولف كان يحتفظ ببعض رسائلها ، وأن هذه الرسائل من المحتمل أن تطوى بين سطورها معنى مختلفا ، وقد خشيت من فكرة الطلاق ، والانفصال عن طفلتيها فرضيت بكل ماطلبه منها . ولم تكن تملك مالا خاصا بها فاضطرت أن تتركه يستبدل الجوهرة الحقيقية بأخرى زائفة طبق الاصل . ولكن صدفة ظهور نجمة الغرب أثارت دهشتى ، وسار كل شئ على مايرام غير أن اللورد ياردلى اراد أن ينظم نفسه وان يستقر وخطر له أن يبيع الماسة وعندئذ كان لابد من التهديد والا افتضح الامر وظهر زيف نجمة الشرق . ولاشك أن الليدى كتبت الى جريجورى وصارحته برغبة اللورد فأسرع جريجورى الى انجلترا وطمأنها ووعدها بتدبير الامور واعد العدة للقيام بسرقة مزدوجة ، وبهذا يؤدى خدمة للسيدة التى يحتمل أن تذكر كل شئ لزوجها ، وهو أمر لايروق له ويحصل على ٥٠ ألف جنيه قيمة التأمين ، وهو أمر أراك قد نسيته ، ويحتفظ بالماسة فى الوقت نفسه ، ولكنى لم البث أن تدخلت وأعلنت عن قدوم خبير لفحص الماسة وكما توقعت تدبر الليدى ياردلى سرقة على الفور وتقوم بالدور خير قيام

ولكن بوارو لايرى شيئا غير الحقائق .. فما الذى حدث حقا ؟ .. أن الليدى تطفئ النور وتصفق الباب بنفسها وترمى القلادة فى الطرقة ثم تصرخ . وكانت قد حرصت على انتزاع الماسة قبل أن تهبط الدرج .

فاعترضت أقول :– ولكننا رأينا القلادة حول عنقها .

– عفوا ياصديقى . كانت تخفى بيدها الموضع الذى انتزعت الماسة منه . وكان من

السهل لها أن تضع قطعة من الحرير بالباب سلفا . وبطبيعة الحال ، ماان يقرأ رولف نبأ السرقة فى الجرائد حتى يدبر مهزلته الصغيرة ويقوم بها خير قيام .

فسألته فى فضول : وماذا قلت له ؟

- قلت له ان الليدى ياردلى ذكرت لزوجها كل شئ ، واننى مفوض لاسترداد الماسة، وأنه اذا لم يسلمنى اياها حالا فستتخذ الاجراءات ضده فورا . وببضعة أكاذيب أصبح كالشمعة فى يدى .

استعرضت القصة من أولها ولم ألبث أن قلت :- يبدو لى أن هذه المسألة مجحفة بالنسبة لمس مارفل ، فهى قد خسرت ماستها بغير ماخطأ من ناحيتها .

فقال بوارو فى قسوة :- أوه .. ولكنها كسبت دعاية كبيرة ، وهذا كل مايهمها . أما المرأة الاخرى فتختلف عنها كل الاختلاف ، فهى سيدة بمعنى الكلمة وأم طيبة فوق ذلك .

فقلت فى شك وأنا أوافق بوارو على رأية بصعوبة :- نعم ، أظن أن رولف هو الذى أرسل اليها الماسة المزيفة .

فقال بوارو فجأة : - أبدا .. أنها أقبلت طبقا لنصيحة مارى كافنديش ، تطلب مساعدتى فى هذه المشكلة ثم سمعت أن مس مارفل كانت هنا ، ولما كانت تعرف أنها غريمتها فقد غيرت رأيها وانتهزت الفرصة التى عرضتها أنت عليها ، فان بضعة أسئلة ألقيتها أنا عليك فهمت منها أنك حدثتها عن خطابات التهديد وأنها بالذات لم تخبرك بشئ عنها ، وهكذا تلقفت الفرصة التى قدمتها أنت لها فصحت كالملدوغ :- لاأصدق هذا .

- بلى ياصديقى بلى .. ومما يرثى له أنك لم تدرس علم النفس . هل أخبرتك بأنها أتلفت الخطابات ؟ .. أوه ، كلا .. كلا .. أن المرأة لاتمزق خطابا الا اذا كان لايمكنها أن تتجنب ذلك ، حتى ولو دعاها الحرص الى ذلك .

قلت وقد ازداد غضبى :- كل هذا حسن . ولكنك جعلت منى رجلا أحمق منذ البداية حتى النهاية . كلا .. صحيح انك أوضحت لى كل شئ الآن ، ولكن جاء ذلك بعد الاوان .. هناك حد لكل شئ حقا .

- ولكنك كنت شديد الاغتباط ياصديقى ، ولم يطاوعنى قلبى على أن أحطم أوهامك .

- ليس هذا بالعمل الكريم ! .. انك تماديت كثيرا هذه المرة .

- ياالهى ! .. ولكن لماذا تغضب من لاشئ يا صديقى ؟ .

فقلت :- لقد طفح الكيل هذه المرة .

وخرجت وصفقت الباب خلفى . وسمعت بوارو يضحك فى سرور . وقررت بينى وبين نفسى أنه يحتاج الى درس صارم . سأدع بعض الوقت يمر قبل أن اغفر له ، فقد شجعنى على أن أجعل من نفسى أغبى الاغبياء .

* * *

الفصل الثانى

فاجعة قصر مارسدن

اضطررت الى قضاء بضعة أيام بعيدا عن لندن ، وعند عودتى وجدت بوارو يحزم حقيبته الصغيرة . وما أن رآنى حتى قال :

- حسنا ياهاستنجز ! .. كنت أخشى ألاتعود فى الوقت المناسب لمرافقتى .

- هل استدعيت للتحقيق فى إحدى القضايا ؟

- نعم . ولكن يجب أن أقول لك أنها قضية لاتبشر بكسب كبير ، فان شركة نورثرن يونيون للتأمين طلبت منى التحقيق فى وفاة مستر مالترافرس ، وكان قد أمن على حياته قبل موته ببضعة أسابيع بمبلغ خمسين ألف جنيه .

فقلت فى اهتمام شديد :- حسنا ؟

أن وثيقة التأمين تتضمن كما تعرف ذلك النص العادى بخصوص انتحار المؤمن عليه . وهذا النص يبطل مفعول الوثيقة اذا انتحر المؤمن خلال سنة من تاريخ التوقيع على العقد . وقد وقع طبيب الشركة الكشف على مالترافرس فى دقة كبيرة ، وعلى الرغم من أنه كان قد تجاوز ربيع العمر الا انه كان يتمتع بصحة جيدة . ومع ذلك فقد عثر على جثته فى يوم الاربعاء الماضى ، أى أمس الاول ، فى أراضيه بمقاطعة اسكس المعروفة باسم أراضى مارسدن . وقد ثبت من الفحص أن سبب الوفاة نزيف داخلى ، وليس ذلك بالامر المستغرب فى حد ذاته ، ولكن الشائعات وأقوال السوء اجمعت كلها على أن حالته المالية كانت فى تدهور مستمر فى الأونة الاخيرة ، كما تأكدت الشركة

بما لايدع مجالا للشك بأن الرجل كان على وشك الأفلاس . وهذه الحقيقة ، فى حد ذاتها ، تجعل الامر يبدو مختلفا ، خاصة وأنه كان متزوجا بشابة جميلة فى عنفوان الشباب . ويقال انه جمع كل مالديه من أموال سائلة لكى يسدد القسط الاول من أقساط وثيقة التأمين على حياته لصالح هذه الزوجة ثم انتحر بعد ذلك . ومثل هذا الحادث كثير الشيوع . ومهما يكن من امر فان صديقى الفريد رايت ، أحد مديرى شركة نورثرن اونيون طلب منى تقصى الحقائق فى هذه القضية . ولكنى كما قلت له لست كبير الامل في النجاح ، فلو أن الوفاة نتجت عن هبوط فى القلب مثلا لكنت اكثر تفاؤلا ، فان هبوط القلب يمكن أن يقع نتيجة لتناول سم خفى لايظهر له أثر . اما النزيف فهو على العكس من ذلك يبدو أمرا محددا لامجال للشك فيه . ومع ذلك ففى مقدورنا ان نقوم ببعض التحرى والتحقيق . اننى امهلك خمس دقائق لكى تعد حقيبتك ياهاستنجز ، وسنستقل سيارة أجرة الى محطة ليفربول .

وبعد نحو ساعة هبطنا من القطار فى محطة صغيرة بمارسدن لاى ، وعلمنا من استعلامات المحطة أن قصر مارسدن يقع بعد نحو ميل . واستقرت نية بوارو على قطع هذه المسافة سيرا على الاقدام . وقلت اسأله ونحن فى الطريق :

– ماهى خطتك ؟

– سأرى الطبيب قبل كل شئ فقد تحققت من أن هناك طبيبا واحدا فى مارسدن لاى وهو الدكتور رالف برنارد .. آه .. ها نحن قد بلغنا داره .

كانت الدار المذكورة عبارة عن بيت صغير فخم يقع بعيدا عن الطريق العام وعلى بابه لافتة من النحاس بها اسم الدكتور . واجتزنا الطرقة المؤدية الى البيت وطرقنا الباب .

وحالفنا الحظ ، فقد كان الوقت هو الوقت الذي يعده الطبيب لاستقبال مرضاه ، ولم يكن هناك مرضى ينتظرون فى تلك الساعة ، وكان الدكتور برنارد رجلا متقدما

فى السن عريض الكتفين محدوب الظهر على شئ من الاناقة .

وقدم بوارو اليه نفسه وذكر له سبب قدومنا وأردف يقول ان شركات التأمين تريد التحقيق فى هذه القضية وأن تمضى فى التحقيق الى أبعد الحدود .

وقال الدكتور برنارد فى غموض :

- طبعا .. طبعا .. أعتقد أنه ، وهو على مثل هذا الثراء ، قد أمن على حياته بمبلغ كبير .

- هل تعتبره رجلا ثريا يادكتور ؟

بدت دلائل الحيرة على وجه الطبيب وقال : الم يكن ثريا ؟ .. كانت لديه سيارتان كما تعرف . وقصر مارسدن قصر فخم يتطلب نفقات كبيرة . وأن كنت أعتقد أنه اشتراه بثمن بخس .

وقال بوارو وهو ينظر الى الطبيب بدقة :- سمعت أنه خسر مبالغ جسيمة فى الفترة الأخيرة .

ولكن الطبيب هز رأسه فى اسى وقال : هذا صحيح ؟ .. حقا ! .. من حسن حظ زوجته اذن أن هناك وثيقة التأمين على الحياة ؟ .. انها مخلوقة جميلة جدا ورقيقة الحاشية . ولكنها شديدة التوتر بسبب هذه الفاجعة .. ان المسكينة أصبحت كتلة من الاعصاب .. وقد حاولت أن أجنبها كل ما أستطيع ولكن الصدمة كانت شديدة الوقع عليها بالطبع .

- هل كنت تشرف على صحة مستر مالترافرس فى الاونة الأخيرة ؟

- اننى لم اشرف على علاجه البتة ياصديقى العزيز .

- ماذا ؟

- ان مستر مالترافرس كان من العلماء المسيحيين ، ولهؤلاء تقاليد خاصة لايعترفون فيها بالطب ولايلجأون الى أى طبيب .

– ولكنك فحصت الجثة ؟

– طبعا .. فقد جاءنى البستانى وأخبرنى بما حدث .

– وهل كان سبب الوفاة واضحا ؟

– كل الوضوح . كان هناك دم قليل على شفتيه ، ولكن كان النزيف بالداخل طبعا.

– هل فحصته فى نفس المكان الذى عثروا فيه على جثته ؟

– نعم . لم يكن أحد قد لمس الجثة بعد . وكانت ممده فى آخر المزرعة الصغيرة ، وقد قيل لى أنه كان فى الخارج ولعله كان يصطاد الغربان . وكانت بندقيته بجواره ، ولاريب أن النزيف كان فجائيا ومما لاشك فيه أنه كان مصابا بقرحة معوية .

– ألا يمكن أن يكون قد أصيب بعيار نارى ؟

– كلا . أيها السيد العزيز .

قال بوارو فى تواضع :– ألتمس معذرتك ..وعلى ماأذكر وقعت جريمة قتل حديثا، وقد شخص الطبيب فى بادىء الامر الموت على أنه حدث نتيجة لهبوط فى القلب ولكنه لم يلبث أن غير رأيه حين قال الشرطى المحلى أن برأس الميت جرحا حديثا أحدثته رصاصة .

قال الدكتور برنارد فى جفاء : لن تجد أى رصاصة فى جسد مالترافرس . والآن ، اذا كان هناك شئ آخر أيها السادة .

وأصابت اشارته فقال بوارو : – أشكرك يادكتور لتكرمك بالرد على اسئلتنا . طاب يومك . وبهذه المناسبة ، .. ألم تر داعيا الى تشريح الجثة ؟

– كلا . بالطبع .

واستطرد يقول وهو كالمصعوق :– لقد كان سبب الموت واضحا . وفى مهنتى لاأرى داعيا لإيلام أهل الميت من غير سبب .

واستدار وصفق الباب فى وجهينا فى حدة .

وقال بوارو ونحن نمضى فى طريقنا الى قصر مارسدن :- مارأيك فى الدكتور برنارد ياهاستنجز ؟

- يلوح لى انه حمار لايفهم شيئا .

- تماما . ان رأيك فى اطباع الناس شديدة العمق دائما ياصديقى .

نظرت اليه وانا اشعر بشئ من الضيق ولكنه كان جادا فى حديثه ، ومع ذلك فقد ومضت عيناه وأردف يقول متخابثا :

- هذا بالطبع مالم يكن فى الامر امرأة جميلة .

رميته بنظرة باردة ولم انطق .

وعندما وصلنا الى قصر مارسدن ، فتحت لنا الباب امرأة فى نحو الاربعين من العمر ، وأعطاها بوارو بطاقته وكلمة من شركة التأمين لمسز مالترافرس ، فتقدمنا الى غرفة صغيرة ثم مضت لتخبر سيدتها بقدومنا . وبعد نحو عشر دقائق فتح الباب ووقفت بعتبته امرأة رقيقة هشة ترتدى ثياب الحداد ، وتمتمت قائلة :

- مسيو بوارو .

هب بوارو واقفا مجاملا وأسرع نحوها وهو يقول :-

سيدتى ، لايمكننى ان أعبر لك عن مبلغ اسفى لازعاجى لك بمثل هذه الطريقة ، ولكن ماذا تريدين .. انه العمل .. والعمل لايعرف الرحمة .

وتركته مسز مالترافرس يقودها الى مقعد ، وكانت عيناها محمرتين من البكاء ومع ذلك فأن حزنها المؤقت لم يؤثر على فتنتها وسحرها الرائعين . كانت فى نحو السابعة والعشرين من العمر ، جميلة ، ذات عينين زرقاوتين واسعتين وفم تعلوه تكشيرة رقيقة .

- انكما قدمتما بخصوص وثيقة التأمين التى عقدها زوجى ، اليس كذلك ؟ ..

ولكن أكان لابد من ازعاجى الآن .. وفى هذا الوقت بالذات ! .

- تشجعى ياسيدتى العزيزة .. تشجعى .. تعلمين ان المرحوم زوجك قد أمن على حياته بمبلغ جسيم ، وفى مثل هذه الحالة فلابد لشركات التأمين أن تتحقق من كل شئ وقد انتدبتنى الشركة لذلك ، ولك أن تثقى فى أننى سأبذل قصارى جهدى لكيلا أزعجك كثيرا . هل تفضلت فذكرت لى أحداث يوم الاربعاء فى ايجاز ؟

- كنت استبدل ثيابى لتناول الشاى حين اقبلت الخادمة .. وقالت ان أحد البستانية جاء راكضا الى البيت وأنه عثر على ..

وتهدج صوتها وضغط بوارو على يدها فى رفق وقال :- اننى افهم ياسيدتى . كفى .. هل رأيت زوجك قبل ذلك ، اعنى بعد ظهر ذلك اليوم ؟

- كلا . لم اره بعد أن تناولنا طعام الغذاء ، فقد مضيت الى القرية لكى اشترى بعض طوابع البريد . واعتقد انه خرج للتجول فى اراضيه .

- لكى يصطاد الغربان ، اليس كذلك ؟

- نعم . وهو يأخذ بندقيته الصغيرة معه عادة . وقد سمعت طلقة أو طلقتين من مسافة بعيدة .

- وأين هذه البندقية الآن ؟

- أعتقد أنها فى البهو .

وتقدمتنا خارج الغرفة الى حيث البندقية فأخذتها وأعطيتها لبوارو . وفحصها هذا الأخير فحصا سطحيا ثم قال وهو يعيدها إليها :

- أرى أنه أطلق منها عيارين .. والآن ياسيدتى ، هل لى أن أرى ..

وتوقفت مجاملا فتمتمت وهى تحول رأسها عنه :- سترافقك الخادمة .

واستدعت الخادمة . وتقدمت هذه الاخيرة بوارو الى الدور العلوى أما أنا فبقيت برفقة المرأة الشابة التعيسة ، وتعذر على أن أعرف هل أتكلم أم ألزم الصمت . ونطقت

بملاحظة أو ملاحظتين اجابت عليهما فى شرود . وبعد دقائق هبط بوارو وقال :

- اننى أشكرك لكرمك هذا ياسيدتى . لاأظن أننى بحاجة الى ازعاجك بسبب هذا الموضوع أكثر من ذلك . وبهذه المناسبة ، هل تعرفين شيئا عن حالة زوجك المالية ؟

هزت رأسها وأجابت :- لاأعرف شيئا البتة ، فإننى غبية فى كل ماله صلة بالعمل.

- آه .. لايمكنك اذن أن تذكرى لنا السبب الذى حداه الى التأمين على حياته هكذا فجأة ؟ .. انه لم يحاول التأمين على حياته من قبل كما أعلم .

- حسنا .. اننا تزوجنا منذ نحو عام أو أكثر .. اما لماذا أمن على حياته فأنى أعلم أنه عقد وثيقة التأمين لأنه كان يعتقد أعتقادا جازما بأنه لن يعمر طويلا . كان يحس احساسا غريبا بدنو أجله . واعتقد أنه أصيب بنزيف قبل ذلك وأنه كان يعرف أن نزيفا آخر سيودى به . وقد حاولت أن أبدد مخاوفه هذه ولكن دون جدوى . واأسفاه! لقد كان على حق .

وأغرورقت عيناها بالدموع وحيتنا مودعة . واتى بوارو بحركة ذات معنى وهو يجتاز الطرقة الخارجية للبيت ، وقال :

- حسنا .. أنتهينا اذن .. لم يعد أمامنا الا أن نعود الى لندن ياصديقى يبدو أنه ليس هناك مايدعو الى البقاء ، ومع ذلك ..

- ومع ذلك ؟ ..

- هناك تناقض خفيف ، وهذا هو كل شئ .. هل لاحظت ذلك ؟ .. الم تر شيئا ؟.. مازالت الحياة تزخر بالمتناقضات ومن المؤكد أن هذا الرجل لم يستطع أن يقتل نفسه وليس هناك من السموم مايجعل الدم يتدفق من الفم .. كلا ، كلا .. يجب أن أتقبل الواقع فان كل شئ واضح وصريح .. ولكن من هذا ؟

ذلك أن شابا طويل القامة تقدم ناحيتنا وتجاوزنا بدون أن يبدى إشارة ومع ذلك

فقد لاحظت أنه ليس فظا ولاخشن الاخلاق ، وأنه ملوح الوجه تدل بشرته على أنه قضى شطرا من حياته فى المناطق الاستوائية ، وكان أحد البستانية منهمكا فى تشذيب الحشائش فتوقف لحظة وأسرع بوارو اليه وسأله :

- قل لى من فضلك .. من هذا الرجل ؟ .. هل تعرفه ؟

- اننى لاأذكر اسمه ياسيدى على الرغم من اننى سمعته .. فقد قضى هنا ليلة فى الاسبوع الماضى .. كان ذلك يوم الثلاثاء .

- اسرع ياهاستنجز .. لنتبعه !

استدرنا فجأة ، وأسرعنا الخطى لنكون على كثب من الشاب المجهول . واذ دنونا من القصر رأينا شخصا يلبس السواد واقفا فى الشرفة التى تمتد بأحد جوانب القصر ، وأسرع الشاب الغريب نحوه ، ولم نكد نبعد كثيرا عنه فاستطعنا أن نشهد لقاءه بالمرأة الشابة فما أن رأته هذه الأخيرة حتى لهثت قائلة :

- أنت ! .. حسبتك فى عرض البحر .. فى طريقك الى افريقيا الشرقية .

فأجابها الشاب :- جاءتنى أنباء اضطرتنى الى تأخير سفرى ، فقد مات عمى العجوز وترك ثروته الصغيرة . وعلى ضوء هذه الظروف رأيت أن من الاوفق أن ألغى السفر . ولم البث أن قرأت فى الجرائد ذلك النبأ المحزن فأسرعت لارى ان كان هناك مايمكننى أن اؤديه لك فأنت تمرين بمحنة ولابد لك من أحد لكى يشرف فيها على مصالحك .

وفى هذه اللحظة وقع بصرهما سويا علينا معا فتقدم بوارو ، وفى بضع كلمات ضمنها اعتذاره الشديد قال أنه نسى عصاه فى البهو ، وعندئذ قامت مسز مالترافرس بتقديمنا على مضض قائلة :

- مستر بوارو .. الملازم بلاك .

وتبادلت بيننا بعد ذلك بضع كلمات وجيزة عرف بوارو منها أن الملازم بلاك يقيم

مؤقتا فى حانة انكور . ولم نعثر على العصا طبعا لانه لم يكن لها وجود . واعتذر بوارو مرة أخرى وانصرفنا .

ومضينا الى القرية على الفور ، وقصدنا حانة انكور مباشرة . وقال بوارو :

- سنقيم هنا الى أن يعود صديقنا الملازم . لعلك لاحظت اننى شددت على هذه النقطة حين قلت اننا سنعود الى لندن بأول قطار ، ولعلك حسبت أننى أنوى ذلك حقا.. حسنا ، أبدا .. هل رأيت كيف انقلبت سحنة مسز مالترافرس حين وقعت عيناها على الملازم بلاك لقد تملكها الفزع والاضطراب بشكل غريب أما هو فكان يقطر رقة ، الم تر ذلك ؟ ثم أنه كان هنا يوم الثلاثاء ليلا أى عشية اليوم الذى مات فيه مستر مالترافرس يجب أن نتحرى عن حركات الملازم بلاك ياهاستنجز .

وبعد نحو نصف ساعة رأيت الملازم بلاك يقترب من الحانة ، وأسرع بوارو لملاقاته فى الخارج ، ولم يلبث أن جاء به الى الغرفة التى نشغلها وقال :

- اننى ذكرت للملازم بلاك المهمة التى كلفنا بها ، والتى جاءت بنا هنا . يجب أن تفهم ياسيدى الملازم أننى أريد أن أعرف ماكان يدور فى ذهن مستر مالترافرس فى اللحظة التى سبقت موته وأننى لاأريد فى الوقت نفسه أن أزعج مسز مالترافرس بالقاء الأسئلة المؤلمة عليها .. أما وأنت هنا الآن فيمكنك أن تمدنى بما أريد من معلومات .

فأجاب الملازم :- سأبذل كل جهدى لمساعدتكما ولكنى مضطر بكل أسف أن أقول لكما أننى لاأعرف شيئا يخرج عن المألوف فعلى الرغم من أن مستر مالترافرس كان صديقا حميما لأبوى إلا أننى لم أكن أعرفه أنا نفسى معرفة وثيقة .

متى أقبلت هنا ؟

- بعد ظهر يوم الثلاثاء ، وقد عدت الى المدينة فى وقت مبكر من صباح الاربعاء اذ كان المفروض أن تبحر سفينتى ظهرا ، ولكن كما لا شك سمعتنى أقول لمسز مالترافرس جاءتنى أنباء اضطرتنى الى العدول عن خطتى .

- كنت تريد الذهاب الى افريقيا الشرقية كما فهمت ؟

- نعم ، فقد أقمت هناك منذ أن اندلعت الحرب ... انها بلاد كبيرة .

- تماما .. فى أى شئ دار الحديث بينكم يوم الثلاثاء وأنتم على العشاء ؟

- الحق اننى لا أدرى دار الحديث فى بعض المواضيع العادية فقد سألنى مالترافرس عن والدى ثم انتقلنا الى الحديث عن السياسة ، وألقت مسز مالترافرس على وابلا من الأسئلة عن أفريقيا الشرقية ورويت لهما قصة أو قصتين وهذا كل شئ .

- شكرا لك .

لزم بوارو الصمت لحظة ثم قال فى رفق : - أرجو أن تسمح لى أن أقوم بتجربة صغيرة . انك ذكرت لنا كل ما تعرفه كما يبدو لك ، وأريد الان أن أستشف عقلك الباطن .

فصاح بلاك وقد بدأ عليه الجزع والأرتباك : - أهو تحليل نفسى ؟

فقال بوارو يطمئنه : - كلا ، كلا أن الامر لا يعدو أن أنطق بكلمة فترد على بأخرى ، وهكذا .. أى كلمة تخطر على بالك ، فهل نبدأ ؟

فقال بلاك فى بطء وهو لا يزال على قلقه وأرتباكه : - كما تريد .

وقال بوارو : - أرجو أن تدون الكلمات يا هاستنجز .

ثم أخرج من جيبه ساعته الكبيرة ووضعها بجواره على المنضدة وقال :

- سأبدأ اذن .. نهار .

ساد صمت قصير قطعه بلاك أخيرا بأن قال : - ليل واستأنف بوارو فتلاحقت الكلمات من بين شفتيه : - اسم .

- مكان ... برنادر ... شو .

- يوم الثلاثاء .. عشاء ... رحلة ... سفينة .

- بلد ... أوجاندا ... قصة ... أسود .

– بندقية ... مزرعة ... طلق نارى ... انتحار .

– فيل ... عاج ... نقود ... محامى .

– اشكرك أيها الملازم بلاك . لعل فى مقدورك أن تمنحنى بضع دقائق أخرى بعد نصف ساعة .

– بكل تأكيد .

ردد الملازم البصر حوله وقد اتسعت عيناه ثم خرج وسألنى بوارو حينئذ :

– أظنك فهمت كل شئ الان يا هاستنجز ؟

– ماذا تعنى .

– ألا تدلك هذه الكلمات على شئ ما ؟

فحصت الكلمات المذكورة فحصا دقيقا ولكن لم يسعنى الا أن أهز رأسى أخيرا فقال :

– سأساعدك. وأبدأ فأقول ان بلاك أجاب على كل كلمة فى الوقت المناسب وبدون أى تردد . وبناء على ذلك يمكننا أن نستنتج أنه ليس هناك مايؤاخذ عليه هو بالذات . فعلى كلمة نهار رد بكلمة ليل ، وعلى كلمة مكان بكلمة اسم وهذا ترابط طبيعى . وذكرت له بعد ذلك كلمة برنارد وكان فى مقدوره أن يربط هذا الاسم بطبيب القرية لو أنه كان قد التقى به ، ولكن رده أثبت لى العكس من ذلك فيقول باقى اسمه رالف بدلا من ان يقول شو ، أى رالف برنارد بدلا من برنارد شو وبعد الحديث الذى دار بيننا رد على كلمتى يوم الثلاثاء بكلمة عشاء ، ولكنه رد بعد ذلك على كلمتى الرحلة والبلد بكلمة السفينة وأوجاندا ، وهذا يدل على أنه كان ينوى السفر الى المستعمرات حقا وأن رحلته كانت الشاغل الاكبر الذى يشغله . وذكرته كلمة القصة بالقصص التى رواها عن الاسود على مائدة العشاء .. ورد على كلمة بندقية بعد ذلك بكلمة عزبة ، وعلى كلمتى عيار نارى بكلمة انتحار والترابط بين هذه الكلمات يبدو واضحا فهو يعلم أن

هناك رجلا انتحر فى احدى المزارع بواسطة طلق نارى ، ومن هذا نرى أن ذهنه مشغول بالقصص التى رواها أثناء تناول الطعام ولن أبعد عن الحقيقة اذا أنا استدعيت الملازم بلاك الآن وطلبت منه أن يعيد على مسامعى قصة الانتحار التى رواها على مضيفيه وهم على مائدة العشاء يوم الثلاثاء الماضى .

وكان الملازم بلاك صريحا بما فيه الكفاية فقد قال :- نعم ، اننى أذكر الان أننى رويت لهما قصة تتعلق برجل انتحر فى أحدى مزارع المناطق الاستوائية بأن أدخل فوهة بندقيته الى فمه وأطلق عيارا ناريا استقر فى نافوخه وقد أثارت هذه القصة حيرة الاطباء فلم يكن هناك أى جرح ظاهر فيما عدا قليل من الدم على شفتى الرجل ولكن.. ولكن ، ما علاقة هذه القصة بمستر مالترافرس ؟ .. سمعت أنهم وجدوا بندقيته بجوار جثته .. فهل يعنى أن قصتى أوحت اليه بأن .. ولكن هذا مروع ! .

- لا تزعج نفسك بهذه الصورة .. مهما يكن من أمر فان روايتك لهذه القصة ما كانت لتغير شيئا .. يجب أن أتكلم مع لندن تليفونيا .

وبعد أن فرغ بوارو من مكالمته وخرج من كشك التليفون رأيت أنه مستغرق فى التفكير . وخرج بعد الظهر وأخذ يتمشى فى القرية . وفى الساعة التاسعة قال انه لا يستطيع الانتظار أكثر من هذا وأنه لابد له من أن ينهى الانباء الى الارملة ورثيت للمرأة الشابة كل الرثاء فقد انتحر زوجها وتركها مفلسة تحمل عبء المستقبل وهمومه، وخامرنى أمل خفى فى أن الملازم بلاك ربما يعمل على مواساتها فى محنتها هذه خاصة وأنه يكن لها كل ود وأعجاب .

وكانت مقابلتنا لها من أشق المقابلات ، فقد رفضت رفضا باتا التسليم بالحقائق التى ذكرها لها بوارو ، وحين أفلح أخيرا فى إقناعها أجهشت فى بكاء مرير . وأثبت فحص الجثة شكوكنا وحولها الى يقين . وكان بوارو شديد الحزن من أجل المرأة الشابة ولكن مهما يكن من أمر فقد كان يقوم بعمله الذى كلفته به شركة فوردزن يونيون

للتأمين ولم يكن له الخيار فى ذلك ، وفيما هو يهم بالانصراف قال يخاطب مسز مالترافرس فى رقة :

- سيدتى انك تعرفين أكثر من أى شخص آخر انه ليس هناك موت .

فقالت المرأة وقد اتسعت حدقتاها : - ماذا تعنى ؟

- الم يحدث أن حضرت جلسة روحانية ؟ .. انك خير من يصلح لدور "الوسيط" .

- هكذا قيل لى .. ولكنى لا أظنك تؤمن بالروحانيات ؟

- اننى رأيت أشياء غريبة يا سيدتى ، ولعلك تعلمين انهم يقولون فى القرية ان هذا القصرمسكون .

أومأت المرأة بالإيجاب وفى هذه اللحظة أقبلت الخادمة وقالت أن العشاء قد أعد .

- ألا تبقيان لتناول العشاء معى ؟

وقبلنا شاكرين وأحسست أن بقاءنا قد يخفف من لوعتها وكنا قد فرغنا من تناول الحساء حين سمعنا صيحة خارج الباب أعقبها صوت تحطيم أطباق فنهضنا واقفين . ودخلت الخادمة ويدها على قلبها وقالت لاهثة :

- انه رجل .. واقف بالممر .

وأسرع بوارو الى الخارج وسرعان ما عاد وهو يقول : - ليس هناك أحد .

وتمتمت الخادمة تقول فى غير اقتناع : - أحقا يا سيدى ؟ .. أوه .. شد ما تملكنى الخوف .

- ولماذا ؟

وخافتت من صوتها حتى بدا كالهمس وهى تقول : - ظننت .. حسبت أنه السيد.. فقد كان يشبهه .

ورأيت مسز مالترافرس تجفل اجفالة شديدة . وجرى فكرى على الفور الى هذه الخرافة القديمة التى تقول أن المنتحر لا يمكن أن يرقد فى سلام ويبدو أنه خطر لها هذا

الخاطر هى الاخرى وأنى لعلى يقين من ذلك لانه لم تمض أكثر من دقيقة حتى أمسكت بذراع بوارو وصرخت قائلة :

– هل سمعت ؟ .. هذه الدقات الثلاث على زجاج النافذة .. انه كان يدق هكذا حين يعود الى البيت .

فقلت :– أنه صوت " ارتطام اللبلاب " بالنافذة ياسيدتى .

ولكن جوا من الرعب والذعر بدأ يتملكنا جميعا . وكان واضحا أن الخادمة كانت متوترة الاعصاب . وحين فرغنا من تناول الطعام التمست مسز مالترافرس من بوارو أن يتريث فلا يسارع بالانصراف . كان يلوح أنها تخاف أن نتركها بمفردها بشكل مخيف وانفتح الباب على مصراعيه مرتين وتشبثت مسز مالترافرس بذراعى فى كل مرة وهى تصرخ فى ذعر :

وصاح بوارو يقول محنقا فى آخر الأمر : – أف لهذا ألباب اللعين ! .. لكأنه مسحور ! .

ونهض فأغلق الباب وأدار المفتاح وهو يقول : – لابد من أن أوصده هكذا .

ولهثت المرأة قائلة : – كلا .. لا تفعل .. لو انفتح الان !

ولكن قبل أن تتم قولها وقع المستحيل فقد انفتح الباب الموصد بالمفتاح ولم أستطع أن أرى الممر من المكان الذى كنت جالسا فيه ، ولكن بوارو ومسز مالترافرس كانا يجلسان قبالته .وأطلقت هذه الاخيرة صيحة حادة وصاحت تقول وهى تنظر الى بوارو :

– هل رأيته ؟ .. هناك فى الممر ؟

نظر بوارو اليها وقد ارتسمت الحيرة على وجهه ثم هز رأسه فصاحت : –

– اننى رأيته .. رأيت زوجى .. لاريب أنك رأيته أنت أيضا .

– اننى لم أر شيئا يا سيدتى .. أنك لست على ما يرام ..أنت متوترة الاعصاب .

– اننى على اتم ما يرام .. اواه يا الهى !

وفجأة وبدون سابق انذار ضعفت الانوار ، ولم تلبث ان انطفأت وسمعنا فى جوف الظلام ثلاث دقات واستطعت أن أسمع مسز مالترافرس تئن .

ورأيته فجأة .

رأيت الرجل المسجى فى الفراش فى الدور العلوى واقفا يواجهنا وقد أحاطت به هالة غريبة من الضوء جعلته يبدو كشبح من الأشباح ، والدم يعلو شفتيه . ولم يلبث أن بسط يده كما لو كان ليشير الى شئ . وفجأة ، بدا أن ضوءا ينبعث من يده تلك . ومر الضوء فوق رأسى ورأس بوارو واستقر على رأس مسز مالترافرس . ورأيت عندئذ وجهها الابيض المذعور ثم رأيت شيئا آخر فصحت :

- يا الهى يا بوارو ! .. انظر الى يدها .. يدها اليمنى .. انها حمراء !

نظرت المرأة الى يدها ثم تهالكت متكومة فوق الارض وهى تصيح فى هستريا :

- دم ! .. نعم .. انه دم .. اننى قتلته .. قتلته .. وضع البندقية فى فمه ليرينى ولكنى ضغطت باصبعى على الزناد . انقذنى منه .. انقذنى .. لقد عاد !

وتلاشى صوتها فى قرقرة غريبة فى حين قال بوارو فجأة : - النور !

وعلى الفور سطعت الانوار كما لو بفعل ساحر ، واستطرد : - قضى الامر .. هل سمعت يا هاستنجز ؟ .. وأنت يا ايفريت ؟ .. أوه ، بهذه المناسبة دعنى اقدم لك مستر ايفريت ، الممثل المشهور .. اننى اتصلت به تليفونيا بعد ظهر اليوم . وان تنكره لمتقن حقا ، اليس كذلك ؟ .. انه يبدو أشبه بالرجل الميت كل الشبه وفى جيبه مصباح كهربائى وما يكفى من الفوسفور ليعطينا الصورة المرجوة . لو اننى مكانك يا هاستنجز لحرصت على أن لا ألمس يدها اليمنى ، فان الطلاء الاحمر لا يزول بسهولة . حين انطفأت الانوار ضغطت بيدى على يدها . هل فهمت ؟ .. وبهذه المناسبة يجب ألا يفوتنا القطار .. أن المفتش جاب واقف بالخارج بجوار النافذة .. أن الطقس شديد السوء ولكنه كان يقتل وقته بالدق على النافذة من وقت لآخر .

واستطرد بوارو يقول ونحن نشق طريقنا بين صفير الريح وهطول المطر :

- هل فهمت يا هاستنجز ؟ .. كان هناك تناقض يسير فقد قال لنا الطبيب ان الفقيد كان مؤمنا بالتعاليم النصرانية . ولكن من الذى كان فى مقدوره أن يوصى الى الطبيب بذلك اذا لم تكن مسز مالترافرس ؟ .. ولكنها اوحت الينا نحن بأنه كان يخشى كثيرا على صحته . ثم لماذا أخذت على غرة حين رأت الملازم بلاك ؟ وأخيرا ، وعلى الرغم من أن التقاليد تحتم على المرأة ادعاء الحزن والحداد على وفاة زوجها فإننى لم اخدع بأحمرار جفنيها لأنها بالغت بصبغهما ألم تلاحظهما يا هاستنجز ؟ ..كلا ؟.. طالما قلت لك انك لا ترى شيئا ما .

حسنا .. هذه هى الحقائق اذن .. وكان هناك امامى احتمالان .. اما أن تكون قصة الملازم بلاك قد أوحت الى مستر مالترافرس بطريقة بارعة لكى ينتحر ، وأما أن تكون قد أوحت الى زوجته بطريقة بارعة لارتكاب جريمة قتل مثالية تبدو كحادث انتحار .. وقد شعرت بميل كبير الى الاحتمال الاخير ، فقد كان يتعين على مستر مالترافرس لكى ينتحر هو نفسه أن يضغط على الزناد باصبع قدمه او هكذا خطر لى ولم اسمع انهم عثروا عليه من غير أحد حذاءيه ومثل هذه الحقيقة لا يمكن ان يغفلها أحد .

" كلا ، لهذا السبب بالذات شعرت بميل الى الاحتمال بأننا أمام جريمة قتل وأن الامر ليس انتحارا على الاطلاق . ولكنى ادركت على الفور اننى لا املك اى دليل يؤيد نظريتى هذه . ولهذا قمت بالمهزلة الصغيرة التى شهدتها هذه الليلة .

فقلت : - ومع ذلك فاننى لا أعرف تفاصيل الجريمة كلها .

- دعنا نبدأ من البداية اذن .. أمامنا امرأة جريئة ، ماكرة ، مولعة بتدبير الدسائس والمكائد ، عرفت أن زوجها على وشك الافلاس فى حين أنها سئمت المعيشة معه ولم تكن قد تزوجته على الرغم من تقدمه فى السن الا طمعا فى ماله ، فتظل به حتى يؤمن على حياته بمبلغ جسيم ثم تبحث بعد ذلك عن طريقة لكى تبلغ الغاية التى

وضعتها نصب عينيها . وتسمع مصادفة بقصة تهديها الى الطريقة المثلى التى تنشدها.. قصة الملازم الشاب . وفى صباح اليوم التالى ، بعد أن حسبت ان الملازم قد ركب عباب البحر وانه فى طريقه الى افريقيا الشرقية تتجول هى وزوجها فى أراضيها وتقول له ، ما أغرب هذه القصة التى سمعناها امس . هل يمكن لرجل أن ينتحر بمثل هذه الطريقة ؟ .. نعم .. ارنى ذلك اذن .. ويمتثل المسكين المغفل فيريها ويضع فوهة البندقية فى فمه فتنحنى عندئذ وتضع يدها على الزناد ضاحكة وتقول فى دلال " والان يا سيدى ، لنفرض أننى أضغط على الزناد "

" وتقرن القول بالعمل وهى تنطق بذلك يا عزيزى هاستنجز وتضغط على الزناد " .

* * *

الفصل الثالث

مغامرة المسكن الرخيص

تبدأ تحريات بوارو فى جميع القصص التى سجلتها عنه حتى اليوم من الواقعة الرئيسية سواء كان ذلك يتعلق بجريمة قتل أو بارتكاب سرقة ثم تستطرد الاحداث وتتوالى بطريقة الاستنتاج المنطقى حتى تصل إلى النهاية السعيدة والنصر المؤكد . ولكن تجمعت فى الوقائع التى سأسردها الآن سلسلة عجيبة من الظروف والملابسات التافهة فى ظاهرها أثارت اهتمام بوارو وافضت بنا إلى نهاية غريبة لقضية من أعجب القضايا التى عرضت لنا .

كنت أقضى الليلة مع صديق حميم لى يدعى جيرالد باركر ، وكان قد التف بنا نحو ستة أشخاص ودار الحديث بيننا فى مواضيع شتى ، ولم يلبث أن ألفى باركر نفسه يتحدث عن المساكن وأزمتها المستحكمة فى لندن ، وكانت الشقق والمساكن هى هواية باركر ، وكان يجد فيها متعته الخاصة ، فمنذ أن انتهت الحرب تنقل بين مايقرب من اثنتى عشرة شقة كاملة ، لايكاد يستقر به المقام فى واحدة حتى يتركها إلى أخرى أفضل منها وأحسن فينتقل إليها بقضه وقضيضه . على أنه لم يكن يخرج من هويته هذه صفر اليدين ، فقد كان رجلا عمليا قبل كل شىء ومع ذلك فهو لم يكن يمارس عمله هذا حبا فى الكسب ، وإنما كان يجد فيه إشباعا لحبه وشغفه بالرياضة . وقد أصغينا إلى باركر بعض الوقت اصغاء المبتدىء للخبير المحترف ، ثم جاء دور كل منا فى الحديث ، وقام بيننا جدل أطلقنا فيه العنان لالسنتنا ، وأخيرا تركنا دفة الحديث

لمسز روبنسون ، وهى عروس شابة ، رقيقة الحاشية مليحة الوجه ، كانت تجلس معنا هى وزوجها ولم أكن قد التقيت بهما من قبل ، لأن روبنسون كان صديقا حديث العهد لجيرالد باركر .

قالت مسز روبنسون :- بمناسبة الحديث عن المساكن ، هل سمعتم عن الشقة الجميلة التى أجرناها يا مستر باركر ؟ .. أنها شقة جميلة حقا .. تقع فى عمارة مونتاجو .

فقال باركر :- حسنا .. طالما قلت أن هناك مساكن كثيرة معروضة للإيجار .. ولكنها مرتفعة الثمن جدا .

- هذا صحيح .. ولكن شقتنا ليست غالية .. بل رخيصة جدا .. إيجارها ثمانون جنيها فى السنة .

- ولكن .. إن عمارة مونتاجو تقع فى حى نايتسبريدج ، أليس كذلك ؟ .. ثم أنها عمارة كبيرة فخمة .. إلا إذا كنت تتحدثين عن عمارة أخرى فى المساكن الشعبية تعرف بنفس الاسم .

- كلا . إننى أتحدث عن عمارة حى نايتسبريدج بالذات . وهى عمارة فخمة حقا .

- هى كذلك . وهى تقع فى حى من أرقى الأحياء فى لندن .. ولكن لابد أن هناك سببا ما .. أظن أنكما دفعتما " خلو رجل " كبير ؟

- ابدا .. لم ندفع شيئا على الإطلاق .

فصاح باركر :- لم تدفعا شيئا ؟ .. أن رأسى يكاد أن ينفجر .

واستطردت مسز روبنسون :- ولكننا اضطررنا إلى شراء الأثاث .

صاح باركر :- كنت أعلم أن هناك ..

- اشتريناه بخمسين جنيها فقط ، وهو ثمن بخس لأثاث جميل .

قال باركر :- أننى لاأفهم شيئا . لاريب أن السكان السابقين معتوهون، ولعل بهم

نزعة لعمل البر والخير .

بدا القلق على مسز روبنسون ، وبانت تجعيدة خفيفة بين حاجبيها وقالت :

- هذا غريب .. أليس كذلك ؟ .. هل تعتقد أن .. أن الشقة مسكونة بالأرواح ؟

قال باركر بلهجة قاطعة :- لم أسمع أبدا عن شقة مسكونة بالأرواح .

وقالت مسز روبنسون : - حقا ؟

واستطردت تقول غير مقتنعة : - ولكن هناك أشياء كثيرة أثارت دهشتى فيما يتعلق بهذه الشقة ، وهى أشياء غريبة حقا .

قلت أحثها على الكلام : - مثال ذلك ؟

وقال باركر : - آه .. اننا أثرنا اهتمام خبيرنا الجنائى .. خففى عن ضميرك يا مسز روبنسون .. أن هاستنجز حلال كبير للاسرار .

ضحكت فى ارتباك ، وان كنت لم أشعر بأى استياء من الصفة التى نسبت الى وقالت مسز روبنسون :

- انها ليست أشياء غريبة اذا اردت الدقة يا كابتن هاستنجز . ولكن حين ذهبنا الى مكتب الوسيطين ستوسر وبول ، ولم نكن قد لجأنا اليهما قبل ذلك لأن المعروف عنهما انهما لا يتوسطان الا فى ايجار الشقق والمساكن الفخمة الغالية التى تقع فى حى مايفير ، ورأينا أخيرا انه لن يضيرنا شئ اذا نحن لجأنا اليهما .. اقول حين ذهبنا الى مكتب هذين الوسيطين كانت المساكن التى عرضاها علينا يبلغ ايجارها ما بين اربعمائة وخمسمائة جنيه فى السنة ، ثم انه كان لابد من دفع " خلو رجل " . كبير الى جانب ذلك . واذ هممنا بالانصراف قيل لنا ان هناك شقة ايجارها لا يتجاوز ثمانين جنيها فى السنة ولكنهما لا يعلمان اذا كان قد تم تأجيرها ام لا لانه انقضت مدة كبيرة ومازالت مدونة فى دفاترهما على الرغم من أنهما ارسلا اليها طلابا كثيرين ، ولا يعقل ان تكون قد بقيت شاغرة حتى اليوم لأنها " لقطة " ثمينة حقا .

وأمسكت مسز روبنسون لكى تسترد نفسها ثم استطردت تقول :

- وشكرنا الموظف وقلنا له اننا نقدر الموقف جيدا وأنه لا بأس من أن نذهب لرؤيتها على كل حال .. وأخذنا سيارة أجرة ومضينا الى هناك رأسا معللين النفس بأنها قد تكون لا تزال شاغرة .. وكانت الشقة هى رقم ٤ وتقع فى الطابق الثانى . وفيما نحن واقفين فى انتظار المصعد هبطت مسز فرجوسن ، وهى صديقة لى يا كابتن هاستنجز ، وكانت تبحث عن شقة هى الاخرى ، هبطت السلم مسرعة وبادرتنى قائلة :

- "هأنذا قد سبقتك مرة أخرى يا عزيزتى ولكن لا جدوى هناك فقد استؤجرت" .

وكان فى قولها هذا فصل الخطاب على ما يبدو ، ولكن جون قال لى أن الايجار رخيص جدا وأن فى مقدورنا أن نعرض مبلغا أكبر أو أن ندفع " خلو رجل " . وهذا شئ بشع بالطبع ، وأشعر بالخجل وانا اتحدث هكذا ، ولكنك تعرف أزمة المساكن فى أيامنا هذه .

وأكدت لها أننى أقدر موقفها وأننى أعرف ما تسببه أزمة المساكن من مشاكل تبخرت امامها أسمى القيم الانسانية ، وأن أصحاب البيوت ممن لا اخلاق لهم وجدوا فيها فرصة للاستغلال والاثراء ضاربين بظروف الساكن عرض الحائط .

- وهكذا صعدنا فاذا بالشقة لم تؤجر بعد . وطافت بنا الخادمة ترينا اياها ثم اقبلت السيدة التى تشغلها بعد ذلك ، وتم التفاهم بيننا على كل شئ وتسلمنا الشقة بعد أن دفعنا خمسين جنيها ثمنا للاثاث ، ووقعنا العقد فى اليوم التالى وسننتقل اليها غدا .

وتوقفت مسز روبنسون فى زهو وانتصار . وسألها باركر : - وما قولك فى مسز فرجوسن ؟ .. دعنا نسمع استنتاجك يا هاستنجز .

فقلت فى استخفاف : - الامر واضح يا عزيزى واطسن .. انها ذهبت الى شقة اخرى .

فصاحت مسز روبنسون فى اعجاب : - أوه يا كابتن هاستنجز .. ما أذكاك !

والحق اننى تمنيت فى تلك اللحظة لو أن بوارو كان موجودا ، فأننى أشعر احيانا بأنه لا يقدر مواهبى .

* * *

كانت القصة كلها تدعو الى الاستغراب حقا . وقد ذكرت الحقائق لبوارو متهكما فى اليوم التالى . ولكن الغريب انه بدا عليه الاهتمام ، وراح يسألنى مدققاعن ايجار الشقق فى مختلف الاحياء ، ثم قال أخيرا فى تفكير :

- هذه قصة غريبة يا هاستنجز .. معذرة .. سأتمشى قليلا .

وحين عاد بعد نحو ساعة كانت عيناه تبرقان فى انفعال شديد ، والقى عصاه فوق المكتب ونفض قبعته فى عناية فائقة كعادته دائما قبل أن يتكلم ثم قال :

- من حسن الحظ يا صديقى انه ليس هناك ما يشغلنا فى هذه الايام . وبما أننا لا نضطلع بالتحقيق فى أى قضية فاننا نستطيع ان نكرس كل وقتنا فى استقصاء هذه المشكلة .

- أى مشكلة تعنى ؟

- مشكلة هذه الشقة الرخيصة .. شقة صديقتك مسز روبنسون .

- هل تمزح يا بوارو ؟

- بل اننى أجد كل الجد . تصور يا صديقى أن الايجار الحقيقى لهذه الشقة هو ثلاثمائة وخمسون جنيها فى العام .. اننى تأكدت من ذلك فى مكتب الوسيطين ، ومع ذلك فقد أجرت هذه الشقة بثمانين جنيها فقط فلماذا ؟

- لا ريب ان هناك سببا ما .. لعلها مسكونة كما قالت مسز روبنسون .

هز بوارو رأسه فى استياء وقال : - لو صح هذا فان من المستغرب حقا ان تقول

لها ان الشقة قد استؤجرت ثم تجد انها لم تؤجر اطلاقا حين صعدت .

– مما لاشك فيه انك توافقنى على أن هذه الصديقة قد ذهبت الى شقة أخرى .. هذا هو الحل الوحيد الممكن .

– من الجائز أن تكون على حق فى هذا القول ومن الجائز ان لا تكون يا هاستنجز . ومهما يكن من أمر فما زالت امامنا حقيقة أخرى وهى أن اناسا كثيرين مضوا لاستئجار هذه الشقة وأنه على الرغم من رخص ايجارها ظلت معروضة للايجار الى ان ذهبت مسز روبنسون فاستأجرتها .

– ذلك يدل على أنه حدث خطأ ما .

– ولكن مسز روبنسون لم تلحظ اى خطأ ، وهذا امر مستغرب حقا ،اليس كذلك ؟ قل لى ما هو شعورك نحوها يا هاستنجز ، هل أحسست بأنها امرأة صادقة .

– انها مخلوقة ظريفة جدا .

– طبعا ، ما دامت قد جعلتك غير جدير بالرد على سؤالى . صفها لى إذن .

– حسنا .. انها طويلة القامة ، مليحة الوجه ، شعرها جميل حقا ، أسمر اللون يميل الى الاحمرار .

قال بوارو : طالما افتنك الشعر الاسود الذى يميل الى الاحمرار .. ولكن استمر .

واستطردت اقول فى شئ من الوهن : – عينان زرقاوان وبشرة جميلة .. وأظن أن هذا كل شئ .

– وزوجها ؟

– اوه .. انه رجل لطيف حقا .. لا شئ فيه يلفت النظر .

– هل هو أسمر او أشقر .

– لا أدرى .. بين بين . عادى الملامح .

هز بوارو رأسه وقال : – نعم .. هناك مئات من الرجال من هذا النوع . ومع ذلك..

انك تبدى اهتماما وتعاطفا أكثر فى وصفك للسيدات .. هل تعرف شيئا فيما يتعلق بهذين الزوجين ؟ .. أو هل يعرفهما باركر جيدا ؟ .

- أظن انهما صديقان حديثا العهد . ولكن لا تعتقد حقا يا بوارو .

رفع بوارو يده وقال : - على رسلك يا صديقى .. هل قلت لك اننى أظن شيئا .. كل ما أقول هو ان هذه القصة تبدو غريبة بعض الشئ .. وليس هناك ما يفسر غرابتها هذه فيما عدا اسم السيدة على ما أظن .. ما اسمها يا هاستنجز ؟

فأجبت فى جفاء : - اسمها ستيللا .. ولكنى لا ارى . قاطعنى بوارو وهو يقهقه . وخيل لى ان شيئا ما قد أطربه . وقال :

- وستيللا معناها نجمة . اليس كذلك ؟ .. هذا عظيم ! ..

- ماذا تعنى بحق الشيطان ؟

- والنجمة تمدنا بالضوء والنور ، اليس كذلك ؟ .. هدئ من روعك يا هاستنجز ، ولا تنظر الى هكذا ، كما لو كنت قد جرحت كرامتك . تعال معى ، سنذهب الى عمارة مونتاجو للقيام ببعض التحريات .

رافقته وانا كاره . كانت العمارة فخمة حقا ، عبارة عن مجموعة من المساكن التى تدل على الترف والبذخ ووقف البواب فى حلته الرسمية ، على عتبة العمارة يعرض نفسه لاشعة الشمس - وخاطبه بوارو قائلا :

- معذرة ، ولكن هل تستطيع ان تذكر لى اذا كان مستر روبنسون وزوجته يقيمان هنا ؟

كان البواب من النوع الذى لا يسهب فى الكلام والذى يبدو متشككا متجهما ، وقد ألقى علينا نظرة خاطفة وقال :

- الطابق الثانى ، الشقة رقم ٤ .

اشكرك .. هل يمكنك ان تذكر لى منذ متى يقيمان هنا ؟

- منذ ستة شهور .

أجفلت فى شئ من الدهشة ، ولحظت ابتسامة بوارو الخبيثة فقلت :

- محال .. لاريب أنك مخطئ .

- منذ ستة شهور .

- هل أنت واثق ؟ .. ان السيدة التى أعنيها طويلة القامة ، مليحة الوجه ، لها شعر أحمر و ..

قاطعنى البواب قائلا : - انها هى .. أقبلت من ميكائلماس ، هى وزوجها ، منذ ستة شهور .

وبدا لى أنه فقد اهتمامه بنا ، وابتعد عنا فى بطء نحو البهو .. وتبعت بوارو الى الخارج وقال صديقى متخابثا :

- حسنا يا هاستنجز..هل تعتقد الان ان هذه المخلوقة الظريفة قدأصدقتك القول ؟

لم انطق .

اتجه بوارو نحو شارع برومبتون قبل أن أسأله ماذا ينوى ان يفعل والى أين يذهب؟

- الى مكتب الوسيطين يا هاستنجز .. أننى أتلهف للحصول على شقة فى عمارة مونتاجو ، واذا لم اخطئ فهناك أحداث على جانب من الاهمية وشيكة الوقوع .

وأسعدنا الحظ فى مقصدنا فقد كانت الشقة رقم ٨ بالدور الرابع معروضة للايجار مفروشة بعشرة جنيهات فى الاسبوع ، واستأجرها بوارو لمدة شهر على الفور . وحين خرجنا الى الشارع من جديد قال ردا على احتجاجاتى :

- اننى ربحت بعض المال فى الايام الاخيرة ، ولا أرى بأسا من أرضاء احدى نزواتى . وبهذه المناسبة ، هل معك مسدس يا هاستنجز ؟

فأجبت فى شئ من الخوف : - نعم .. انه فى مكان ما .. هل تظن ؟ ..

- انك قد تحتاج اليه ؟ .. هذا جائز .. أرى أن الفكرة تروق لك .. ان الاثارة

والخيال يروقان لك .

وجاء علينا اليوم التالى وقد اتخذنا مقامنا فى مسكننا الجديد المؤقت ، وكانت الشقة مؤثثة بذوق سليم تستريح النفس اليه ، وتشغل من العمارة نفس الموقع الذى تشغله شقة آل روبنسون فى الطابق الذى يعلوها .

وكان اليوم التالى لانتقالنا الى تلك الشقة يوم أحد . وترك بوارو باب المسكن مواربا بعد ظهر ذلك اليوم واستدعانى على عجل على أثر صوت اصطفاق باب فى أحد الادوار السفلى .

- انظر من فوق السياج يا صديقى .. هل هذان هما مستر ومسز روبنسون ؟

وأطللت بعنقى فوق السياج ثم قلت هامسا : - انهما هما .

- حسنا . لننتظر لحظة .

وبعد نحو نصف ساعة خرجت امرأة شابة ترتدى ثيابا زاهية متنوعة الالوان . ودخل بوارو مسكننا وهو يتنهد فى ارتياح وقال :

- حسنا .. الخادمة بعد السيد والسيدة .. لابد أن الشقة أصبحت شاغرة الان .

فسألته فى شئ من الجزع : - ماذا تنوى أن تفعل ؟

وكان بوارو قد انتقل الى المطبخ وراح يشد اليه حبل المصعد الخاص بنقل الفحم فأجابنى فى ابتهاج :

- سنهبط الان بالطريقة التى تستخدم فى نقل صناديق القمامة ، ولن نخشى شيئا فاليوم يوم أحد والكل فى شغل شاغل عن هرقل بوارو .. تعال معى يا صديقى .

ودخل المصعد الصغير ، وأتبعته فى حذر ، وسألته فى شئ من القلق :

- هل تنوى أن تقتحم الشقة ؟

ولم يبعث رد بوارو الاطمئنان الى قلبى فقد قال : - لن نفعل ذلك اليوم على كل حال .

وجذب الحبل فهبط بنا المصعد حتى بلغنا الطابق الثانى . وندت عن بوارو صيحة ارتياح وهو يرى أن الباب الخشبى الذى يؤدى الى المطبخ غير موصد بالمفتاح ، وقال :

- أرأيت " .. انهم لا يقفلون هذه الابواب بالرتاج اثناء النهار أبدا يا صديقى . ومع ذلك ففى مقدور كل امرئ أن يصعد ويهبط كما فعلنا نحن الان .. حسنا .. نعم.. انهم يوصدونها فى الليل طبعا ولكننى سأعالج الامر لكيلا يحدث ذلك فى القريب العاجل .

وأخرج بعض الادوات من جيبه وهو يتكلم ، وشرع فى العمل فورا . وكان غرضه من ذلك معالجة الرتاج لكى يتمكن من دفعه من الخارج اذا اقتضى الأمر وأخذت منه هذه العملية نحو ثلاث دقائق ثم أعاد الادوات الى جيبه .وعدنا بعد ذلك الى مسكننا.

* * *

قضى بوارو طوال يوم الاثنين فى الخارج ، ولكنه حين عاد فى المساء تهالك على مقعد وهو يتنهد ارتياحا وقال :

- هل أروى لك قصة صغيرة يا هاستنجز ؟ .. قصة من تلك القصص التى يهواها قلبك والتى تذكرك بالأفلام المثيرة لديك ؟

فضحكت وقلت : - تكلم .. أظن انها قصة حقيقية وليست من نسج خيالك .

- بل قصة حقيقية وقعت حقا يا ها ستنجز . وسيؤكد لك المفتش جاب صحتها لاننى استقيتها من مكتبه .. اصغ الى .. منذ نحو ستة شهور سرقت بعض الرسومات البحرية من أحد مكاتب الحكومة الامريكية وهذه الرسوم تتعلق ببعض المعدات الخاصة بالدفاع عن موانئ أمريكا وتساوى مبلغا جسيما من المال فى نظر أى دولة أجنبية .. ولتكن اليابان مثلا .. وقد اقتصرت الشبهة على شاب يدعى لويجى فالدارنو ، ايطالى المولد يعمل فى وظيفة صغيرة بالحكومة الامريكية ، واختفى فى نفس الوقت الذى اختفت فيه الأوراق المذكورة . وسواء كان لويجى فالدارنو هو السارق أم لا فقد

عثر عليه بعد يومين من السرقة في الحى الشرقى من نيويورك وقد أصيب بطلق نارى فى مقتله . ولم يعثروا على الرسومات معه . وثبت أن لويجى فالدارنو كان يخرج فى الفترة الاخيرة مع السا هارت ، وهى مغنية شابة ظهرت أخيرا ، وكانت تقيم مع أخ لها فى أحد المساكن بمدينة واشنطن ، وقد اختفت هذه الفتاة فى نفس الوقت الذى لقى فيه فالدارنو مصرعه . وهناك أسباب تجعلنا نعتقد أن مس هارت هذه ما هى الا جاسوسة دولية قامت بأعمال كثيرة شائنة تحت اسماء مستعارة . وكان مكتب مكافحة الجاسوسية يقتفى آثارها ويهتم فى نفس الوقت ببعض الشبان اليابانيين الذين يقيمون فى واشنطن . وكانوا واثقين من أن السا هارت ما أن تفلح فى الاختفاء حتى تحاول الاتصال بهؤلاء اليابانيين . وقد غادر أحد هؤلاء الاخيرين أمريكا قادما الى انجلترا فجأة منذ اسبوعين ، وهذا معناه أن السا هارت موجودة الان فى انجلترا .

وأمسك بوارو لحظة ثم أردف يقول فى رقة :

- وأوصاف السا هارت الرسمية هى الطول خمسة أقدام وسبع بوصات . عينان زرقاوان وشعر أسمر يميل الى الاحمرار ، لها بشرة جميلة وأنف مستقيم ، ليس بها أية علامة مميزة .

فصحت : - ولكن هذه أوصاف مسز روبنسون .

فقال بوارو : - حسنا .. الاحرى أن تقول أنها أوصاف تنطبق عليها . وقد علمت كذلك أن رجلا أسمر اللون أجنبى الجنسية كان يتحرى اليوم عن شاغلى الشقة رقم ٤ صباح اليوم بالذات . ولهذا أعتقد انه يجب ألا تخلد الى النوم الليلة وأن تعكف على السهر معى طوال الليل فى الشقة التى تحت ومعك مسدسك بالطبع .

فقلت فى حماس : - طبعا . ومتى نبدأ ؟

- أعتقد أن ساعة انتصاف الليل هى الساعة المناسبة طبعا ، فاننى لا أظن أن شيئا قد يحدث قبل ذلك .

وفى تمام منتصف الليل دخلنا المصعد الخاص بنقل الفحم فى حذر وهبطنا حتى الطابق الثانى . وعالج بوارو الباب الخلفى وفتحه ، ولم نلبث أن دخلنا الشقة ، وانتقلنا من غرفة الخزين الى غرفة المطبخ ، وجلسنا فى مقعدين وثيرين بعد أن تركنا باب الردهة مفتوحا . وقال بوارو فى ابتهاج وهو يطبق عينيه : - ما علينا الان الا الانتظار .

وبدأ الانتظار . وكان انتظارا طويلا بالنسبة لى وخشيت أن يغلبنى النوم وفى اللحظة التى خيل لى فيها اننى قضيت نحو ثمانى ساعات ساهرا فى حين أنها لم تتجاوز الساعة والربع كما تحققت فيما بعد تناهى الى سمعى صوت احتكاك خافت ، ولمست يد بوارو ذراعى على الفور ، فنهضت واقفا وسرنا معا صوب البهو حيث صدر الصوت . ووضع بوارو شفتيه على اذنى وقال :

- خارج الشقة .. الباب العمومى .. هناك من يغتصب القفل الان .. لا تأت بأى حركة الا اذا قلت لك . وعندئذ .. عندئذ فقط عليك أن تهجم عليه من الخلف وان تمسكه جيدا .. ولكن كن على حذر فسيكون معه خنجر .

ولم نلبث أن سمعنا صوتا له دلالاته . وانبعث على أثره بصيص من النور من عقب الباب انطفأ فجأة ثم فتح الباب فى بطء والتصقت انا وبوارو بالحائط وسمعت رجلا يتنفس وهو يمر بى . ثم أشعل مصباحا كهربائيا ، وما كاد يفعل حتى همس بوارو فى أذنى قائلا .

- الان ! .

واندفعنا معا ، فغطى بوارو رأس الرجل بحركة سريعة بوشاح خفيف من الصوف حتى خياشيمه فى حين شللت أنا حركة يديه . وحدث كل ذلك بسرعة عجيبة وبدون أن يصدر منا صوت ووقع الخنجر من يده . وانزل بوارو الوشاح عن عينى الرجل واحتفظ به مشدودا عند مستوى فمه . وعندئذ لوحت بمسدسى أمام عينيه بحيث أدرك أن

المقاومة لن تجديه فتيلا . واذ رأى ذلك كف عن المقاومة فعلا . وألصق بوارو فمه باذن الرجل وراح يتكلم همسا وبسرعة . وما هى الا دقيقة حتى اومأ الرجل برأسه علامة على الموافقة . وأشار بوارو الى الرجل أن يلتزم الصمت ثم تقدم خارج الشقة وهبط السلم . وتبعه أسيرنا فى حين سرت أنا فى المؤخرة وأنا لا أزال ممسكا بالمسدس فى يدى ، وعندما خرجنا الى الشارع تحدث بوارو الى وقال :

- هناك سيارة أجرة تنتظر فى آخر الشارع . اعطنى المسدس فلن نحتاج اليه بعد الان .

- ولكن قد يحاول صاحبنا هذا الهرب .

ابتسم بوارو وقال : - انه لن يهرب .

وعدت بسيارة الاجرة بعد لحظة . وكان بوارو قد رفع الوشاح عن رأس الرجل ، ونظرت الى هذا الأخير فى شئ من الدهشة وهمست فى اذن بوارو :

- ولكنه ليس يابانيا .

- ان قوة الملاحظة هى ميزتك الكبرى يا هاستنجز .. لا شئ يفلت منك حقا .. كلا ان صاحبنا ليس يابانيا .. انه ايطالى .

وركبنا سيارة الاجرة . وذكر بوارو للسائق رقما فى شارع وود . وتملكتنى حيرة كبيرة ولم أشأ أن أسأل بوارو أين نذهب ومعنا أسيرنا ، وبذلت جهدا كبيرا ضاع عبثا لكى أصل الى بعض تطورات الموقف .

وهبطنا من العربة أمام بيت صغير يقع بعيدا عن الشارع بقليل . ومر بنا رجل مخمور كان يتمايل فى طريقه وأوشك أن يصطدم ببوارو فنهره هذا الاخير وأغلظ له القول ، وصعدنا نحن الثلاثة الدرجات القلائل المؤدية الى باب البيت . ودق بوارو الجرس وطلب منا أن نقف بعيدا . ولم يجبه أحد فدق الجرس مرة أخرى ثم أمسك بالمطرقة وراح يدق بها الباب بضع دقائق فى عنف .

وظهر النور فى احدى النوافذ ثم فتح الباب قليلا وفى حذر .وسأل سائل فى حدة :

- ماذا تريد بحق الشيطان ؟

- أريد الطبيب .. ان زوجتى مريضة .

- ولكن ليس بالبيت طبيب .

وهم الرجل بأن يغلق الباب . ولكن بوارو دفعه بقدمه الى الامام فى براعة فلم يتمكن الرجل من اغلاقه . وقال بوارو وهو يتظاهر بالحنق والغضب :

- ماذا تقول ؟ .. ليس بالبيت طبيب ! ... ان القانون معى ويجب أن تأتى .. سأظل مكانى هنا ، وسأدق الجرس وأطرق الباب طوال الليل اذا كان لابد من ذلك .

- ولكن يا سيدى العزيز ..

وفتح الرجل الباب مرة أخرى وتقدم من بوارو بضع خطوات وهو يردد البصر حوله فى وجل وكان يرتدى منامة ويلبس خفا . وقال بوارو :

- سأستدعى البوليس .

وهم بأن يهبط الدرجات الامامية للبيت ، ولكن الرجل أسرع خلفه قائلا :

- كلا . لا تفعل بحق السماء .

الا أن بوارو دفعه بكتفه عنه فجأة فترنح الرجل واضطر أن يهبط بضع درجات فى محاولته الاحتفاظ بتوازنه . وما هى الا دقيقة حتى كنا قد اندفعنا نحن الثلاثة داخل البيت وأغلقنا الباب خلفنا وأوصدناه بالرتاج .

وقال بوارو : - أسرعا .. من هنا .

ومضينا الى أقرب غرفة . وأضاء بوارو النور وأردف يقول : - أما أنت فاختف خلف هذه الستارة .

فأجابه الايطالى : حسنا يا سيدى .

وأسرع فتسلل خلف الستارة المخملية السميكة التى تغطى النافذة . وما كاد

صاحبنا يختفى حتى اندفعت امرأة داخل الغرفة ، وكانت طويلة القامة مليحة الوجه ذات شعر أحمر وترتدى كيمونو قرمزى اللون . وصاحت وهى تنظر الينا فى وجل :

- أين زوجى .. ومن أنتما ؟

تقدم بوارو اليها وقال وهو ينحنى : - أرجو ألا يتأثر من البرد ، فقد لا حظت أنه يرتدى منامة ثقيلة تبعث الدفء الى جسده ، وينتعل بخف يقيه لسعات الارض .

- من انتما ؟ .. وماذا تفعلان فى بيتى ؟

- الواقع أن ما من أحد منا سبق له التشرف بمعرفتك يا سيدتى .. وانه لما يؤسف له حقا ان واحدا منا أقبل من نيويورك لكى يلتقى بك بالذات .

انفرجت الستارة فى هذه اللحظة وتقدم الرجل الايطالى . وما كان أشد فزعى حين رأيته ممسكا بمسدس فى يده ، ولا ريب أن بوارو كان قد ألقاه بجواره على مقعد العربة، ولم يهتم به بعد ذلك .

اطلقت المرأة صيحة حادة ، وتحولت تريد الهرب ولكن بوارو كان واقفا أمام الباب المغلق فصاحت به :- دعنى .. انه سيقتلنى .

فسألها الايطالى فى صوت أجش وهو يشهر سلاحه ويصوبه الينا جميعا بحيث لم نستطع الحراك :

- من الذى قتل لويجى فالدارنو ؟

وصحت أقول : - ياالهى يا بوارو ! .. هذا فظيع ! .. الا نفعل شيئا ؟

- أكون ممتنا لك اذا أنت لم تنطق يا هاستنجز .. يمكننى ان اؤكد لك ان صديقنا لن يطلق النار الا اذا أمرته أنا بذلك .

فقال الايطالى وهو ينظر اليه شذرا : - هل تظن ذلك حقا ؟ .

وكان هذا أكثر مما أحتمل ، ولكن المرأة تحولت الى بوارو كالسهم وقالت :

- ماذ اتريد؟

انحنى بوارو فى رقة وأجاب : - لا أظن ان من الضرورى أن أهين ذكاء الانسة السا هارت بأن اقول لها ما أريد .

وبحركة سريعة اختطفت المرأة قطعة كبيرة من المخمل الاسود لاشك انها كانت تستخدمها فى تغطية جهاز التليفون وقالت :

- انها فى البطانة .

فتمتم بوارو فى تقدير : - هذا منتهى الذكاء .

وتنحى عن الباب واستطرد يقول : - طابت ليلتك يا سيدتى . سأحتجز صديقك الذى أقبل من نيويورك ريثما تهربين .

ولكن الايطالى الضخم صاح يقول : - يا لك من أحمق مأفون !

ورفع المسدس وأطلق النار على المرأة الهاربة فى تفس اللحظة التى رميت بنفسى فيها فوقه ولكن المسدس أصدر صوتا خافتا غير مؤذ ، وارتفع صوت بوارو يقول فى لوم رقيق :

- لن تثق ابدا بصديقك الحميم يا هاستنجز . لا يهمنى ان يحمل صديق لى مسدسا محشوا ، ولكنى احرص دائما على ألا أدع شخصا لا أعرفه يحمل مسدسا محشوا .. كلا .. كلا يا صديقى .

نطق بوارو بالكلمات الاخيرة وهو يخاطب الايطالى وكان هذا الاخير يسب ويلعن فى صوت أجش . واستطرد بوارو يقول فى عتاب رقيق :

- الا ترى ماذا فعلت لك ؟ .. اننى انقذتك من الاعدام شنقا ، ولا تظن ان صديقتنا الجميلة ستتمكن من الهرب . كلا ، كلا . فالبيت محاصر من كل جهة . انها ستلقى بنفسها بين ايدى رجال البوليس مباشرة . الا تجد هذه الفكرة جميلة ، اليس فيها بعض العزاء لك ؟ .. نعم . يمكنك أن تغادر الغرفة الان ، ولكن كن حريصا .. أننى .. آه انه انطلق .. وصديقى هاستنجز ينظر الى معاتبا . ولكن كل هذا كان امرا

سهلا هينا .. كان من الواضح منذ البداية ان من بين الكثيرين من مئات طالبى الشقة رقم ٤ بعمارة مونتاجو قد تمكن زوجان باسم روبنسون من الحصول على الشقة دون غيرهما فلماذا ؟ .. وما الذى يميزهما عن الكثيرين غيرهما ؟ .. من اول نظرة .. هيئتهما ؟ .. هذا جائز . ولكن من المؤكد أن اسمهما كان له دخل فى ذلك .

فصحت : - ولكن اسم روبنسون عادى .. كثير الشيوع .

- حقا ... هذا هو بيت القصيد .. ان السا هارت وزوجها او اخاها او سمه ما شئت اقبلا من نيويورك واستأجرا شقة باسم مستر ومسز روبنسون . ولكنهما لا يكادان يفعلان ذلك حتى يعلما فجأة أن احدى الجمعيات السرية .. المافيا .. أو الكامورا .. التى ينتمى اليها لويجى فالدارنو ، قد أطلقت رجالها خلفهما فماذا يفعلان ؟ فكرا فى خطة لم يكن هناك أسهل منها . كان من الواضح أن الذين يسعون خلفهما لا يعرفونهما شخصيا ولهذا فكرا فى طريقة من السهولة بمكان . فقد خطر لهما أن يعرضا الشقة للايجار بسعر منخفض وهما يعللان النفس بأنه لابد أن يكون بين مئات الازواج الذين يبحثون عن مساكن فى لندن زوجان باسم روبنسون .

ولم تكن المسألة بالنسبة لهما اكثر من مسألة انتظار . واذا أنت تصفحت دليل التليفونات لتحققت أن امرأة حسناء باسم مسز روبنسون لابد أن تأتى ان عاجلا أو آجلا .. ثم ماذا يحدث بعد ذلك .. سيأتى المنتقم فيضرب ضربته وينتهى كل شئ فيتم للجمعية السرية الانتقام وتفلت مس ألسا هارت بجلدها مرة أخرى . وبهذه المناسبة يا هاستنجز يجب أن تقدمنى الى مسز روبنسون الحقيقية ، تلك المخلوقة الجميلة الظريفة .. ماذا تراها تقول حين تجد أن شقتها قد اغتصبت هكذا ؟ .. يجب ان نعجل بالعودة . آه .. ها قد أقبل جاب ورجاله .

سمعت طرقة قوية على الباب . وسألت بوارو وأنا اتبعه فى البهو :

- كيف عرفت هذا العنوان ؟ .. اوه .. انك اقتفيت اثر مسز روبنسون حين غادرت

الشقة الاخرى طبعا ! .

- تماما يا هاستنجز .. ها انت تستخدم عقلك أخيرا .. هناك مفاجأة صغيرة تنتظر جاب .

وفتح الباب فى رفق وأخرج رأس القطة خارجة وهو يقول : مياو ! .

وكان مفتش البوليس يقف بالخارج ويرفقته رجل آخر . وما أن سمع الاول كلمة "مياو " حتى أجفل على الرغم منه وصاح يقول وهو يرى رأس بوارو خلف القطة .

- اوه .. هذا مسيو بوارو يمارس احدى دعاباته .. دعنا ندخل .

- هل القيت القبض على اصحابنا ؟

- نعم .. القينا القبض عليهم جميعا .. ولكننا لم نجد " البضاعة " معهم .

- آه ! .. وجئت تبحث عنها هنا ؟ .. حسنا .. اننى كنت أهم بالانصراف انا وهاستنجز ، ولكن مادمت قد جئت فاننى ارى أن أسرد عليك قصة صغيرة عن عادات وطباع القطط الاليفة .

- هل جننت بالله يا رجل ؟

ولكن بوارو استطرد يقول : - كان قدماء المصريين يقدسون القطة ويصيدونها . واذا حدث واعترضت قطة سوداء طريق احد ما فهذا فأل حسن . وهذه القطة السوداء بالذات قد اعترضت طريقك الليلة يا جاب . والحديث عما يوجد فى بطون الحيوانات أو بطون البشر ليس من الاحاديث المستحبة و المهذبة فى انجلترا ، ومع ذلك فان فى بطن هذه القطة شيئا حساسا .. بل شديد الحساسية .. اعنى فى البطانة .

ندت عن الرجل الاخر زمجرة خشنة وانتزع القطة من بوارو فقال جاب :

- اوه .. اننى نسيت أن اقدمك .. مسيو بوارو .. اقدم اليك مستر بارت من قلم المخابرات الامريكية .

وراحت أصابع الامريكى تتحسس ما يبحث عنه ، وان هى الا لحظات حتى مد يده

وقد خانه النطق ولكنه لم يلبث ان استرد جأشه وقال :

- يسرني ان اتعرف بك .

* * *

الفصل الرابع

سر القصر

تمتم بوارو يقول : - ومع ذلك فمن الجائز أن لا أموت هذه المرة .

واذ سمعت هذا القول من مريض يتماثل للشفاء من نزلة شعبية حادة رأيت ان فيه رنة تفاؤل ، فقد تعرضت انا نفسى لهذه العلة قبله ، ولم يلبث ان وقع بوارو فريسة لها بدوره . وكان يجلس الان فوق الفراش مضطجعا بظهره على الوسادة وقد لف رأسه بشال من الصوف وراح يرشف مشروبا ساخنا مريرا اعددته له طبقا لتعليماته . واستقرت عيناه فى سرور على صف من الزجاجات والقنانى الطبية المصفوفة فوق رف الموقد .

واستطرد يقول :- نعم . نعم يا صديقى . مرة أخرى أعود الى نفسى ، انا هرقل العظيم، عدو المجرمين المخيف .. تصور يا صديقى ان الجرائد تتكلم عنى فى أخبار الناس .. نعم.. هو ذلك .. وهاك ما تقول : " أيها المجرمون ، يمكنكم انتهاز الفرصة ولكم أن تمرحوا كما تشاءون فان هرقل بوارو .. هرقل العظيم .. مخبرنا السرى المشهور لا يستطيع شيئا ضدكم .. هل تعرفون لماذا ؟ ..ذلك لانه مصاب بالانفلونزا .

ضحكت وقلت : - هذه نقطة فى صالحك يا بوارو فانك أصبحت شخصية مرموقة ولحسن الحظ لم تفقد شيئا ذا أهمية تذكر فى هذه الايام الاخيرة

- هذا صحيح .. فأننى لم أشعر باى ندم على القضايا النادرة التى رفضت الأضطلاع بها .

أطلت صاحبة البيت برأسها من الباب فى هذه اللحظة وقالت :

- اقبل رجل يقول انه يريد ان يرى مسيو بوارو او الكابتن هاستنجز ، واذ رأيت أنه بادي الاضطراب وأن مظهره يدل على أنه جنتلمان فانني أحضرت بطاقته .

وناولتني البطاقة وقرأت فيها هذا الاسم :

مستر روجر هافيرنج

أشار بوارو برأسه الى دولاب الكتب فاطعته وجئته بدليل رجال المجتمع . وتناوله بوارو مني وراح يقلب صفحاته على عجل ثم قال :

- هو الابن الثاني للبارون وندسور الخامس تزوج فى سنة ١٩١٣ بزويه ، الابنة الرابعة للمدعو ويليام كراب .

فقلت : - أوه .. أعتقد أنها هى التى كانت تقوم بادوار البطولة فى مسرح الفريفوليتى ، ولكنها كانت تدعو نفسها زويه كاريسبروك .. واذكر انها تزوجت بشاب من أهالى المدينة قبل الحرب .

- هل لك ان تهبط يا هاستنجز وان ترى ما هى مشكلة صاحبنا هذا ؟ .. قدم له اعتذاري .

كان روجر هافيرنج رجلا فى نحو الاربعين : حسن الهندام انيق المظهر ، ولكنه كان يبدو ممتقع اللون زائغ النظرات ، وكان واضحا أنه فريسة انفعال كبير . وقال :

- كابتن هاستنجز ؟ .. أظن انك شريك مستر بوارو ؟ .. من الضرورى ان يأتى معى الى دربشاير اليوم .

فقلت : - اخشى ان يكون ذلك متعذرا فان بوارو مريض وملازم للفراش . أنه مصاب بالانفلونزا .

اكفهر وجهه وقال : - يا الهى ! .. هذه صدمة شديدة لى .

- هل تريد ان تراه لأمر هام ؟

- نعم .. فان خالى ،وهو أعز صديق لى فى هذه الدنيا ، قتل فى الليلة الماضية .

- هنا فى لندن ؟

- كلا . بل فى دربشاير . كنت فى المدينة وجاءتنى برقية من زوجتى صباح اليوم وما ان تسلمتها حتى اسرعت بالقدوم لاطلب من مسيو بوارو ان يحقق فى هذه الجريمة .

قلت وقد خطرت لى فكرة طارئة : - ارجو أن تلتمس لى العذر دقيقة واحدة .

واندفعت أرقى السلم ، وفى كلمات قلائل اطلعت بوارو على الموقف ، وقاطعنى يقول دون أن يترك لى فرصة للمزيد :

- فهمت .. فهمت .. وتريد أن تذهب أنت نفسك أليس كذلك ؟ .. ولم لا .. انك أصبحت تعرف طريقتى . وكل ما اطلبه منك هو ان تقدم لى تقريرا وافيا كل يوم ، وان تتبع تعليماتى التى قد ابرق اليك بها بكل دقة .

وأبديت له استعدادى لذلك .

* * *

بعد ساعة كنت جالسا امام مستر هافيرنج فى مقصورة بالدرجة الاولى فى قطار ميرلاند وهو ينطلق مسرعا الى لندن .

وبدا يتكلم فقال : - يجب ان تفهم قبل كل شئ يا مستر هاستنجز أن هنتر لودج ، حيث نذهب الان وحيث وقعت المأساة ، ما هو الا بيت صغير للصيد اقيم فى أراضى دربشاير اما القصر الحقيقى فيقع على كثب من نيوماركت . ونحن نستأجر عادة مسكنا فى المدينة لقضاء الموسم . وتشرف على هنتر لودج امرأة جديرة بان تفعل كل ما نحتاج اليه حين نذهب لقضاء عطلة نهاية الاسبوع هناك ، ومن المفهوم طبعا اننا ننتقل الى نيوماركت فى موسم الصيف ومعنا بعض الخدم للاشراف على خدمتنا . وخالى مستر هارنجتون بيس (ولعلك تعرف أن اسمه قبل الزواج هو مستر بيس من

نيويورك) يقيم معنا منذ ثلاث سنوات لم يكن متفاهما البته مع أبى ولا أخى الاكبر، ولعل السبب فى كونى الابن الاصغر المدلل هو جعل حبه لى يزداد بدلا من ان يضعف . وانا طبعا رجل فقير . وكان خالى ثريا ، او اذا اردت الحق ، كان هو الذى يقوم بالانفاق على البيت . ولكن على الرغم من تشدده فى بعض الاحيان . فقد كانت الاقامة معه ميسورة . وهكذاعشنا نحن الثلاثة فى أتم ود وصفاء . ومنذ يومين ، وكان خالى قد احس بالتعب والارهاق على اثر اغتراف بعض الملذات التى انهمكنا فيها اثناء وجودنا فى المدينة فاقترح ان نعود للاقامة فى دربشاير يوما أو يومين .. وأبرقت زوجتى لمسز ميدلتون المشرفة على البيت ، وانتقلنا اليه فى نفس اليوم ، ولكننى اضطررت الى العودة الى المدينة فى اليوم نفسه فى حين بقيت زوجتى مع خالى بالبيت . وجاءتنى هذه البرقية صباح اليوم .

تعال حالا . خالك هارنجتون قتل الليلة الماضية .

أحضر معك مخبرا سريا اذا أمكن .. تعال فورا .

زويه

– اذن فانت لا تعرف التفاصيل بعد ؟

– كلا . أعتقد أن كل شئ سيكون فى جرائد المساء ولاشك أن البوليس يتحرى الأمر الان .

وبلغنا محطة المرزيل الصغيرة فى نحو الساعة الثالثة ، ومنها أخذنا عربةً قطعت بنا خمسة أميال قبل أن نصل الى بيت صغير مبنى بالطوب الداكن اللون فى وسط الاراضى الوعرة .

وقلت وانا ارتجف : انه مكان منعزل .

هز هافيرنج رأسه وقال : سأحاول التخلص منه ، لاننى لن استطيع الاقامة هنا بعد ذلك .

وفتحنا الباب ، وكنا نعبر الغرفة الضيقة التى تؤدى الى الباب الخشبى حين ظهر منه رجل أعرفه فهتفت أقول :

- جاب !

نظر مفتش البوليس بإدارة سكوتلانديارد الى فى ابتسامة ودية رقيقة ثم قام يخاطب زميلى :

- مستر هافيرنج على ما أعتقد .. اننى اقبلت من لندن لكى أهتم بهذه الجريمة ، وأريد ان اتبادل معك بضع كلمات .

- ان زوجتى ..

- اننى رأيت السيدة الشابة يا سيدى ، وكذلك رأيت المشرفة على القصر . لن اعوقك كثيرا فاننى أريد أن أعود الى القرية فقد رأيت هنا كل ما يمكن رؤيته .

- اننى لا اعلم شيئا بعد ولا استطيع ..

فقال جاب فى رقة : - تماما .. ولكن هناك نقطة أو نقطتين أريد أن أستطلع رأيك فيهما . أن الكابتن هاستنجز يعرفنى وسيذهب الى البيت ليخبر زوجتك بأنك قادم . وبهذه المناسبة ، ماذا فعلت بالرجل القصير يا مستر هاستنجز ؟

- انه مريض وملازم للفراش بسبب الانفلونزا .

- حقا ؟ .. يؤسفنى ان أسمع هذا . اننى اذ أراك هنا وحدك فكأننى أرى العربة من غير جوادها .. ألا ترى ذلك ؟

مضيت الى البيت على اثر هذه الدعابة السمجة .. ودققت الجرس فى حين أغلق جاب الباب خلفه . وبعد لحظات فتحت لى امرأة متوسطة العمر ترتدى ثياب الحداد فقلت :

- ان مستر هافيرنج سيأتى بعد لحظة ، فقد احتجزه المفتش . اننى أقبلت معه من لندن للاطلاع على هذه القضية . وربما أمكنك أن تذكرى لى ما حدث فى الليلة الماضية

فى ايجاز

فقلت : تفضل يا سيدى

واغلقت الباب ووقفنا فى ممر ضيق معتم قليل الضوء وقالت :

أقبل ذلك الرجل يا سيدى فى الليلة الماضية ، بعد العشاء ،وطلب ان يرى مستر بيس . واذ رأيت أنه يتكلم بنفس الطريقة التى يتكلم بها مستر بيس حسبت انه أمريكى وانه صديق لمستر بيس فأدخلته الى غرفة الاسلحة ثم ذهبت لاخبر مستر بيس ولم يشأ ان يذكر لى اسمه فى ذلك الوقت وانى لاستغرب ذلك الان حقا . وذكرت أمره لمستر بيس فبدت عليه الدهشة ولكنه خاطب سيدتى قائلا : " أرجو أن تلتمسى لى العذر يازوبه ريثما أرى ماذا يريد ذلك الرجل " . ومضى الى غرفة الاسلحة فى حين عدت أنا الى المطبخ . ولكنى لم ألبث ان سمعت بعد هنيهة أصواتا صاخبة كما لو كانا يتشاجران فخرجت الى البهو . وفى نفس الوقت خرجت سيدتى هى الاخرى . وفى هذه اللحظة بالذات دوت رصاصة أعقبها صمت مطلق فأسرعنا ركضا الى غرفة الاسلحة ولكن الباب كان موصدا من الداخل . وكان لابد لنا من أن ندور بالبيت لكى ندخل من النافذة وكانت مفتوحة وبداخلها مستر بيس ، وقد أصابته رصاصة وهو غارق فى دمه

وماذا حدث للرجل الاخر ؟

- لاريب أنه هرب من النافذة قبل ان نصل الى الغرفة .

- وبعد ذلك ؟

- ارسلتنى مسز هافيرنج لكى أبلغ البوليس ، واضطررت ان أقطع خمسة أميال سيرا على الاقدام . وقد اقبل رجال البوليس معى . وبقى أحد رجال الشرطة برفقتى طوال الليل . وجاء صباح اليوم مفتش من سكوتلانديارد .

وما هى أوصاف ذلك الرجل الذى جاء لزيارة مستر بيس .

فكرت المشرفة قليلا ثم قالت : - هو رجل متوسط العمر له لحية شقراء يا سيدى ويرتدى معطفا خفيفا . وفيما عدا لكنته فاننى لم الحظ شيئا يذكر .

- حسنا . هل أستطيع ان أتحدث الى مسز هافيرنج ؟

- انها فى الطابق العلوى . ماذا أقول لها يا سيدى ؟

- قولى لها اذا تكرمت ان مستر هافيرنج مع المفتش جاب بالخارج ، وان الرجل الذى أقبل معه من لندن يريد أن يراها بأسرع ما يمكن .

- حسنا يا سيدى .

- كنت مشوقا الى معرفة كل الحقائق . وكان جاب يسبقنى بساعتين او ثلاث ، وقد زادت لهفته على الانصراف من لهفتى أنا بالذات .

ولم تتركنى مسز هافيرنج أنتظر طويلا ، فما هى الا بضع دقائق حتى سمعت خطوات رقيقة تهبط السلم فرفعت عينى ورأيت شابة جميلة تتقدم نحوى . كانت ترتدى بلوزة بلون اللهب كانت تبرز رشاقتها وفتنتها . وكانت تغطى شعرها الاسود بقبعة صغيرة بلون اللهب هى الاخرى . كان يبدو أن الفاجعة التى ألمت بالبيت لم تفقدها جمالها أو قوة شخصيتها .

قدمت نفسى اليها فهزت رأسها فى ادراك سريع وقالت : - اننى سمعت الكثير عنك وعن صديقك مسيو بوارو طبعا . انكما قمتما بأعمال عجيبة حقا معا ، أليس كذلك ؟ لقد كان زوجى من الذكاء بحيث اتصل بكما هكذا فورا . هل تريد ان تلقى على بضعة اسئلة الآن ؟ هذه أسهل طريقة لمعرفة كل ما تريد معرفته . عن هذه الجريمة المروعة ، أليس كذلك ؟

- شكرا لك يا مسز هافيرنج . متى أقبل ذلك الرجل ؟

- قبل التاسعة . كنا قد فرغنا من تناول العشاء وأخذنا نرشف القهوة وندخن .

- وكان زوجك قد انطلق الى لندن ؟

- نعم . استقل قطار السادسة والربع .

- هل ذهب الى المحطة مستقلا العربة أم سيرا على قدميه ؟

- ان سيارتنا ليست هنا .ولكن جاءت عربة من جاراج المرديل وأقلته الى المحطة .

- وهل كان مستر بيس فى حالته الطبيعية ؟

- تماما . كان على ما يرام .

- هل يمكنك ان تصفى لى هذا الزائر الآن ؟

- أخشى أننى لا أستطيع ذلك ، فاننى لم أره . لقد أدخلته مسز ميدلتون الى غرفة الاسلحة ثم جاءت وأخبرت خالى بأمره .

- وماذا قال ؟

- بدا عليه الضيق ، ولكنه ذهب اليه على الفور وبعد خمس دقائق تقريبا سمعت اصواتا مرتفعة فاسرعت الى البهو واصطدمت فى طريقى بمسز ميدلتون وسمعنا الطلقة عندئذ . وكان باب الغرفة مغلقا من الداخل ، وتعين علينا ان ندور بالبيت لندخل من النافذة . وقد اقتضى منا هذا بعضا من الوقت طبعا تمكن القاتل من الفرار أثناءه .. ان خالى المسكين (وهنا تهدج صوتها) . قد قتل بعيار نارى أصابه فى رأسه . ورأيت على الفور انه مات فأرسلت مسز ميدلتون الى قسم البوليس وحرصت على أن لا المس أى شئ فى الغرفة وأن أترك كل شئ على حاله .

هززت رأسى مستحسنا وقلت : - وماذا عن سلاح الجريمة ؟

- حسنا أظن أننى أستطيع ان أعرف من أين جاء السلاح يا كابتن هاستنجز فقد كان هناك مسدسان معلقان لصق الحائط . وأحدهما غير موجود . وقد ذكرت ذلك لرجال البوليس فأخذوا المسدس الاخر معهم ، واعتقد أنهم سيتأكدون من ذلك بعد استخراج الرصاصة .

- هل أستطيع أن أرى غرفة الاسلحة ؟

- طبعا - فقد فرغ البوليس من فحصه لها ونقلت الجثة .

ورافقتنى الى مسرح الجريمة . وفى هذه اللحظة دخل هافيرنج الغرفة . ونطقت زوجته ببضع كلمات تعتذر وأسرعت اليه وتركتنى أقوم بالفحص والتحقيق وحدى .

ويمكننى ان أعترف منذ الان أن أبحاثى كانت نتيجتها مخيبة لكل الامال ، ففى القصص والروايات البوليسية تكثر الاثارة عادة ولكنى لم أعثر هنا على شئ يخرج عن المألوف فيما عدا بقعة كبيرة من الدم فى المكان الذى لا ريب قد وقعت فيه الجثة . وفحصت كل شئ فى عناية كبيرة والتقطت صورتين للغرفة بآلة التصوير التى أحضرتها معى وكذلك فحصت الارضية بالخارج أمام النافذة . ولكن بدا لى ان اقداما كثيرة قد داست فوقها بحيث أدركت الا جدوى من اضاعة وقتى اكثر من ذلك . كلا ، اننى رأيت ما كان فى مقدورى رؤيته فى هنتر لودج ، وكان لابد أن أعود الى المرديل لكى التقى بجاب . وبناء على ذلك استأذنت آل هافيرنج وعدت بالعربة التى جاءت بنا من المحطة .

ووجدت المفتش جاب فى حانة ماثلوك آرمز فأخذنى لكى أرى الجثة . كان هارنجتون بيس رجلا قصيرا ، نحيف الجسم ، حليق الوجه ، تدل هيئته على أنه أمريكى قح وقد أطلقت عليه رصاصة فى مؤخرة رأسه صرعته على الفور وقال جاب .

- انه استدار لحظة لسبب ما فانتزع الرجل الاخر المسدس وقتله . والمسدس الذى أعطته لنا مسز هافيرنج كان محشوا لا تنقصه رصاصة ، وأظن أن الاخر كان محشوا كذلك . وانه لمن الغريب ان يحتفظ الناس الاغبياء بمسدسات محشوة ومعلقة لصق الحائط .

وسألته ونحن نغادر الغرفة المشئومة : - ما رأيك فى هذه القضية ؟

- اننى تحريت قبل كل شئ عن كل ما يتعلق بهافيرنج واذ لحظ دهشتى استطرد يقول : - اوه ، نعم . ان فى حياة هافيرنج سابقتين ، فعندما كان فتى فى اكسفورد

وقعت له قضية غريبة فقد زور توقيع أبيه على شيك وقد أحيط هذا الامر بالكتمان بالطبع ، ثم أنه غارق الان فى الديون ، وهى من نوع الديون التى لم يكن يستطيع أن يقصد خاله من أجلها . ولك أن تتأكد أن خاله قد حرر وصية لصالحه هو .. نعم ، اننى تحريت أمر هافيرنج ولهذا أردت أن أتحدث اليه قبل أن يلتقى بزوجته ولكن أقوالهما تطابقت . وأنا نفسى كنت فى المحطة وليس هناك أى ريب فى أنه أستقل قطار السادسة والربع الذى يصل الى لندن فى العاشرة والنصف ، وقد مضى رأسا الى ناديه، وهذا أمر مؤكد ، ولهذا لا يمكن ان يكون قد أطلق النار على خاله هنا فى التاسعة وهو ملتح بلحية سوداء .

-آه .. نعم أردت أن أسألك رأيك فى هذه اللحية غمز جاب بعينه وقال : أظن أنها تمت بأسرع ما يمكن .. تمت أثناء الطريق من المرديل الى هنتر لودج ، وهو طريق لا يتجاوز طوله اكثر من خمسة أميال . والأمريكان الذين التقيت بهم أغلبهم حليقو الذقون . نعم ، فلابد لنا من أن نبحث عن قاتل مستر بيس بين أصدقائه الامريكيين . اننى بدأت بسؤال المشرفة ثم سيدتها ، وأقوالهما مطابقة تماما ، ولكن مما يؤسف له ان مسز هافيرنج لم تلق نظرة على الرجل ، فهى امرأة ذكية ، وكان فى مقدورها أن تلحظ شيئا ربما أفادنا فى التحقيق .

جلست وكتبت تقريرا وافيا ودقيقا لبوارو ، واستطعت ان اضيف حشدا من المعلومات قبل ان اضعه فى صندوق البريد ، فقد تم استخراج الرصاصة واتضح أنها أطلقت من مسدس من نوع المسدس الذى أخذه رجال البوليس من غرفة الاسلحة ، وتحققوا فوق ذلك من حركات وسكنات مستر هافيرنج فى ليلة الجريمة وثبت بما لا يدع مجالا لاى شك فى انه بلغ لندن فى القطار المذكور . وثمة حادث آخر غريب ، وهو أن رجلا من أهالى ايلنج عثر على لفافة من الورق الداكن اللون وهو يعبر هافن جرين فى طريقه الى المحطة ، وعندما فتحها وجد فيها مسدسا ذهب به الى الشرطى الذى يقوم

بحراسة المحطة ، ولم يلبث رجال البوليس أن تحققوا من أنه هو المسدس الذى يبحثون عنه ، صنو المسدس الاخر الذى أعطتهم مسز هافيرنج اياه ، كما تحققوا من أنه قد أطلقت منه رصاصة .

ضمنت كل هذا فى تقريرى . وجاءتنى برقية من بوارو بينما كنت أتناول طعام الافطار فى صباح اليوم التالى وهذا نصها :

" ان الرجل ذا اللحية ليس هافيرنج بالطبع ، ومثل هذه الفكرة لا تخطر الا لك انت وجاب . أبرق لى بأوصاف المشرفة ما هى الثياب التى كانت ترتديها فى صباح ذلك اليوم وكذلك ثياب مسز هافيرنج لا تضع وقتك فى التقاط صور للبيت فهى ليست واضحة وليس فيها أى فن " .

وخيل لى أن كلمات بوارو تنطق بالسخرية ، وبدا لى كذلك انه يغار بعض الشئ من وجودى فى المكان ومن سهولة تحقيقاتى . وبدا لى طلبه وصف الثياب التى ترتديها السيدتان سخيفا ولكنى أذعنت لطلبه هذا بقدر أستطاعتى .

وفى الساعة الحادية عشرة جاءتنى البرقية التالية :

" انصح جاب بالقبض على المشرفة قبل فوات الاوان " .

وأخذت البرقية الى جاب وأنا فى أشد الحيرة وتمتم هذا ببضع كلمات مبهمة فى شئ من الدهشة ثم قال فى رقة .

- ان بوارو هذا رجل ذكى ، وإذا كان يطلب منى أن ألقى القبض على هذه المرأة فلابد أن هناك أسبابا وجيهة لذلك . اننى لم أهتم بهذه المرأة ولا أستطيع ان ألقى القبض عليها ، ولكنى سأضعها تحت المراقبة . هلم معى لكى نبحث عنها .

ولكن السيف كان قد سبق العذل ، فان مسز ميدلتون تلك المرأة الهادئة المتوسطة العمر ، العادية المظهر والتى لا يرقى اليها الشك اختفت وتلاشت فى الهواء وتركت حقيبتها . ولم تكن هذه الاخيرة تضم غير بضعة ثياب عادية . لم يكن هناك أى أثر

يدل على شخصيتها أو على المكان الذى ذهبت اليه .

وجمعنا من مسز هافيرنج كل الحقائق التى استطعنا ان نجمعها فقد قالت :

- اننى ألحقتها بخدمتى منذ ثلاثة أسابيع بعد ان غادرتنا مسز ايمرى ، المشرفة السابقة ، وقد جاءتنى من قبل مكتب سلبورن للتخديم بشارع مونت ، وهو مكتب معروف ، يمدنى بكل من أحتاج اليهم من الخدم . وقد أرسلوا الى نساء كثيرات ، ولكن مسز ميدلتون بدت لى أكثرهن ظرفا ورقة ، فضلا عن أنه كان معها شهادات تشهد بخدمتها وأمانتها فى هذا العمل . وقد الحقتها بخدمتى على الفور وأبلغت المكتب بذلك ، ولا أستطيع أن أعتقد أن هناك ما يؤخذ عليها فهى امرأة هادئة جدا .

كان الامر غامضا حقا رغم انه كان واضحا ان تلك المرأة لم تستطع ارتكاب الجريمة حيث أنها كانت مع مسز هافيرنج فى البهو حين اطلقت الرصاصة . ولكن لم يكن هناك ريب فى ان لها صلة بالقاتل مادامت قد اختفت هكذا فجأة .

وأبرقت بآخر الانباء الى بوارو واقترحت عليه أن أعود الى لندن وأن أتقصى الامر فى مكتب سلبورن .

وكان رد بوارو سريعا وهذا نصه :

" لا داعى لتقصى الامر فى مكتب سلبورن فهم لا يعرفون عنها أى شئ . ابحث عن السيارة التى اقبلت بها الى هنتر لودج حين جاءت لاول مرة . " وأطعت تعليماته على الرغم من الحيرة التى تملكتنى . ووسائل النقل فى المرديل محدودة . واتضح أن الجاراج الوحيد الموجود بها لديه سيارتان من طراز فورد كما ان هناك سيارتين أخريين تقفان أمام المحطة ، وان هذه السيارات لم تنقل أحدا الى هنتر لودج فى اليوم المذكور . وسألت مسز هافيرنج عن ذلك فقالت أنها نقدت المرأة ما يكفى لكى تستقل عربة من المرديل الى هنتر لودج وأن أحدى العربتين تقف عادة فى المحطة عند قدوم القطار ، واذا أخذنا فى الاعتبار حقيقة أن ما من أحد فى المحطة لحظ قدوم شخص غريب ،

سواء كان ملتحيا أو غير ملتح فى ليلة الجريمة . فلابد لنا أن نسلم بأن القاتل جاء الى مكان الجريمة فى عربة خاصة انتظرته على مقربة لتمكنه من الفرار ، وأن نفس العربة جاءت بالمشرفة الغامضة الى مكان عملها الجديد . وأستطيع أن أقول ان تحرياتى فى مكتب سلبورن للتخديم بلندن أيدت قول بوارو فقد قيل لى هناك أنهم لا يعرفون شيئا عن مسز ميدلتون وأن رسالة جاءتهم من مسز هافيرنج تطلب منهم أن يبعثوا اليها بمشرفة ، وأنهم بعثوا إليها بنساء كثيرات ، وأن مسز هافيرنج أرسلت اليهم العمولة المستحقة ولم تذكر لهم اسم المرأة التى وقع عليها اختيارها .

وعدت الى لندن وأنا أشعر بشئ من الاعياء والارهاق . ووجدت بوارو جالسا فى مقعد وثير بجوار النار وقد التف فى روب من الحرير . وحيانى فى مودة كبيرة وقال :

– ما أشد سرورى برؤياك يا صديقى هاستنجز ! .. اننى أشعر نحوك بود كبير حقا، ولكن هل استمتعت جيدا ؟ ... انك صحبت هذا الطيب جاب فى غدواته وروحاته ، واستقصيت وتحريت ما شاء لك .

فصحت به : – ولكن الجريمة شديدة الغموض يا بوارو ولا يمكن ان نجلوها أبدا .

– الحق أننا لن نظفر بأكاليل النصر فى هذه القضية .

– كلا ، حقا . أنها جريمة معقدة جدا .

– آه . ولكنى قدير على حل المعميات كما تعلم .. هى جريمة معقدة حقا كما تقول ولكن ليس هذا ما يزعجنى فاننى أعرف تماما من الذى قتل مستر هارنجتون بيس .

– تعرف من الذى قتله ؟ .. وكيف اكتشفت ذلك ؟

– اجاباتك النيرة على برقياتى هى التى هدتنى الى الحقيقة ، أسمع يا هاستنجز .. دعنا نعيد دراسة الحقائق بكل دقة وترتيب . ان مستر هارنجتون بيس رجل واسع الثراء ستنتقل ثروته عند موته الى ابن أخته .. والنقطة الاولى التى تتكشف لنا هى ان ابن أخته معروف بأنه غارق فى الديون ،والنقطة الثانية هى أنه معروف أيضا بأنه

ماذا نقول .. رجل لا أخلاق له .. والنقطة الثالثة .

- ولكن الثابت لنا أن روجرز هافيرنج انتقل الى لندن فى تلك الليلة حقا .

- تماما . وبما أن مستر هافيرنج قد غادر ايمرديل فى السادسة والربع ، وبما أن مستر بيس لا يمكن أن يكون قد قتل قبل مغادرة مستر هافيرنج لايمر ديل والا لكان الطبيب الشرعى قد حدد الموعد الحقيقى الذى وقعت فيه الجريمة فاننا نستنتج من كل هذه الحقائق أن مستر هافيرنج لم يطلق النار على خاله .. ولكن لا تنس أن هناك مسز هافيرنج يا هاستنجز .

- هذا محال ، فان المشرفة كانت معها حين دوت الرصاصة .

- آه ، نعم .. المشرفة .. ولكنها اختفت .

- سيعثرون عليها حتما .

- لا أعتقد هذا . هناك شئ غريب بخصوص هذه المشرفة . ألا ترى ذلك يا هاستنجز ؟ ..

شئ أثار فضولى على الفور .

- أظنك تشير الى أنها قامت بدورها المرسوم ثم اختفت بعد ذلك فى الوقت المناسب ؟

- أوه ، كلا .. لم يكن هذا هو دورها المرسوم فى هذه القضية .. انما كان دورها أن تشهد فحسب فتتقدم الدليل على أن مسز هافيرنج كانت فى مكان غير مكان الجريمة فى اللحظة التى قتل فيها مستر بيس . لن يعثر عليها أحد بعد ذلك يا عزيزى هاستنجز ، لانه لا وجود لها أصلا ، كما قال شكسبير ..

فقلت وأنا ابتسم على الرغم منى : بل كما قال ديكنز .. ولكن ماذا تعنى ؟

- أعنى أن زوجه هافيرنج كانت ممثلة قبل أن تتزوج ، وأنكما أنت وجاب رأيتما فى بهو مظلم امرأة متوسطة العمر ذات صوت رقيق . وهناك حقيقة واحدة وهى أنه لا

أنت ولا جاب ولا أى أحد من رجال البوليس المحلى الذين جاءت بهم المشرفة رأى مسز ميدلتون وسيدتها فى وقت واحد . كان الامر لعبة أطفال بالنسبة لهذه المرأة الذكية الجريئة ، فقد تذرعت بحجة ذهابها للبحث عن سيدتها وصعدت السلم فارتدت قميصا ذا لون براق وقبعة مثبت بها خصلات سمراء لبستها لتكسبها هيئة مختلفة ثم وضعت طبقة خفيفة من الاحمر وهبطت على أنها زوجة هافيرنج وتكلمت بصوتها الطبيعى الواضح النبرات .. لم يهتم أحد بالمشرفة . ولم الاهتمام بها " .. ليس هناك ما يربطها بهذه الجريمة فهى أيضا لديها الدليل على أنها لم تكن فى مكان الجريمة .

- والمسدس الذى عثروا عليه فى ايلنج ؟ ... لا يمكن أن تكون مسز هانيرنج قد ألقته هناك .

- كلا . كان هذا من عمل روجر هافيرنج . ولكن كان هذا العمل فى حد ذاته غلطة منهما هدتنى الى الاثر الصحيح ، فان الرجل الذى يرتكب جريمة قتل بمسدس يبادر بالتخلص منه ولا يحمله معه الى لندن . كان السبب واضحا . كان المجرمان يريدان تركيز اهتمام رجال البوليس على مكان بعيد عن دربيشاير ، فقد كان همهما أن يبعداهم عن هنتر لودج بقدر المستطاع . ولم يكن المسدس الذى عثروا عليه فى ايلنج هو الذى استخدم فى ارتكاب الجريمة طبقاً فان روجر هافيرنج أطلق رصاصة واحدة منه ثم أخذه معه الى لندن ، ومضى رأسا الى النادى الذى يختلف اليه ليثبت وجوده بعيدا عن مكان الجريمة وقت ارتكابها . ثم أسرع الى ايلنج بالقطار المحلى ولم يكلفه ذلك أكثر من عشرين دقيقة فألقى باللفافة فى المكان الذى عثروا عليها فيه ثم عاد الى النادى . أما تلك المخلوقة الرقيقة الظريفة فهى التى أطلقت النار على مستر بيس فى هدوء بعد العشاء ولعلك تذكر أنه أصيب فى رأسه من الخلف .. ثم هناك نقطة اخرى لها ميزتها .. وهى أنها حشت المسدس من جديد واعادته مكانه ثم قامت بمهزلتها الصغيرة اليائسة .

تمتمت أقول فى ذهول :

- لا أستطيع أن أصدق هذا .. ومع ذلك ..- ومع ذلك فهذه هى الحقيقة .. الحقيقة بكل تأكيد يا صديقى . ولكننا لن نستطيع تقديمها للعدالة مع ذلك .. فهذه مسألة أخرى . وفى مقدور جاب أن يفعل ما يريد على كل حال .. اننى كتبت له بما حدث بالتفصيل .

ولكن كل ما أخشاه يا هاستنجز اننا سنضطر أن نتركهما للقدر أو لعدالة الله اذا شئت .

فقلت : - ان الاشرار يزدهرون كما تزدهر الاشجار الخضراء .

- ولكنهم يدفعون الثمن باهظا يا هاستنجز .. صدقنى أنهم يدفعون الثمن .

وتحققت نبوءة بوارو ، فان جاب على الرغم من يقينه من صحة نظرية هذا الاخير لم يستطع أن يجمع ما يكفى من الادلة لتقديم الزوجين للمحاكمة .

وانتقلت ثروة مستر بيس الضخمة الى أيدى قاتليه .. ومع ذلك فان اله الانتقام لم ينس أمرهما ، وعندما قرأت فى الجرائد أن الشريفين هافيرنج وزوجته كانا بين ضحايا الطائرة المنكوبة التى انطلقت من لندن فى طريقها الى باريس عرفت أن العدالة قد اقتصت منهما .

* * *

الفصل الخامس

السندات المسروقة

قلت ذات صباح وأنا ألقى بالجريدة التى فرغت من قرا ءتها على المكتب :

- ما اكثر السندات المسروقة فى هذه الايام .. لو أردت رأيى يا عزيزى بوارو لتركنا أبحاث المنطق والاستنتاج وانخرطنا فى سلك الجريمة .

- أراك تريد أن تثرى بأسهل الطرق وفى وقت وجيز يا صديقى العزيز .

- حسنا . أنظر الى هذه الضربة الاخيرة : سندات ليبرتى البالغ قيمتها مليون دولار والتى أرسلها بنك انجلترا واسكتلندا الى نيويورك والتى اختفت بطريقة غريبة على ظهر الباخرة أوليمبيا !

تمتم بوارو فى لهجة حالمة : - لولا دوار البحر وصعوبة تنفيذ طريقة لا فرجييه المذهلة للقيام برحلة طويلة تستلزم وقتا أطول من اجتياز بحر المانش لاسعدنى أن أقوم برحلة على ظهر احدى هذه البواخر الكبيرة .

قلت فى حماس : - طبعا ، فان بعض هذه البواخر أشبه بالقصور المنيفة التى لا ينقصها شئ ففيها أحواض للسباحة وصالونات ومطاعم وحدائق بحيث يتعذر على المرء أن يصدق أنه على سطح البحر حقا .

قال بوارو فى حزن : - أما أنا فانى أعرف دائما حين أكون على سطح البحر ، وكل هذه التفاهات التى ذكرتها ليست شيئا بالنسبة لى . تأمل لحظة واحدة يا صديقى عدد المسافرين الذين يبحرون متنكرين على هذه البواخر .. على سطح هذه القصور

العائمة كما تقول ليلتقى الانسان بالنخبة الممتازة والطبقة الراقية من اللصوص ..

فضحكت وقلت : - هذا هو سبب حماسك اذن . كنت تود أن تتصارع مع ذلك الرجل الذى سرق السندات .

أقبلت صاحبة البيت فى هذه اللحظة فقطعت علينا الحديث قائلة :

- امرأة شابة تريد أن تراك يا مسيو بوارو .. وهذه بطاقتها .

كانت البطاقة تحمل اسم مس ايزميه فاركهار ، وبعد أن انحنى بوارو ليلتقط لقمة من العيش ويلقيها فى سلة المهملات فى عناية أشار الى صاحبة البيت بأن تدخل الزائرة .

وبعد دقيقة دخلت فتاة من أجمل الفتيات اللاتى وقع بصرى عليهن حتى هذه اللحظة ، وكانت فى نحو الثانية والعشرين من العمر ، لها عينان واسعتان سوداوان ، جميلة الملامح ، بادية الاناقة ، تدل هيئتها على أنها من علية القوم .

وخاطبها بوارو قائلا : - تفضلى بالجلوس . هذا صديقى الكابتن هاستنجز يساعدنى فى مشاكلى الصغيرة .

جلست الفتاة وأحنت رأسها فى رقة تحيينى ثم قالت :- أخشى أن أكون قد أتيتك اليوم بمعضلة كبيرة يا مسيو بوارو . وأظن أنك قرأت فى الجرائد عن سرقة سندات ليبرتى من الباخرة أوليمبيا ؟

ولا ريب أن شيئا من الدهشة بدا على ملامح بوارو لانها أردفت تقول مسرعة :

- لاريب أنك تتساءل عن الصلة التى تربطنى ببنك انجلترا واسكتلندا .. من ناحية ، ليست هناك أى صلة ، ومن ناحية أخرى ، تربطنى به أشياء كثيرة . فأنا مخطوبة لمستر ردجواى يا مسيو بوارو .

- آه .. آه .. فيليب ردجواى .

- كانت السندات فى عهدته حين سرقت . لا يمكن أن يلومه أحد طبعا ، فلم تكن

الغلطة غلطته على كل حال ومع ذلك فانه كاد يجن من هذه الحادثة . ثم اننى أعلم أن خاله يدعى أن فيليب لاشك أفلتت منه بعض الكلمات التى يشتم منها أن السندات كانت معه ، وهذه عقبة كبيرة تهدد مستقبله .

– ومن هو خاله ؟

– مستر فاناسور ، مساعد المدير العام لبنك لندن واسكتلندا .

– هل تتكرمين يا مس فاركهار فتذكرى لنا القصة من بدايتها .

– حسن جدا . أراد بنك لندن واسكتلندا أن يمد نشاطه الى أمريكا كما لعلك تعلم ورأى أن يرسل لهذا الغرض مليون دولار من سندات ليبرتى . ووقع اختيار مستر فاناسور على ابن أخته ليقوم بهذه الرحلة ، فهو يشغل منذ سنوات طويلة وظيفة تتطلب أمانة كبيرة ، هذا فضلا عن أن له دراية بكل العمليات المصرفية التى تمت فى نيويورك ، وأبحرت الباخرة أوليمبيا من ليفربول فى اليوم الثالث والعشرين . وتسلم فيليب السندات فى صباح ذلك اليوم من مستر فاناسور ومستر شو مساعدى المدير العام لبنك لندن واسكتلندا . وقد أحصيت السندات ووضعت فى مظروف خاص ختم بالشمع الاحمر فى حضور فيليب ، ووضع هذا الاخير المظروف بعد ذلك بنفسه فى حقيبته .

– وهل هى حقيبة ذات قفل عادى ؟

– كلا . فان مستر شو أصر على تزويدها بقفل خاص من طراز هوبز ، وكما سبق أن قلت لك ، وضع فيليب مظروف السندات فى صدر الحقيبة ولكن المظروف سرق قبل أن تصل الباخرة الى نيويورك ببضع ساعات . وأجرى تفتيش دقيق على ظهر الباخرة ولكن بدون أى نتيجة ، فقد بدا كأن السندات تبخرت فى الهواء .

اغتصب بوارو ابتسامة وقال : – ولكنها لم تتبخر تماما ، فقد علمت أنها بيعت بكميات صغيرة مختلفة بعد وصول الباخرة أوليمبيا بنصف ساعة فقط ، ولاريب أن

الخطوة التالية هى أن أذهب لكى أرى مستر ردجواى .

- كنت أود أن أدعوكما لتناول الغداء معى فى مطعم شيشاير تشيز . سيكون فيليب موجودا ، فقد تواعدت على اللقاء معه هناك ، ولكنه لا يعلم اننى أتيت لاستشارتك من أجله يا مسيو بوارو .

وقبلنا هذه الدعوة وركبنا سيارة أجرة .

كان مستر فيليب ردجواى قد سبقنا الى المطعم المذكور . وبدا مدهوشا بعض الشئ حين رأى خطيبته تدخل برفقة رجلين غريبين . كان شابا وسيما طويل القامة ، أنيق الملبس قد بدأ المشيب يعلو فوديه على الرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين بكثير .

ومضت مس فاركهار اليه وألقت يدها على ذراعه قائلة : - أرجو أن تلتمس لى العذر فيما أقدمت عليه من غير استشارتك ، دعنى أقدم اليك مسيو هرقل بوارو . وما أخالك الا سمعت عنه وعن صديقه الكابتن هاستنجز .

بدت الدهشة الشديدة على وجه ردجواى وقال وهو يصافح بوارو :

- اننى سمعت عنك طبعا يا مسيو بوارو ، ولكن لم يخطر لى أن ايزميه قد تفكر فى زيارتك لتقص عليك مشاكلى .. أعنى مشاكلنا .

قالت مس فاركهار فى رقة : - ذلك أننى كنت أخشى أن لا تقبل يا فيليب .

فقال وهو يبتسم : - ولذلك فضلت أن تسلكى الجانب المضمون .. أرجو أن يتمكن مستر بوارو من القاء بعض الضوء على هذا اللغز العجيب لاننى أعترف صراحة بأننى أكاد أجن من الجزع والقلق .

والواقع أنه كان ممتقع اللون زائغ النظرات تدل ملامحه على التوتر الذى يعانيه . وقال بوارو :

- حسنا .. حسنا .. لنتناول طعام الغداء أولا ثم نتشاور فيما بعد فيما نستطيع عمله . أريد أن أسمع قصة ردجواى من بين شفتيه .

وفيما كنا نتناول مالذ وطاب من أنواع اللحم والطعام راح فيليب ردجواى يروى لنا الظروف التى سبقت اختفاء السندات . وتطابقت قصته مع قصة مس فاركهار كل المطابقة . وعندما فرغ من حديثه بدأ بوارو تحقيقاته قائلا :

- ما الذى حملك على اكتشاف اختفاء السندات يا مستر ردجواى ؟

ضحك الشاب ضحكة مريرة وقال : - كان ذلك واضحا لكل ذى عينين يا مستر بوارو ، وما كان يسعنى الا أن أكتشف اختفاءها ، فقد ظهرت نصف الحقيبة من تحت الفراش وقد امتلأت بالخدوش بشكل يدل على أن بعضهم حاول اغتصاب القفل .

- ولكنى سمعت أن اللص فتحها مستعينا بمفتاح .

- هو ذلك . ولكنهم حاولوا اغتصابها ولم يفلحوا ، وفتحوها أخيرا بطريقة ما .

فقال بوارو وقد بدأت عيناه تتألقان بذلك البريق الاخضر الذى أعرفه كل المعرفة :

- هذا غريب .. غريب جدا .. انهم أضاعوا وقتا كبيرا فى محاولة فتحها بالقوة .. ثم يا الهى ! .. ثم اكتشفوا ان المفتاح كان معهم .. لان كل قفل من أقفال هوبز فريد فى نوعه .

- هذا محال .. لم يكن المفتاح معهم لانه لم يفارقنى ، ليلا ولا نهارا .

- هل أنت واثق من ذلك ؟

- يمكننى أن أقسم على ذلك . ومع ذلك فلو أن المفتاح كان معهم ، أو لو كان معهم مفتاح آخر طبق الاصل فلماذا أضاعوا وقتهم فى محاولة اغتصاب قفل ليس من السهل اغتصابه ؟

- آه . هذا هو السؤال الذى يجب أن نلقيه على أنفسنا بالذات . بل اننى أذهب الى أبعد من هذا فأقول أن سر الموضوع يكمن فى هذه النقطة الغريبة ، وأرجو ألا تحقد على اذا أنا ألقيت عليك سؤالا آخر . هل أنت واثق تماما أنك لم تترك الحقيبة مفتوحة

ولكن ما أن نظر فيليب اليه نظرة استنكار حتى أسرع بوارو يقول معتذرا :

- ان مثل هذه الاشياء تقع عادة ، وانى أؤكد لك هذا . حسنا .. لقد سرقت السندات الحقيقية فماذا فعل السارق بها بعد ذلك ، وكيف تصرف لكى ينتقل بها الى الشاطئ .

فصاح ردجواى : - آه . هذا هو بيت القصيد .. كيف ؟ .. لقد أعطيت التعليمات لرجال الجمرك ، وتم تفتيش كل شخص غادر الباخرة تفتيشا دقيقا .

- أظن أن المظروف الذى به السندات كان مظروفا ضخما ؟

- وقد كان من المحال اخفاؤها فى الباخرة .. ومهما يكن من أمر فنحن تعلم أنها لم تكن بالباخرة لانها عرضت للبيع بعد نصف ساعة من وصول الباخرة أوليمبيا الى الميناء وقبل أن أستطيع ابلاغ المسئولين بأرقام السندات . بل ان أحد السماسرة أقسم انه اشترى بعضا من هذه السندات قبل وصول الاوليمبيا الى الميناء ، ومع ذلك فلا يمكن لاحد أن ينقل السندات باللاسلكى .

- ليس باللاسلكى .. ولكن لعل زورقا اقترب من الباخرة قبل أن تدخل الميناء .

- لم يقترب أى زورق فيما عدا الزوارق الرسمية . وكان ذلك بعد أن أخطرنا الجهات المسئولة بالسرقة . وبعد أن اتخذت الاحتياطات اللازمة ، وكنت أنا نفسى أقوم بالمراقبة فانى كنت أخشى أن يحاول أحدهم أن يناولها لاحد . يا الهى يا بوارو ! ان هذه القصة تكاد تورثنى الجنون ، وقد بدأ الناس يقولون اننى أنا السارق .

فسأله بوارو فى رفق : - ولكنهم فتشوك أنت أيضا حين نزلت الى البر ، أليس كذلك ؟

- نعم .

نظر الشاب اليه فى شئ من الدهشة فقال بوارو وهو يبتسم فى غموض :

- أرى أنك لم تدرك ما أعنيه . يجب الان أن أجمع بعض التحريات فى البنك .

أخرج ردجواى بطاقة من حافظة كتب عليها بضع كلمات ثم أعطاها لبوارو قائلا:

- أبعث بهذه الى خالى فيستقبلك على الفور .

شكره بوارو واستأذن مس فاركهار فى الانصراف ثم مضينا معا الى شارع تريدنيدل حيث يقع المكتب الرئيسى لبنك لندن واسكتلندا . وبمجرد أن أظهر بوارو بطاقة ردجواى تقدمونا عبر ممرات ومكاتب جلس أمامها الموظفون والمحصلون والصيارفة . وذهبنا الى مكتب صغير بالطابق الاول استقبلنا فيه مساعدا المدير وهما رجلان وقوران قضيا كل عمرهما فى خدمة البنك . وكان مستر فاناسور أبيض اللحية قصيرها ، أما مستر شو فكان حليق الذقن .

وقال مستر فاناسور : - هل أفهم من هذا أنك مخبر سرى خاص ؟ .. حسنا ، حسنا .. اننا وضعنا أنفسنا بين أيدى اسكتلنديارد طبعا ، وقد أنيطت هذه القضية بالمفتش ماكنيل ، وأعتقد أنه ضابط قدير .

فقال بوارو فى لهجة مهذبة : - اننى واثق من ذلك . ولكن هل تسمح لى بأن ألقى عليك بضعة أسئلة لصالح ابن أختك ؟ .. بخصوص ذلك القفل .. من الذى أوصى به هوبز ؟

فأجاب مستر شو : - أنا الذى أوصيت به لاننى لم أثق فى أى موظف آخر للقيام به . وبخصوص المفاتيح فقد أعطيت مستر ردجواى واحدا ، أما المفتاحان الاخران فأحدهما معى والاخر مع زميلى .

- ألم يلمس أحد من الموظفين هذين المفتاحين ؟

تحول مستر شو الى مستر فاناسور مستفهما فقال هذا الاخير :

- أظن أننى لا أبعد عن الحقيقة حين أقول لك أن هذين المفتاحين بقيا فى الخزانة حيث وضعناها فى اليوم الثالث والعشرين . ومن سوء الحظ أن زميلى وقع فريسة للمرض منذ خمسة عشر يوما .. واذا أردت الحقيقة ، فى نفس اليوم الذى رحل فيه

فيليب ولم يبرأ من مرضه الا اليوم فقط .

وقال مستر شو فى اكتئاب : - ان الانفلونزا الحادة ليست بالامر الهين لرجل فى مثل سنى وأخشى أن يكون مستر فاناسور أبيض اللحية قصيرها ، أما مستر شو فأهمه غيابى وخاصة بعد أن جاءت هذه المشكلة فزادت الطين بلة .

ألقى بوارو بضعة أسئلة أخرى ، وأدركت انه يحاول أن يعرف مقدار المودة الحقيقية التى تجمع بين الشاب وخاله . وكانت اجابات مستر فاناسور مقتضبة ودقيقة فقد قال ان ابن أخته هو المفوض الرسمى للبنك وأنه ليس مدينا لاحد ولا يعانى من أى ضائقة مالية . وقد عهد اليه بمهام كثيرة مشابهة فى الماضى . وانصرفنا أخيرا ونحن ننحنى فى أدب .

وقال بوارو حين خرجنا الى الشارع : - اننى أصبت بخيبة أمل .

- ذلك لانك كنت تأمل أن تهتدى الى معلومات أكثر .. أنهما رجلان محافظان رجعيان الى أبعد حد .

- لا يرجع شعورى بالخيبة الى تحفظهما أو رجعيتهما يا صديقى . لم أكن أتوقع أن أجد فى مدير البنك رجلا ماليا فذا متوقد الذكاء له نظرة النسر طبقا لأصطلاحات الكتاب الروائيين الذين يروقون لك .. كلا .. اننى أشعر بالخيبة بسبب القضية نفسها .. فهى فى منتهى السهولة والبساطة .

- منتهى السهولة والبساطة ؟

- نعم . الا ترى انها عمل صبيانى ؟

- هل معنى هذا أنك تعرف من الذى سرق السندات ؟

- نعم .

- ولكن يجب أن .. ولكن كيف ..

- لا تفقد جأشك يا صديقى والزم الهدوء . اننا لن نفعل أى شئ فى الوقت

الحاضر .

- ولكن .. لماذا ؟ .. ولم الانتظار ؟

- اننى انتظر عودة الاوليمبيا . يجب أن تعود من رحلتها الى نيويورك يوم الثلاثاء .

- ولكن اذا كنت تعرف من الذى سرق السندات فلماذا تنتظر ؟ .. قد يستطيع الهرب .

- الى احدى جزر بحر الجنوب حيث لا تسرى قوانين تسليم المتهمين ؟ .. كلا يا صديقى . انه ليجد فيها الحياة لا تطاق أما لماذا أنتظر ؟ .. حسنا .. فذلك لان القضية فى غاية الوضوح بالنسبة لذكاء هرقل بوارو . أما بالنسبة للاخرين الذين لم يهبهم الله هبة الذكاء كالمفتش ماكنيل مثلا ، فمن الاوفق أن أقوم ببعض التحريات لاثبات الحقائق يجب مراعاة مشاعر الذين لا يتمتعون بالموهبة مثلى .

- يا الهى يا بوارو ! .. اننى لاقدم مبلغا كبيرا من المال لكى أراك تتصرف بحماقة مرة واحدة .. لا أكثر من مرة .. فأنت مغرور الى حد بغيض .

- لا تغضب هكذا يا هاستنجز .. الحق أننى أرى أن هناك أوقاتا تكاد تكرهنى فيها .. وا أسفاه ! .. هذا جزاء العبقرية

ونفخ الرجل القصير صدره وهو يقول ذلك ، وتنهد بشكل مضحك بحيث لم يسعنى الا أن أضحك .

وجاء يوم الثلاثاء ونحن فى طريقنا الى ليفربول فى احدى مقصورات الدرجة الاولى بقطار السكة الحديد وقد أبى بوارو ، فى اصرار عجيب أن يوضح لى شكوكه.. أو يقينه ، واكتفى باظهار دهشته من أننى أنا نفسى لم أكن ملما بالحقائق مثله .

واذ بلغنا الرصيف الذى وقفت به الباخرة الكبيرة أستعاد بوارو نشاطه ورشاقته . كان عملنا يتوقف على استجواب أربعة من خدم الباخرة على التوالى ، والتحرى عن

صديق لبوارو سافر الى نيويورك فى اليوم الثالث والعشرين .

" انه رجل متقدم فى السن ، يلبس نظارات ، مريض جدا ، لم يغادر مقصورته تقريبا " .

وبدا كأن هذه الاوصاف انطبقت على مسافر يدعو المسيو فنتنور ، كان يشغل المقصورة رقم ٢٤ ، وهى المقصورة المجاورة لمقصورة فيليب ردجواى . ومع اننى لم أدر كيف استنتج بوارو وجود مستر فنتنور هذا وكيف عرف أوصافه فقد تملكنى الانفعال الشديد وصحت أقول :

- قل لى .. هل كان هذا الرجل أول من هبط الى البر حين بلغتم نيويورك ؟

هز الخادم رأسه وقال : - كلا يا سيدى ، كان آخر من هبط من الباخرة .

تحولت عنه مكتئبا ، ورأيت بوارو ينظر الى وعلى شفتيه شبه ابتسامة . وشكر الخادم ومنحه ورقة مالية ثم غادرنا المكان . وقلت فى انفعال :

- كل هذا حسن جدا .. ولكن لا ريب أن هذا الرد الاخير قد هدم نظريتك وقوضها تقويضا فاضحك ماشاء لك الضحك .

- انك لا تفهم شيئا كعادتك يا هاستنجز . ان هذا الرد الاخير ، على عكس ما تقول ، هو الحجر الاخير فى نظريتى .

رفعت يدى الى السماء وقد زاد بى اليأس وقلت : - اننى أقر بعجزى .

* * *

وفى القطار ونحن فى طريقنا الى لندن أخذ بوارو يكتب بضع دقائق ووضع ما كتبه فى ظرف وهو يقول :

- هذا للمفتش ماكنيل الباسل . سنتركه له فى اسكتلنديارد ونحن فى الطريق . ثم نذهب الى موعدنا فى المطعم حيث طلبت من مس ايزميه فاركهار أن تشرفنا بتناول العشاء معنا .

- وماذا بخصوص ردجواى ؟

فسألنى بوارو وهو يطرف بعينه : - ردجواى ؟ .. وما شأنه ؟

- ماذا ؟ .. يقينا انك لاتظن .. لا يمكن أن ..

- أرى أن الاضطراب قد عاد يتملكك ثانية يا هاستنجز . ولكنى ، انصافا للحق أقول لك اننى قد ظننت .. لو أن ردجواى كان السارق .. وهذا أمر جائز طبعا .. لكانت القضية رائعة ولبدت قطعة من العمل المنظم الدقيق .

- ولكنها لن تكون كذلك بالنسبة لمس فاركهار .

- لعلك على حق فى ذلك .ومهما يكن من أمر فقد أصبح كل شئ على ما يرام . والان ، دعنا نستعيد القضية يا هاستنجز ، فاننى أراك متلهفا على ذلك . لقد نقل الظرف المختوم من الحقيبة واختفى فى الهواء كما تقول مس فاركهار ، وسنستبعد هذه النظرية لانها ليست بالنظرية العملية ولا يمكن تحقيقها علميا فى العهد الحاضر ، ولنفكر فيما يمكن أن يكون قد حدث لهذا الظرف .. لا أحد يصدق أنه أنزل الى البر .

- نعم .. اننا نعلم ..

- لعلك تعلم انت يا هاستنجز ، أما أنا فلاننى أتناول الموضوع من ناحيته الغريبة ومادام هذا الامر بعيد التصديق فلا يمكن الاخذ به ، ويبقى أمامنا بعد ذلك احتمالان أولهما أما أن تكون السندات قد خبئت فى الباخرة .. وهو احتمال بعيد ، والثانى هو أن تكون قد ألقيت فى البحر .

- هو ذلك . وقد ثبتت بها قطعة من الفلين لتعويمها .

- بل من غير فلين على الاطلاق .

- ولكن اذا كانت السندات قد ألقيت فى البحر هكذا فلا يمكن أن تكون قد بيعت فى نيويورك .

- يعجبنى منطقك يا هاستنجز . انها بيعت فى نيويورك وعليه فلا يمكن أن تكون

ألقيت فى عرض البحر . هل ترى أين يقودنا هذا ؟

- إلى نقطة البداية .

- أبدا . فلو أن الظرف ألقى فى عرض البحر فى حين ان السندات قد بيعت فى نيويورك فان معنى هذا ان الظرف لم يكن يحتوى على السندات . هل هناك أي دليل على أن الظرف كان يحتوى على السندات ؟ .. تذكر أن مستر ردجواى لم يفض الظرف أبدا منذ أن عهد به اليه وهو فى لندن .

- نعم .. ولكن ..

أتى بوارو بحركة من يده تدل على القلق وقال : - اسمح لى أن أستمر .. أن آخر مرة رئيت فيها السندات حقيقة كانت فى المكتب الرئيسى لبنك لندن واسكتلندا فى اليوم الثالث والعشرين . وهى قد ظهرت فى نيويورك بعد وصول الاوليمبيا بنصف ساعة بل انها ظهرت قبل وصول الباخرة استنادا الى أقوال رجل لم يستمع اليه أحد . فلنفرض اذن انها لم تكن على ظهر الباخرة البتة . فهل هناك طريقة أخرى يمكن أن تصل بها الى نيويورك ؟ .. نعم .. فان الباخرة جيجانتيك تغادر سوثها مبتن فى نفس اليوم مع الباخرة أوليمبيا ، ولكن الباخرة الاولى تضرب الرقم القياسى فى عبور الاطلانطيك ، وعليه فان السندات ترسل بالبريد فى الباخرة جيجانتيك وتصل الى نيويورك قبل وصول الباخرة أوليمبيا بيوم . كل شئ واضح اذن وقد بدأت القضية تفسر نفسها . ان الظرف المختوم ما هو الا ظرف يحتوى على أوراق لا أهمية لها بقصد التعمية ولا ريب أنه استبدل بالظرف الحقيقى فى مكتب البنك وهذا أمر ميسور لاى من الرجال الثلاثة الحاضرين ، فقد كان فى مقدور كل منهم أن يعد ظرفا مماثلا ليستبدل به الظرف الحقيقى . حسنا جدا . ان السندات أرسلت الى شريك فى نيويورك ومعها تعليمات ببيعها بمجرد وصول الباخرة أوليمبيا ، ولكن لابد لأحد أن يسافر على سطح الباخرة أوليمبيا ليدبر أمر السرقة المزعومة .

- ولكن لماذا ؟

- لانه اذا فتح ردجواى الظرف ووجد به أوراقا لا أهمية لها فان الشكوك سترقى الى لندن على الفور . كلا . ان الرجل الذى يشغل المقصورة المجاورة لمقصورة ردجواى يقوم بعمله ويتظاهر بأنه يريد اغتصاب القفل لسبب واحد وهو لفت الأنظار الى السرقة ولكنه لا يلبث أن يفتح الحقيبة بالمفتاح ويلقى بالظرف فى عرض البحر ثم ينتظر أن يهبط آخر شخص فى الباخرة ، وهو بطبيعة الحال يلبس نظارات ويتظاهر بالمرض لانه لا يريد أن يخاطر بلقاء ردجواى ويهبط فى نيويورك ويعود بأول طائرة يجدها أمامه .

- ولكن من .. من هو ؟

- هو الرجل الذى معه مفتاح طبق الأصل .. الرجل الذى أمر بصنع القفل .. الرجل الذى لم يكن مريضا بنزلة شعبية حادة فى بيته الريفى كما يزعم .. وأخيرا هو الرجل العجوز الرجعى مستر شو .. هناك مجرمون فى الطبقة الراقية أحيانا يا صديقى آه .. ها هى مس ايزميه .. اننى أفلحت ، فهل تسمحين ؟

وطبع بوارو على كل من وجنتى الفتاة المذهولة قبلة رنانة وهو متألق العينين .

* * *

الفصل السادس

سر المقبرة المصرية

مازلت اعتقد أن التحقيق الذى أسهمت فيه مع بوارو فى سلسلة الجرائم الغريبة التى تلت اكتشاف وفتح مقبرة الملك من - حر - رع . كان من أغرب التحقيقات التى قمنا بها ، وأكثرها غموضا واثارة .

فبعد قليل من اكتشاف اللورد كارناتون لمقبرة توت عنخ آمون واصل سير جون ويلارد ومستر بلينر الامريكى تلك الابحاث والتنقيبات على مقربة من القاهرة ، فى منطقة أهرامات الجيزة ووقعا فجأة على عدد كبير من المقابر . وقد اثار اكتشافهما هذا كبير الاهتمام ، واتضح أن المقبرة لملك مغمور من ملوك الاسرة الثامنة ، حكم مصر فى الوقت الذى تدهورت فيه المملكة القديمة ، ويعرف باسم الملك من - حر - رع . ولم يكن أحد يعرف عن هذه الحقبة من التاريخ الا القليل . ولهذا سارعت الجرائد فنقلت أخبار هذا الاكتشاف على صفحاتها الاولى .

ولم يلبث أن وقع حادث أثار اهتمام الجميع وذلك أن جون ويلارد مات فجأة بالسكتة القلبية .

وأنتهزت الصحف هذه المناسبة فأعادت الى ذاكرة القراء النبوءات والخرافات القديمة التى صاحبت اكتشاف الكنوز المصرية والنحس الذى يرتبط بها ، ولا سيما قصة تلك المومياء المشئومة بالمتحف الانجليزى والتى سارع المتحف المذكور بتكذيبها ، ولم يكن من نصيب ذلك الا أن تأكدت تلك القصة وازدادت شهرة المومياء .

وبعد اسبوعين من ذلك مات مستر بليبنر بتسمم فى الدم ، وبعد بضعة أيام أخرى

انتحر ابن أخيه بأن أطلق الرصاص على نفسه فى نيويورك وأصبح الحديث عن لعنة من - حر - رع . حديث اليوم . وعادت القوى الخفية التى تسيطر على مقابر قدماء المصريين فشغلت الرأى العام من جديد .

وفى هذه الفترة جاءت لبوارو رسالة من الليدى ويلارد ، أرملة سير جون ويلارد ، مكتشف الاثار المشهور تدعوه فيها أن يذهب لزيارتها بميدان ليفنجستون ، وقد رافقت زميلى فى هذه الزيارة .

كانت الليدى ويلارد طويلة القامة نحيلة العود ترتدى ثياب الحداد ، وفى وجهها الشارد الزائغ النظرات أكبر دليل على حزنها الدفين .

- انها لمكرمة كبيرة منك أن سارعت بالمجىء هكذا يا مسيو بوارو .

- اننى فى خدمتك يا ليدى ويلارد .. هل تريدين استشارتى ؟

- اننى أعلم أنك مخبر سرى . ولكنى أريد استشارتك بصفتك هذه . ان لك آراء غريبة ، وأعلم ان لك خيالا وتجارب فى بقاع العالم . قل لى يا مسيو بوارو ، ما رأيك فى الظواهر الخارقة للطبيعة ؟

تردد بوارو لحظة قبل أن يرد وبدأ أنه يفكر وأخيرا قال :

- منعا لأى سوء تفاهم بيننا ياليدى ويلارد فاننى أرى أن هذا السؤال ليس سؤالا عاما وأن له طابعا خاصا ، أليس كذلك ؟ .. انك تشيرين الى موت زوجك بطريقة غير مباشرة .

فاعترفت قائلة : - هو ذلك !

- هل تريدين منى أن أحقق فى الظروف التى أحاطت بموته ؟

- أريد أن تتحقق بكل دقة عما اذا كان فى أقوال الجرائد شئ من الصحة أم لا . لقد مات ثلاثة رجال يا مسيو بوارو ، واذا أخذنا كل وفاة منها على حدة ، لأمكن أن نجد لها تفسيرا معقولا . ولكننا اذا أخذناها معا فانها لتبدو مصادفة غريبة . وقد

حدثت كلها فى الشهر الذى تلا فتح المقبرة . من الجائز أن تكون مجرد خرافة ، ومن الجائز أن تكون لعنة من الماضى ، ذات فعالية وبطرق غريبة لا يعرفها العلم الحديث ولكن الشئ المؤكد هو أن ثلاثة ماتوا وانى خائفة يا مسيو بوارو .. جد خائفة فقد لا يقف الامر عند هذا الحد .

- وعلى من تخافين ؟

- على ابنى ، فحين جاءتنا أنباء وفاة زوجى كنت مريضة ، وكان ابنى قد أتم دراسته فى اكسفورد فأسرع الى هناك وعاد به ... بالجثمان .. ولكنه رجع ثانية ، على الرغم من توسلاتى وتضرعاتى فان فن التنقيب عن الاثار يفتنه ويسحره بحيث استقرت نيته على أن يحل محل أبيه وأن يواصل أبحاثه .. قد تظن اننى امرأة مجنونة ساذجة ولكنى خائفة يا مسيو بوارو .. لنفرض أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد .. ربما تبدو لك أقوالى هذه سخيفة .

فأسرع بوارو يقول : - أبدا يا ليدى ويلارد ، فأنا أيضا أومن بقوة الخرافة ، وهى قوة من أشد القوى التى يعرفها العالم .

نظرت اليه مشدوها ، لم أكن اعتقد أبدا أن بوارو ممن يؤمنون بالخرافات ، ولكن الرجل القصير كان يتكلم بكل جد ورزانة . واستطرد يقول :

- ان ما تطلبينه منى فى الواقع هو أن أصون ابنك وان أحميه .. سأبذل جهدى لابعد عنه كل أذى .

- نعم ، انك تستطيع حمايته من كل أذى طبيعى ، ولكن هل تستطيع أن تصونه من القوى الخفية ؟

- ستجدين وسائل كثيرة لمكافحة السحر والقوى الخفية فى كتب العصور الوسطى ولعلهم كانوا يعرفون أكثر مما نعرف نحن الان على الرغم مما نتشدق به . والآن ، الى بالحقائق لكى استرشد بها فى عملى .. كان زوجك من أشد المولعين بالحفر عن الاثار

المصرية ، أليس كذلك يا سيدتى ؟

- نعم . كان مولعا بالاثار المصرية منذ مطلع شبابه . كان يعد من كبار الخبراء فى هذا المضمار .

- ولكن مستر بليبنر لم يكن أكثر من هاو اذا لم اخطئ ؟

- هو ذلك . كان رجلا ثريا يجرى وراء ميوله ، وقد حمله زوجى على الاهتمام بالاثار المصرية ، وهو الذى مول البعثة بأمواله .

- وابن أخيه ؟ .. ماذا تعرفين عنه ؟ .. هل كان مشتركا فى البعثة .

- لا أظن ذلك . الواقع أننى لم أكن أعرف بوجوده حتى قرأت نبأ موته فى الجرائد لا أظن انه كان على علاقة ودية مع مستر بليبنر ، فان هذا الاخير لم يذكر أن له أقارب .

- ومن هم اعضاء البعثة الاخرون ؟

- حسنا . هناك الدكتور نوسويل ، وهو موظف ثانوى بالمتحف الانجليزى ، ومستر شنيدر الموظف بمتحف متروبوليتان بنيويورك وسكرتير أمريكى شاب ، والدكتور ايمز الذى يرافق البعثة بصفته طبيبا . ثم هناك حسن وهو رجل من الاهالى موضع ثقة كان يشرف على خدمة زوجى .

- هل تذكرين اسم السكرتير الامريكى ؟

- اظن ان اسمه هاربر ، ولكنى لست واثقة ، فقد التحق بخدمة مستر بليبنر منذ قليل ، وهو شاب ظريف .

- أشكرك يا ليدى ويلارد .

- اذا كان هناك شئ آخر ..

- لاشئ فى الوقت الحاضر . دعى الامر بين يدى الان ، وثقى أننى سأبذل كل ما فى مقدورى لحماية ابنك .

لم تكن هذه الكلمات بالذات من تلك التى تبعث الاطمئنان الى النفس ، وقد رأيت الليدى ويلارد تنتفض وهو ينطق بها . ولكن كونه لم يسخر من مخاوفها أمدها فى نفس الوقت بشئ من الراحة .

أما من ناحيتى أنا فاننى لم يسبق أن شككت فى أن بوارو يؤمن بالخرافات الى هذا الحد . وداعبته فى هذه النقطة ونحن فى طريق العودة فأجابنى بكل جد ورصانة :

- ولكن هذا صحيح يا هاستنجز . اننى أومن بهذه الاشياء . لا يجب أن تستخف بالخرافات ولا بقواها الخفية .

- وماذا نفعل الان .

- انك رجل عملى دائما يا هاستنجز . سنبدأ قبل كل شئ بأن نبرق الى نيويورك لنطلب المعلومات الوافية عن الظروف التى أحاطت بموت بليبنر الشاب .

وأسرع بارسال برقيته . وجاءه الرد ، وكان طويلا دقيقا ، فان روبيرت بليبنر الشاب كان يعانى من ضائقة مالية منذ سنوات عديدة ، وقد حاول أن يكتسب عيشه مدة طويلة فى بحار الجنوب ، ولكنه عاد الى نيويورك منذ سنتين ، ولم يلبث أن هبط السلم الاجتماعى ، وانحدر الى الحضيض . والشئ الهام الذى بقى فى ذهنى هو أنه اقترض ما يكفى من نقود لكى يسافر الى مصر حيث قال :

" ان لى صديقا حميما هناك استطيع أن أقترض منه ما أشاء .. ولكن مهما يكن من أمر فان خطته هذه باءت بالفشل لأنه لم يلبث أن عاد الى نيويورك وهو يسب ويلعن عمه العجوز الذى يبعثر أمواله على بقايا الملوك الذين ماتوا والذى لا يهتم بابن أخيه مع أنه من لحمه ودمه . وقد مات سير جون ويلارد اثناء وجود روبيرت فى مصر ، وغرب الشاب مرة ثانية فى حياة المسرات والملذات فى نيويورك . ثم . وبدون سابق انذار انتحر ، تاركا خلفه خطابا يحتوى على كلمات غريبة يبدو أنه كتبه وهو يعانى من ثورة نفسية ومن تبكيت الضمير فقد أشار فى هذا الخطاب الى أنه أبرص منبوذ

واختتمه قائلا أن الرجل الذى على غراره لا يستحق أن يعيش .

نبضت فى ذهنى نظرية مبهمة ، والحق اننى لم أصدق أبدا حكاية انتقام ملك مصرى مات واندثر منذ عدة قرون . ورأيت فى هذا الخطاب جريمة حديثة . هب ان هذا الشاب استقرت نيته على قتل عمه وأنه دس له السم لهذا الغرض ، وان سير ويلارد هو الذى ازدرد السم نتيجة خطأ ما وانه عاد الى نيويورك تؤرقه الجريمة التى ارتكبها . وعندما أتاه نبأ موت عمه وهو فى نيويورك ورأى أنه ارتكب جريمة لا ضرورة لها عذبه ضميره وانتحر .

عرضت نظريتى هذه على بوارو فأبدى اهتمامه بها وقال : - ان النظرية التى خطرت لك نظرية بارعة جدا .. ربما حدث ذلك حقا ولكنك لا تدخل فى حسابك تأثير المقبرة المشئوم .

هززت كتفى وقلت : - هل تظن حقا أننا يجب أن نهتم بذلك .

- الى حد كبير يا صديقى بحيث اننا ننتقل الى مصر غدا .

فصحت مشدوها : - ماذا ؟

- هو ذلك يا صديقى .

وبدت على وجه بوارو سمات البطولة والتضحية وتأوه قائلا : - ولكن .. أوه .. هذا البحر البغيض !

* * *

بعد ذلك بأسبوع .. كانت رمال الصحراء تمتد تحت أقدامنا وأشعة الشمس الحامية تنصب فوق رءوسنا ، وكان بوارو ، صورة مجسدة للتعاسة والشقاء ، يذوى بجانبى .. لم يكن الرجل القصير ممن يحتملون السفر ، وكانت رحلة الايام الأربعة التى قضيناها من مرسيليا عذابا لا يطاق بالنسبة له . وقد هبط من السفينة فى الاسكندرية وهو

يكاد يبدو شبحا من الأشباح .. حتى نظافته قد تخلت عنه . ووصلنا الى القاهرة ، ومضينا رأسا الى فندق مينا هاوس ، فى ظل الاهرامات .

وخلبتنى مصر بسحرها ولكنها لم تخلب لب بوارو كان يرتدى ثيابه تماما كما كان يرتديها في لندن .. نفس العناية ونفس الاناقة .. وكان يحمل فى جيبه فرشاة صغيرة ويشن حربا لا هواده فيها على الغبار الذى كان يتجمع فوق ثيابه الداكنة ما بين لحظة وأخرى .

وراح يشكو قائلا : - وحذائى .. انظر اليه يا هاستنجز .. حذائى الجلدى الثمين اللامع دائما .. انظر اليه الان .. ان الرمال بداخله وهى تؤلم ، وخارجه ومنظرها يؤذى العين .. ثم الطقس .. ان الحر شديد .

فقلت : - انظر الى ابى الهول .. اننى لأحس بالسحر والغموض ينبثقان منه .

نظر بوارو الى أبى الهول فى استياء وقال : - يبدو أنه غير سعيد .. وكيف يكون سعيدا ونصفه مدفون فى الرمال فى هذا الحر الذى لا يطاق .. آه .. يا لهذه الرمال اللعينة !

فقلت أعيد الى ذاكرته ذكرى أجازة سبق أن قضيناها معا فى بلجيكا ، على شاطئ البحر ، حيث كثبان الرمال .

- ومع ذلك فهناك رمال فى بلجيكا .

فقال بوارو : - ولكنها على شاطئ البحر وليست فى قلب بروكسل .

ونظر الى الاهرامات فى تفكير ثم استطرد : - الواقع انها ذات شكل هندسى رائع وجميل على الاقل ، ولكن سطحها غير مستقيم ولا يسر منظرها العين .. وأشجار النخيل .. اننى لا أحبها .. بل اننى لا أحب منظرها على جانبى الطريق .

وقطعت عليه شكواه وأنينه مقترحا الذهاب الى المعسكر . وكان يتعين علينا أن نركب الجمال ، وكانت هذه الاخيرة قد بركت فى انتظارنا ، وراحت تنظر إلينا فى صبر

تحت اشراف بعض الصبية والتراجمة .

وأمر مر الكرام على منظر بوارو وهو فوق الجمل . وكان قد بدأ بالتأوه والأنين ، وانتهى به الامر الى الصراخ والعويل والأبتهال الى العذراء والقديسين . وأخيرا هبط من فوق الجمل بطريقة مخزية ، وانهى الرحلة على ظهر جحش . ويجب أن أعترف بأن ركوب الخيل ليس بالامر الهين فقد تيبست اطرافى وظللت أعانى منها أياما طويلة .

واقترينا أخيرا من مكان المقبرة . وأقبل لملاقاتنا رجل ملوح البشرة ، ذو لحية وخطها المشيب ويرتدى ثيابا بيضاء ويضع فوق رأسه خوذة . وقال :

– مسيو بوارو وكابتن هاستنجز ؟ .. لقد جاءتنا برقيتكما .. آسف اذ لم يستقبلكما أحد فى القاهرة ، فقد وقع حادث فجائى أفسد علينا كل خططنا .

شحب وجه بوارو ، وكان قد رفع يده ليأخذ فرشاة ملابسه فتوقف وهمس قائلا :

– هل مات أحد آخر ؟

– نعم .

فصحت : – أهو سير جاى ويلارد ؟

– كلا يا كابتن هاستنجز .. بل زميلى الامريكى ، مستر شيندر .

وسأله بوارو : – وما سبب الوفاة ؟

– تصلب الشرايين .

فر اللون من وجهى وبدأ لى أن الجو من حولى أصبح مشحونا بالشر والخوف والتهديد . وخطر لى خاطر مروع فقد خشيت أن أكون أنا الضحية التالية وقال بوراو فى صوت خافض :

– يا الهى ! .. اننى لا افهم هذا .. هذا مروع ! .. قل لى يا سيدى ، أليس هناك أى شك فى أنه تصلب الشرايين .

– لا أعتقد ذلك ولكن الدكتور ايمز يستطيع أن يخبرك خيرا منى .

– آه .. بالطبع .. أنت لست الطبيب اذن .

– ان اسمى توسويل .

اذن فهذا هو الخبير الانجليزى الذى تحدثت عنه الليدى ويلارد قائلة أنه الموظف الثانوى الملحق بالمتحف الانجليزى . خيل لى أن فى هيئة ذلك الرجل الشاحب شيئا خطيرا ورصينا فى نفس الوقت .

وأستطرد مسيو توسويل يقول : – هل لكما أن تتبعانى ؟ .. سأذهب بكما الى سير جاى ويلارد ، فقد أبدى رغبته فى أن نخبره بمجرد قدومكما .

وتقدمنا عبر المعسكر الى خيمة كبيرة . ورفع الدكتور توسويل الستار وافسح لنا الطريق وكان هناك ثلاثة رجال يجلسون بالداخل . وقال توسويل :

– وصل مسيو بوارو والكابتن هاستنجز يا سير جاى .

هب أصغر الرجال الثلاثة واقفا واقبل نحونا مصافحا . كان فى حركاته شئ من الاندفاعية ذكرنى بامه . ولم تكن الشمس قد لوحت بشرته بما فيه الكفاية كالاخرين ، وهذه النقطة بالذات مضافا اليها حول بسيط فى عينيه جعلته يبدو أكبر من سنه الاثنتين والعشرين . وكان واضحا انه يخضع لمجهود ذهنى كبير .

وقدم لنا زميليه ، وهما الدكتور ايمز ، وهو رجل ذكى فى الثلاثين من عمره ، بدأ المشيب يخط شعر صدغيه ، ومستر هاربر السكرتير ، وهو رجل وسيم نحيل الجسم يلبس نظارة .

وبعد دقائق قلائل من حديث مفكك غير مترابط خرج مستر هاربر وتبعه الدكتور توسويل . وبقينا وحدنا مع سير جاى والدكتور ايمز .

وقال ويلارد : – أرجوك ان تلقى ما تشاء من اسئلة يا مستر بوارو ، فإن هذه المآسى الغريبة المتلاحقة أثارت حيرتنا ، ولكنها ليست .. لا يمكن أن يكون الامر اكثر من مصادفة .

كانت حركاته عصبية تكذب كلماته ورأيت أن بوارو كان ينظر اليه مدققا وسأله :

- هل يهمك ان يستمر العمل ياسير جاى ؟

- طبعا ..يجب ان يستمر مهما يقع ومهما يكن من أمر . ضع هذا نصب عينيك .

تحول بوارو نحو الرجل الاخر وقال : - وانت يا سيدى الدكتور ؟ .. ما رأيك ؟ ..

أجاب الدكتور : - الحق اننى لا أفكر فى التخلى عن هذا العمل .

وابتسم بوارو ابتسامة ذات معنى وقال : - حسنا .. حسنا .. يجب ان نعرف موقفنا بالطبع .. متى مات مستر شيندر ؟

- منذ ثلاثة أيام .

- هل انت واثق ان الموت وقع نتيجة تصلب الشرايين ؟

- كل الثقة .

- الا يمكن ان يكون قد وقع نتيجة تناول سم الاستركنين مثلا ؟

- كلا يا مسيو بوارو .. اننى أفهم ما ترمى اليه . ولكن كان من الجلى أنه مات متأثرا من تصلب الشرايين .

- هل حقنته بالمصل المضاد ؟

أجاب الطبيب فى جفاء : طبعا .. اننا بذلنا كل ما كان فى مقدورنا .

- هل كان المصل المضاد موجودا معكم ؟

- كلا . اننا استحضرناه من القاهرة .

- هل وقعت حالات اخرى من تصلب الشرايين فى المعسكر ؟

- كلا . لم تقع غير هذه الحالة فقط .

- هل أنت واثق أن موت مستر بليبنر لم يكن نتيجة لتصلب الشرايين هو الاخر ؟

- كل الثقة . كان فى أبهامه خدش اصيب بالتسمم والعفن . يبدو أنه شئ واحد لرجل من غير المهنة ولكن الحالتين مختلفتان كل الاختلاف .

- أمامنا اذن أربع حالات .. كل منها مختلفة عن الاخرى .. واحدة منها سكتة قلبية . والثانية تسمم فى الدم ، والثالثة أنتحار ، والرابعة تصلب الشرايين .

- هو ذلك يا مسيو بوارو .

- هل انت واثق انه ليس هناك ما يجمع بين هذه الحالات الاربع ؟

- أننى لا أفهمك جيدا .

- سأوضح لك الامر أذن .. هل قام احد هؤلاء الرجال الاربعة بأى عمل يستدل منه على ازدرائه بروح الملك من - حر - رع ؟

حملق الدكتور فى بوارو مشدوها وقال : - ما هذا السخف يا مسيو بوارو ؟ .. لا أظنك تؤمن حقا بكل هذه الخرافات .

وقال ديلارد محنقا : - هى سخافات حقا .

بقى وجه بوارو جامدا لا ينم عن شئ ورمش بعينيه الخضراوين وقال :

- أنت تؤمن بها اذن يا سيدى الدكتور ؟

فقال الدكتور فى توكيد : - كلا يا سيدى . اننى لا أؤمن بها .. انى رجل علمى أؤمن بما يلقننا العلم اياه فحسب .

فسأله بوارو فى رقة : - ألم يكن هناك علم فى مصر القديمة اذن ؟

ولم ينتظر الرد ، والحق ان الدكتور ايمز تملكه الأرتباك لحظة ولم يحر جوابا . واستطرد بوارو يقول : -

- كلا .. كلا .. لا ترد على ولكن قل لى .. ما رأى الأهالى الذين يشتغلون معكم فى هذه الوفيات .

فأجابه الدكتور : - أعتقد أنهم لا يقلون عنا حيرة ودهشة ، وان الفزع بدأ يسرى بينهم وأن لم بكن هناك سبب يحدوهم لذلك .

قال بوارو فى براءة : - حقا ؟

انحنى سير جاى الى الامام وصاح غير مصدق : - لا يمكنك طبعا أن تؤمن بهذه الخرافات .. هذا أمر سخيف ! .. اذا كنت تؤمن بها حقا فأنت لا تعرف شيئا عن مصر القديمة .

وكان رد بوارو على هذا أنه اخرج من جيبه كتابا صغيرا .. كتابا قديما باليا ، وفيما هو يبسطه بين يديه تمكنت من قراءة عنوانه " سحر المصريين والكلدانيين " .

ثم استدار وغادر الخيمة . وحملق الدكتور فى قائلا :

- ما الذى يدور فى رأسه ؟

وكانت هذه الجملة مألوفة بين شفتى بوارو فابتسمت وأنا أسمعها من شخص آخر غيره وقلت :

- الحق اننى لا أعرف .. لعل لديه خطة ما لطرد الارواح الشريرة .

وذهبت ابحث عن بوارو فوجدته يتحدث مع الشاب النحيل الذى كان يعمل سكرتيرا لمستر بليبنر ، وسمعت هذا الاخير يقول :

- كلا . اننى التحقت بالبعثة منذ ستة شهور فقط وأعرف أعمال مستر ليبنر معرفة كافية .

- هل يمكن أن تذكر لى كل ما تعرفه عن ابن أخيه ؟

- انه أقبل هنا ذات يوم وهو شاب غير دميم ولم يسبق أن التقيت به من قبل ولكن بعض الاخرين سبق أن رأوه .. ايمز وشنيدر على ما أعتقد .. ولم يبتهج مستر بليبنر برؤيته ، وقد تشاجرا على الفور وصاح الرجل العجوز يقول : " ولا بنسا واحدا .. لن تأخذ منى بنسا واحدا لا الان ولا بعد أن أموت .. اننى أنوى أن أوقف أموالى لمتابعة أعمال الحفر والتنقيب عن الاثار ، وكنت أتحدث فى هذا الصدد مع مستر شنيدر اليوم " . وتكلم كلاما آخر فى هذا المعنى . وقد غادر بليبنر الشاب القاهرة على الفور .

- هل كان يتمتع بصحة جيدة عندئذ ؟
- من تعنى ؟ .. الرجل العجوز ؟
- كلا . بل ابن أخيه .
- أظن أنه كان يشكو شيئا ولكنه لم يكن ذا بال والا لكنت قد تذكرت .
- سؤال آخر .. هل ترك مستر بليبنر وصية ؟
- كلا .. بقدر ما أعلم .
- هل تنوى البقاء مع البعثة يا مستر هاربر ؟
- كلا يا سيدى . لا أنوى ذلك . سأذهب الى نيويورك حالما أفرغ من تنسيق أوراق مستر بليبنر . لك أن تضحك اذا شئت ولكنى لا أريد ان أكون الضحية التالية لهذا الملك الاحمق من - حر - رع . انه سينالنى اذا انا بقيت هنا .

وجفف الشاب العرق الذى يتفصد من جبينه . واستدار بوارو ومضى عنه ولكنه قال من فوق كتفه وهو يبتسم ابتسامة غريبة .

- لا تنس أنه نال احدى ضحاياه فى نيويورك .

فقال مستر هاربر مكرها : - اوه .. يا للجحيم !

وقال بوارو فى تفكير : - أن هذا الشاب يعيش على أعصابه .. الى حد كبير .

نظرت الى بوارو مستفهما ولكن ابتسامته لم تفصح عن شئ . وزرنا المقابر برفقة سير جاى ويلارد والدكتور توسويل ، وكانت الاثار المهمة التى عثروا عليها قد نقلت الى القاهرة . ولكن بعض الموجودات التى كانت لا تزال موجودة بالمقابر أثارت اهتمامنا الى حد كبير . وكان حماس النبيل الشاب واضحا ولكنى لاحظت فى حركاته ظلا من الانفعال كما لو كان لا يستطيع أن يتخلص من شعور التهديد الذى يخيم على المكان . وفى اللحظة التى هممنا فيها بأن ندخل الخيمة التى خصصت لنا للاغتسال قبل ان نتناول طعام العشاء ، تحرك شخص طويل القامة أسمر اللون يتشح بالبياض

وأفسح لنا الطريق فى حركة رقيقة وهو ينطق بالتحية باللغة العربية فتوقف بوارو وسأله :

- أأنت حسن الذى كان يشرف على خدمة سير جون ويلارد ؟

- كنت اشرف على خدمته اما الان فاننى اشرف على خدمة ابنه .

واقترب منا خطوة وخافت من صوته وهو يقول مستطردا : - يقولون انك رجل حكيم وأنك تعرف كيف تطرد الارواح الشريرة فاعمل على أن يغادر سير جاى هذه البلاد فان الشر يحوم حولنا .

وفجأة وبدون أن ينتظر ردا اسرع بالابتعاد .

وتمتم بوارو يقول : - ان الشر يحوم حولنا .. نعم اننى احس بذلك .

تناولنا الطعام فى جو كئيب بعيد عن البهجة والمرح ، وتركنا دفة الحديث للدكتور توسويل فتحدث ما شاء عن الاثار المصرية ، وعندما هممنا بالانصراف أمسك سير جاى ويلارد بوارو من ذراعه وأشار باصبعه الى شئ يتحرك بين الخيام . ولم يكن ذلك انسانا ، وقد رأيت فى وضوح جسد الكلب الذى رأيت صورته محفورة على جوانب المقبرة .

تجمد الدم فى عروقى ، وهمس بوارو وهو يرسم علامة الصليب فى قوة :

- يا الهى ! .. هذا هو أنوبيس .. ابن آوى .. اله النفوس الحائرة .

وصاح مستر توسويل وهو يهب واقفا على قدميه محنقا : - ان شخصا ما يهزأ بنا .

وتمتم سير جاى وقد فر لونه : - انه دخل خيمتك يا هارير .

ولكن بوارو هز رأسه وقال : كلا ، بل دخل خيمة الدكتور ايمز .

نظر الطبيب غير مصدق ثم هتف يقول مكررا عبارة الدكتور توسويل :

- ان شخصا ما يهزأ بنا .. تعالوا ! .. سنمسك به .

واسرع يطارد ذلك الشئ الذى رأيناه ، وتبعته . ولكن ذهبت أبحاثنا أدراج الرياح، فلم نجد أى أثر لاى أحد سواء كان آدميا أو حيوانا . وعدنا وقد تملكنا الانزعاج ووجدنا بوارو يقوم باجراءات ذات فعالية لأمنه وسلامته هو بالذات ، فقد انهمك في احاطة خيمتنا بالرسومات والعلامات الرمزية التى راح يخططها فوق الرمال ورأيت بين هذه الاشكال رسم النجمة ذات الافرع الخمسة المسماة بالمخمسة الاضلاع ، وقد كرر رسمها مرارا كثيرة . وطبقا لعادة أعرفها راح بوارو يتمتم ببعض الرموز السحرية ويقرع السحر الاسود بالسحر الابيض وينطق بفقرات بأكملها من كتاب الموتى المعروف باسم كا .

ويبدو أن هذا العمل من ناحية بوارو أثار ازدراء الدكتور توسويل لانه أخذنى جانبا وهو يقول فى استنكار :

– كل هذا هراء يا سيدى .. هراء .. ان هذا الرجل دعى محتال .. انه لا يعرف الفرق بين خرافات العصور الوسطى واعتقادات مصر القديمة . لم أسمع ابدا بمثل هذا الجهل المطبق .

وهدأته بقدر ما استطعت ، ولحقت ببوارو داخل الخيمة ، وكان صديقى يتألق بشرا وسرورا ، وقال فى ارتياح :

– يمكننا أن نرقد الآن فى أمان .. واننى فى حاجة الى النوم فعلا فان رأسى تؤلمنى.. آه ! .. يا لهذا الصداع الشديد .. من لى بكوب من الشاى الساخن .

وكأن أمنيته استجيبت فقد أزيح الستار وظهر حسن وفى يده صينية عليها كوبان من الشاى تصاعد الدخان منهما ، ناول لبوارو واحدا منهما أخذه هذا الاخير وهو يشكره . اما انا فقد رفضت الكوب الذى قدمه لى . وبعد أن نضوت عنى ثيابى وارتديت منامتى وقفت بعتبة الخيمة لحظة وأنا انظر الى الصحراء متأملا وصحت أقول: – ما أروع هذا المكان وما أجمل العمل الذى يقومون به . انه منظر ساحر يخلب

اللب ويأسر الفؤاد .. ان حياة الصحراء والتنقيب فى قلب مدينة مندثرة لعمل جميل حقا . لا ريب أنك تحس بما أحس أنا به يا بوارو ، أليس كذلك ؟

واذ لم أتلق ردا تحولت اليه فى شئ من الضيق ، وتحول ضيقى الى قلق على الفور فقد كان بوارو طريحا فوق الفراش الخشن ووجهه شديد التوتر والتشنج وبجواره الكوب الفارغ ، وأسرعت اليه ثم ركضت الى الخارج ومضيت الى خيمة الذكتور ايمز وصحت به :

- دكتور ايمز .. تعال حالا .

فقال الطبيب وهو يخرج بالبيجاما : - ما الخبر ؟

- صديقى .. انه مريض .. انه يعانى سكرات الموت .. شراب الشاى ! .. لا تدع حسن يغادر المعسكر .

وأسرع الطبيب صوب خيمتنا كالسهم . وكان بوارو لا يزال ممددا كما تركته فصاح ايمز :

- هذا غريب ! .. يبدو أنه أصيب بنوبة .. اوه هل قلت انه شرب شيئا ؟

وأخذ الكوب الفارغ وارتفع صوت جاف يقول فى هذه اللحظة :

- ولكنى لم أشربه .

وأستدرنا مدهوشين واذا ببوارو جالسا فوق الفراش وكان يبتسم . وقال فى رفق :

- كلا . اننى لم أشربه . بينما كان صديقى هاستنجز يناجى الليل انتهزت الفرصة وأفرغت الكوب ، لا فى حنجرتى ، ولكن فى زجاجة صغيرة سأرسلها الى أحد الكيميائيين للتحليل .

وأسرع هو يقول وهو يرى الطبيب يأتى بحركة مفاجئة :

- كلا . انك عاقل بما فيه الكفاية لكى تفهم ان العنف لن يجديك فتيلا ، ففى أثناء غياب هاستنجز الوجيز لكى يأتى بك استطعت ان أضع الزجاجة فى مكان أمين

آه.. اسرع يا هاستنجز .. امسكه !

أسأت فهم ما يرمى اليه بوارو ، ففى لهفتى لانقاذه ألقيت بنفسى أمامه ، ولكن حركة الدكتور السريعة كانت تهدف الى شئ آخر ، فقد رفع يده الى فمه ، وامتلات برائحة اللوز المر وترنح ايمز الى الامام ثم وقع على الأرض .

وقال بوارو فى خطورة : - ضحية أخرى .. ولكنها الاخيرة هذه المرة .. ولعل هذا افضل شئ فانه مسئول عن ثلاث جرائم .

وصحت مشدوها : - الدكتور ايمز ؟ .. ولكن خيل لى انك كنت تؤمن ببعض القوى الخفية .

- انك أسأت فهمى يا هاستنجز . قلت اننى أؤمن بقوة تأثير الخرافات ، فان المعروف انك اذا أفلحت مرة فى الايحاء الى الناس بأن بعض الوفيات المتلاحقة سببها قوى خارقة للطبيعة فانك تستطيع عندئذ أن تطعن رجلا فى وضح النهار وانت واثق تقريبا ان الناس ستنسب مصرعه الى القوى الشريرة طالما أن غريزة الظواهر الخارقة للطبيعة قد رسخت فى أذهانهم . وقد غامرنى الشك فى البداية فى أن شخصا ما يستفيد من هذه الغريزة ويلوح لى أن هذه الفكرة قد واتته على أثر وفاة سير جون ويلارد فقد استبدت الخرافة بالناس وتأصل فيهم الخوف منها بشكل عجيب ، وبقدر ما اعرف لم يكن هناك من يستفيد من موت سير جون ويلارد . اما مستر بليبنر فقد كان أمره مختلفا اذ كان رجلا واسع الثراء ، والمعلومات التى جاءتنى من نيويورك كانت تضم نقاطا كثيرة مثيرة اولها ان بليبنر الشاب كان يفخر بأن هناك صديقا له فى مصر يستطيع أن يقرضه ما يشاء من مال . وقد تصور الجميع انه يقصد عمه بهذا الكلام ، ولكن خيل لى لو أنه كان يقصد عمه حقا لكان أكثر صراحة من ذلك ، وانه بناء على ذلك كان يقصد صديقا قديما له . وثمة شئ آخر فقد استطاع أن يجمع بشق النفس ما يكفى من نقود لكى يأتى الى مصر ، ورفض عمه صراحة ان يعطيه مليما واحدا ، ومع

ذلك فقد تمكن من الحصول على ثمن تذكرة العودة الى نيويورك ، وهذا يدل على أن بعضهم قد أقرضه ما يريد من مال :

فقلت معترضا : - كل هذا يبدو واهيا .

- ليس هذا كل شئ يا هاستنجز . فيحدث احيانا ان ننطق ببعض الكلمات مجازا فيأخذها البعض الاخر على أنها كلمات واقعية ، وكذلك يمكن ان يقع العكس بالضبط وفى هذه الحالة بالذات نطق بليبنر الشاب بكلمات واقعية اعتبرها الناس مجازا فانه كتب يقول " انا رجل أبرص " . ولكن احدا لم يخطر له أنه اطلق الرصاص على نفسه لانه اعتقد أنه اصيب بالبرص .

فصحت : - لماذا ؟

- كان هذا العمل تدبير عقل شيطانى فان بليبنر الشاب كان يتألم من مرض جلدى غير خطير ، فقد قضى فترة من عمره في بحار الجنوب حيث تنتشر الامراض الجلدية ، وكان ايمز صديقا قديما له وطبيبا مشهورا . وما كان يخطر لبليبنر ان يشك فى قوله أبدا

وحين قدمت هنا انحصرت شكوكى بين هاربر وايمز ولكنى لم ألبث أن أدركت ان الطبيب هو وحده الذى استطاع ان يدبر ويخفى هذه الجرائم ، ثم اننى علمت من هاربر أن ايمز كان يعرف بليبنر الشاب من قبل . ولاريب ان هذا الاخير كتب وصية أو أمن على حياته لصالح الدكتور ، ورأى هذا الاخير فى ذلك الفرصة للاثراء ، وكان من اليسير له أن يلقح مستر بليبنر بالجراثيم القاتلة . ثم استولى الخوف على ابن الاخ حين أبلغه صديقه بذلك النبأ الرهيب فانتحر مدفوعا بعامل اليأس . ومهما كانت ميول مستر بليبنر فهو قد مات دون ان يكتب وصيته ولهذا فان أمواله تؤول الى ابن أخيه ثم الى الطبيب .

- ومستر شنيدر ؟

- اننا لا نستطيع ان نعلم شيئا اكيدا عنه . ولكن تذكر انه هو ايضا كان يعرف

بليبنر الشاب . ومن الجائز ان الشك خامره ومن الجائز ان الطبيب خطر له ان وفاة أخرى لا دافع لها ولا سبب قد تؤيد الاعتقادات الدينية والخرافات الشائعة . وفضلا عن هذا سأقول لك حقيقة نفسية على جانب كبير من الاهمية يا هاستنجز . ان القاتل يشعر دائما برغبة قوية فى تكرار جريمته خاصة اذا كانت هذه الجريمة قد تمت من غير أن يفطن اليها أحد ومن غير أن يناله أى جزاء . ومن هنا كان خوفى على ويلارد الشاب ، وان شخصية أنوبيس التى رأيتها هذه الليلة لم تكن غير حسن ، وقد تنكر بناء على أمرى فقد أردت ان أرى اذا كنت استطيع ان اخيف الدكتور ، ولكن كان لابد من أكثر من هذا لاخالته . وقد أدركت أنه لم تنطل عليه اعتقاداتى المزعومة وايمانى بالقوى الخفية ولم تجز عليه المهزلة الصغيرة التى قمت بها وشككت فى أنه سيعمل على أن أكون الضحية التالية .. آه .. ولكن على الرغم من البحر البغيض والحر اللافح ومضايقات الرمل فان خلايا مخى الصغير قامت بعملها خير قيام .

واتضح ان بوارو كان على حق فى استنتاجاته ، فمنذ بضع سنوات كتب بليبنر الشاب وهو مخمور وصية غريبة فقد قال " اوصى بعلبة سجائرى وبكل ما قد يكون فى حوزتى عند وفاتى ، بما فى ذلك ديونى ، لصديقى العزيز روبيرت ايمز الذى أنقذنى مرة من الغرق " .

وطمست القضية بقدر المستطاع ، ومازال البعض حتى يومنا هذا يتحدثون عن سلسلة الوفيات الغريبة المتتابعة المرتبطة بمقبرة من - حر - رع . كدليل انتصارى لانتقام ملك مات واندثر منذ عهد بعيد من الذين دنسوا مقبرته وهو اعتقاد مناقض لمعتقدات المصريين وأفكارهم .

* * *

الفصل السابع

العقد المسروق

- اعتقد يا بوارو ان تغيير الهواء سيكون ذا نفع كبير لك .

- هل تعتقد ذلك حقا يا صديقى ؟

- بل اننى على يقين من ذلك .

قال صديقى وهو يبتسم : - حسنا . أراك قد دبرت كل شئ .

- هل تأتى معى ؟

- أين تريد أن تذهب بى ؟

- الى بريتون .. الحقيقة أن أحد اصدقائى المقيمين بالمدينة عرض على عرضا جميلا و ..

حسنا .. لدى نقود فائضة أريد ان ألقى بها من النافذة ، اذا جاز لى هذا القول ، ويبدو لى ان قضاء اجازة آخر الأسبوع فى فندق متروبوليتان ببريتون ستكون ذات نفع كبير لنا .

- شكراً .. اننى اقبل بأمتنان كبير . انك من الكرم بحيث تفكر فى رجل عجوز مثلى ، والكرم على كل حال يساوى الذكاء .. نعم ، نعم .. اننى انسى هذه الحقيقة أحيانا .

لم استسغ هذه اللمحة كثيرا فانه يخيل لى أحيانا ان بوارو يميل قليلا الى الاستهانة بمقدرتى الذهنية ، ولكن ابتهاجه كان من الوضوح بحيث اننى لم البث ان

غضضت عن لمحته وأسرعت أقول :

- اتفقنا اذن .

وجاء علينا مساء يوم السبت ونحن جالسون نتناول العشاء امام احدى الموائد فى فندق متروبوليتان بين حشد من علية القوم حتى أنه خيل لى أن رجالات المجتمع وزوجاتهم فى جميع أنحاء انجلترا قد اجتمعوا فى بريتون . وكانت النساء يرتدين أجمل ما لديهن من ثياب ومجوهرات . وقد ضرب اكثرهن عرض الحائط بالذوق السليم فى سبيل عرض اروع ما لديهن .

وتمتم بوارو يقول : - هذا منظر جميل حقا .. يبدو لى أن هذا المكان لا يؤمه غير الاستغلاليين . أليس هذا رأيك يا هاستنجز :

فأجبت : - يبدو لى ذلك ولكننى أرجو أن لا يكونوا كذلك حقا .

ادار بوارو عينيه فيما حوله في برود وقال : - ان رؤية كل هذه المجهورات تجعلنى أتمنى لو أننى حولت ذكائى الى الجريمة بدلا من المنطق والاستنتاج . ما أجملها من فرصة ذهبية لاى لص له ذوق سليم . انظر يا هاستنجز الى هذه المرأة الضخمة بجوار العمود ، كأنها مطعمة كلها بالاحجار الكريمة .

نظرت الى حيث يشير وهتفت : - اوه .. ولكن هذه هى مسز اوبالسن .

- هل تعرفها ؟

- معرفة سطحية ان زوجها سمسار موسر اثرى اخيرا فى صفقات الزيت والبترول .

وبعد ان فرغنا من تناول طعام العشاء وجدنا اوبالسن وزوجته فى الصالون فقدمت لهما بوارو . وتبادلنا الحديث معا بضع لحظات ثم تناولنا القهوة معا .

ونطق بوارو ببضع كلمات تدل على اعجابه بالاحجار الثمينة التى تعرضها مسز اوبالسن على صدرها فانبسطت هذه الاخيرة على الفور وقالت :

- هذه عادة متأصلة عندى يا مستر بوارو ، فاننى أعبد المجوهرات ، وأيد يعرف

ميلى هذا ، وكلما عقد صفقة رابحة جاءنى بشئ جديد . هل تثير الأحجار الكريمة اهتمامك ؟

– يحدث اننى اهتم بها من وقت لاخر يا سيدتى ، فان مهنتى جعلتنى أبدى اهتماما خاصا بأشهر الاحجار فى العالم .

وراح يسرد عليها قصصه مع أشهر الاحجار التاريخية متخذا اسماء مستعارة لاصحابها الامراء . واصغت مسز أوبالسن اليه وهى تلهث وصاحت تقول حين فرغ من حديثه :

– تصور ! .. لكأنها قصص خيالية . انا نفسى أملك مجوهرات لها قصة مثيرة ، واعتقد ان العقد الذى لدى يعتبر من أجمل عقود العالم أجمع ، ففيه لالئ نفيسة منتقاة لها لون لا مثيل له سأذهب وآتيك به فورا .

فاحتج بوارو قائلا : – اوه يا سيدتى .. هذه مكرمة منك وارجوك ان لاتزعجى نفسك .

– أوه .. ولكنى أريد أن أريك اياه حقا .

وأسرعت المرأة الممتلئة الى المصعد وهى تختال . وكان زوجها يتحدث معى حتى هذه اللحظة فنظر الى بوارو مستفهما فقال له هذا الاخير :

– لقد بلغ من كرم زوجتك انها تصر على أن ترينى عقدها .

– آه .. اللالئ !

وابتسم أوبالسن ابتسامة تدل على الارتياح والرضا واستطرد : – انها جديرة بأن تراها حقا ، فقد كلفتنى ثروة باهظة ، وعزائى انه استثمار مؤكد واستطيع ان استرد ما دفعته ثمنا لها فى أى وقت اشاء .. بل ربما استطيع الحصول على أكثر من قيمتها .. وربما اضطررت الى ذلك اذا استمرت الاحوال على هذا المنوال ، فان هناك حالة ركود بصورة بغيضة هذه الايام .

واستطرد فى حديثه فتكلم عن الازمة المالية المستحكمة متخذا استعارات فنية لم استطع ان اجاريه فيها . وقطع أحد الخدم عليه الحديث اذ اقترب منه وهمس فى أذنه شيئا .

- ايه .. ماذا ؟ .. سآتى فورا .. انها ليست مريضة ، اليس كذلك ؟ .. معذرة أيها السادة .

وتركنا فجأة ، وانحنى بوارو لكى يشعل احدى سجائره الروسية ، ثم راح يرتب فناجين القهوة الفارغة فوق الصينية فى عناية فائقة ، وتأملها أخيرا وهو فى منتهى الغبطة والابتهاج .

ومرت الدقائق ولم يعد مستر أوبالسن وزوجته واخيرا قلت :

- هذا غريب .. اننى لاعجب متى يعودان .

نظر بوارو الى سحب الدخان المتصاعدة من سيجارته ثم قال فى تفكير .

- أنهما لن يعودا .

- لماذا ؟

- لان شيئا ما قد حدث يا صديقى .

فسألته فى فضول : - أى شئ ؟ وكيف عرفت ؟

ابتسم بوارو وقال : - ان المدير خرج من مكتبه مسرعا منذ هنيهة وصعد السلم ركضا ، وكان شديد الاضطراب . وعامل المصعد غارق فى الحديث مع أحد الخدم ، وقد دق جرس المصعد ثلاث مرات ولكنه لم يبال . ثم أن الخدم أنفسهم شاردو الذهن ، والخدم لا يشرد ذهنهم دون ما سبب .

وهز بوارو رأسه مختتما وقال : - لابد أن الامر على جانب كبير من الاهمية .. اوه .. هو كما اعتقدت حقا ، فهاهو ذا البوليس قادم .

ذلك ان رجلين ، احدهما يرتدى الثياب الرسمية والاخر الثياب المدنية دخلا فى هذه

اللحظة وذكرا شيئا لاحد الخدم فرافقهما هذا الاخير الى الدور العلوى على الفور .
وبعد بضع دقائق هبط الخادم واقبل نحونا وقال :

- مستر أوبالسن يرجوكما التكرم بالصعود اليه .

خف بوارو واقفا على قدميه فى نشاط عجيب وكأنه كان ينتظر هذه الدعوة ، ولم يكن نشاطى بأقل من نشاطه وأنا اتبعه .

كانت الشقة التى يشغلها اوبالسن تقع فى الطابق الاول . وطرق الخادم الباب ثم افسح لنا الطريق ، وسمعنا صوتا يقول : " ادخل " فدخلنا . وطالعنا منظر غريب أثار دهشتنا . فقد كانت الغرفة مخدع مسز اوبالسن ، وكانت السيدة اوبالسن نفسها مضطجعة الى الخلف فى أحد المقاعد الكبيرة وهى تنتحب بشدة . وكان منظرها غريبا بدموعها التى تنساب فوق وجنتيها محدثة اخاديد كبيرة فى الاصباغ التى تغطى وجهها اما مستر اوبالسن فكان يسير جيئة وذهابا فى غضب ، فى حين وقف رجلا البوليس فى وسط الغرفة وفى يد أحدهما دفتر صغير يدون فيه ملاحظاته . ووقفت خادمة مذعورة على مقربة من الموقد بينما وقفت فى آخر الغرفة فتاة فرنسية لم يكن هناك أى ريب فى أنها وصيفة مسز اوبالسن ، وكانت تبكى وتلوى يديها فى جزع شديد لا يقل عن جزع سيدتها .

تقدم بوارو وسط هذا الصخب فى خطوات ثابته وهو يبتسم وعلى الفور ، وفى خفة مدهشة ، من امرأة ضخمة مثلها وثبت مسز اوبالسن من مقعدها نحوه قائلة :

- حسنا .. يمكن له أن يقول الان ما يشاء ، اما انا فأؤمن بالحظ ، وقد كان مقدرا ان التقى بك الليلة يا مسيو بوارو ، ويخامرنى احساس بأنك اذا لم تستطع ان تستعيد لى مجوهراتى فلن يستطيع غيرك أن يعثر عليها .

ضغط بوارو على يدها فى رقة وقال : - اطمئنى يا سيدتى .. اطمئنى .. سيكون كل شئ على مايرام . سيساعدك هرقل بوارو .

تحول مستر اوبالسن الى مفتش البوليس وسأله : - أظن انه ليس هناك أى اعتراض اذا أنا التمست معونة هذا السيد ؟

فأجابه المفتش فى لهجة مهذبة وفى غير اكتراث : - ابدا يا سيدى لعل السيدة تستطيع الان . بعد أن أستردت جأشها ان تذكر لنا الحقائق .

نظرت مسز اوبالسن الى بوارو فى يأس ، وقادها هذا الاخير الى مقعدها قائلا :

- اجلسى يا سيدتى واذكرى لنا القصة كلها من غير انفعال .

وأمام هذه الدعوة جففت مسز اوبالسن دموعها على الفور وقالت :

- بعد أن فرغنا من تناول العشاء صعدت الى غرفتى هذه لكى أبحث عن عقد اللؤلؤ لاريه لمسيو بوارو ، وكانت الخادمة وسلستين فى الغرفة ، معا كما هى العادة .

- معذرة يا سيدتى ، ولكن ماذا تقصدين بعبارة " كما هى العادة " .

وكان مستر اوبالسن هو الذى اجاب فقال : - اننى أصدرت أوامرى بان لا يدخل هذه الغرفة احد ما لم تكن سلستين الوصيفة موجودة بها . والخادمة تقوم عادة بتنظيف الغرفة فى الصباح تحت بصر سلستين ، وتعود بعد العشاء لاعداد الفراش فى نفس الشروط ، وبغير ذلك لا تدخل الغرفة اطلاقا .

واستطردت مسز اوبالسن : - صعدت الى هذه الغرفة كما قلت . ومضيت الى هذا الدرج ..

وراح المفتش يدون ملاحظاته فى دفتره ثم سألها قائلا :

- متى رأيت العقد لاخر مرة ؟

- كان موجودا بالصندوق عندما هبطت لتناول العشاء .

- هل انت واثقة .

- كل الثقة . كنت مترددة .. هل أضعه حول عنقى أم لا ، وأخيرا استقر رأيى على عقد الزمرد وأعدت عقد اللؤلؤ الى الصندوق .

- ومن الذى أغلق صندوق المجوهرات ؟

- أنا . ومفتاحه معى ، فى سلسلة حول عنقى .

وسحبت السلسلة وهى تتكلم ، وفحصها المفتش ثم هز كتفيه وقال :

- لاريب أن اللص معه مفتاح آخر مطابق ، وليس هذا بالامر العسير ، فان القفل من نوع عادى . وماذا فعلت بعد أن أغلقت الصندوق ؟

- أعدته الى الدرج الأيمن حيث احتفظ به دائما .

- الم تغلق الدرج بالمفتاح ؟

- كلا . اننى لا أغلقه أبدا فان وصيفتى تمكث هنا حتى أعود . ولا حاجة بى الى أن أغلقه لهذا السبب .

أزداد وجه المفتش خطورة وقال : - أفهم من هذا أن عقد اللؤلؤ كان هنا عندما هبطت لتناول العشاء وان الوصيفة لم تغادر الغرفة طوال هذا الوقت .

أطلقت سلستين صيحة حادة كما أن هول موقفها بدا لها فجأة وارتمت على بوارو ، يتدفق من بين شفتيها سيل من الكلمات الفرنسية الغير متماسكة .

كان الايحاء خبيثا أن يشتبه رجال البوليس فى أنها هى التى سرقت مخدومتها وكان المعروف عن رجال البوليس أنهم قوم أغبياء ، شديدو الغباء ، ولكن السيد وهو فرنسى مثلها ..

قاطعها بوارو قائلا : - بل بلجيكى ..

ولكن سلستين لم تبال بهذا التصحيح واستطردت تقول أن السيد لن يسمح لرجال البوليس بأن يلقى هذا الاتهام الباطل فى حين أنهم يتركون الخادمة سيئة السمعة وشأنها ولا يستجوبونها ، وأنها لم تشعر بأى ميل نحوها اطلاقا فهى امرأة سليطة ذات شعر أحمر لها سحنة اللصوص ، وأنها غير شريفة وظلت تراقبها مراقبة دقيقة وهى تقوم باعداد الفراش وأن هؤلاء الشرطة الاغبياء لم يفكروا فى تفتيشها ، وانه

ليدهشها ألا يعثروا على العقود معها .

ومع ان هذا السيل الجارف من الكلمات الفرنسية اندفع بسرعة من بين شفتيها فان سلستين عززته بحركات متتابعة ذات معنى من يديها ، واستطاعت الخادمة أن تفهم جزءا كبيرا من أقوالها فاضطرم وجهها حنقا وقالت فى حدة :

- اذا كانت هذه المرأة الاجنبية تقول اننى أخذت العقد فهى كاذبة .. اننى لم أر هذا العقد البتة .

فصاحت الاخرى : - فتشوها وستجدون المجوهرات معها كما أقول .

وقالت الخادمة وهى تتقدم نحوها : - انت كاذبة . أنت التى سرقت العقد وتريدين أن تلقى التهمة على أنا . اننى لم أبق بالغرفة أكثر من ثلاث دقائق حين اقبلت الليدى ثم بقيت جالسة فى مكانك هذا طوال الوقت كما تفعلين دائما ، كالقطة التى تترصد الفأر .

نظر المفتش الى سلستين متسائلا وقال : - هل هذا صحيح ؟ .. ألم تغادرى هذه الغرفة ؟

فأجابت سلستين على مضض : - الواقع اننى لم أدعها بمفردها ، ولكنى مضيت الى غرفتى من خلال هذا الباب مرتين .. مرة لكى ابحث عن بكرة الخيط ، ومرة أخرى لكى أبحث عن المقص ، ولاريب انها سرقت العقد فى احدى هاتين المرتين .

فقالت الخادمة فى غضب : - ولكنك لم تغيبى أكثر من دقيقة . انك انما خرجت وعدت على الفور وأنه ليسرنى أن يفتشنى البوليس فاننى لا أخشى شيئا .

وفى هذه اللحظة سمعنا طرقة على الباب ، وذهب المفتش ففتحه ، وانبسطت اساريره عندما رأى الطارق وقال :

- آه .. يا لحسن الحظ ! .. اننى طلبت من ادارة البوليس أن ترسل الينا امرأة لكى تقوم بتفتيش هاتين الفتاتين ، وها هى ذى قد أقبلت .. هل لك أن تنتقلى الى

الغرفة المجاورة اذا تكرمت .

وتهالكت الوصيفة الفرنسية على أحد المقاعد وهى تتشنج . وردد بوارو البصر حوله وقال وهو يشير الى باب بجوار النافذة :

- الى أين يؤدى هذا الباب ؟

فقال المفتش : - أظن انه يؤدئ الى الشقة المجاورة . مهما يكن فهو موصد من هذه الناحية .

سار بوارو الى الباب المذكور وحاول أن يفتحه ، ولما لم ينفتح دفع المزلاج جانبا وحاول أن يفتحه من جديد ولكنه لم يلبث أن قال :

- انه موصد من الناحية الاخرى كذلك .. لا داعي للاهتمام به اذن .

ومضى الى النوافذ وفحصها فى دقة ، كل على حدة :

- لاشئ .. لا شئ اطلاقا .. ولا حتى شرفة خارجية .

وقال المفتش فى فروغ صبر : - وحتى اذا كانت هناك شرفة فلا أرى فيم تساعدنا ما دامت الوصيفة لم تغادر الغرفة .

فأجابه بوارو فى هدوء : - هذا صحيح .. فان الانسة تؤكد أنها لم تغادر الغرفة و ...

وقطع عليه الحديث عودة الخادمة والمفتشة . وقالت هذه الاخيرة فى ايجاز :

- لا شئ .

وهتفت الخادمة فى قوة : - طبعا . يجب أن تخجل هذه الفرنسية الوقحة من التعريض بسمعة فتاة شريفة للشك .

وقال المفتش وهو يفتح الباب : - لا تغضبى يا بنتى فلم يشك فيك أحد . يمكنك أن تباشرى عملك .

انسحبت الخادمة متذمرة وقالت وهى تشير الى سلستين : - وهذه ؟ .. الا

تفتشوها ؟

- نعم .. نعم ..

وأغلق الباب خلفها وأدار المفتاح .

أما سلستين فتبعت المفتشة بدورها الى الغرفة الصغيرة الجانبية وعادت بعد لحظات . وأسفر التفتيش عن لا شئ .

واكفهر وجه المفتش وقال : - انى آسف يا سيدتى ولكن كل الظواهر تشير اليها ، واذا لم تكن المجوهرات معها فلابد انها مخبأة فى غرفتها .

أطلقت سلستين صيحة حادة وتشبثت بذراع بوارو وانحنى هذا الاخير نحوها وهمس فى اذنها ببضع كلمات فنظرت اليه مترددة فعاد يقول :

- نعم .. نعم يابنتى .. أؤكد لك ان من الخير لك ألا تقاومى .

ثم تحول بعد ذلك الى المفتش وخاطبه قائلا : - هل تسمح أن أقوم بتجربة صغيرة يا سيدى .. أرضاء لى .

فأجابه المفتش من غير أن يرتبط بأى شئ : - هذا يتعلق بما تريد .

خاطب بوارو سلستين مرة أخرى قائلا : - قلت لنا انك خرجت من الغرفة لكى تبحثى عن بكرة الخيط فأين كانت ؟

- فوق الطاولة يا سيدى .

- والمقص ؟

- هو أيضا .

- هل استطيع أن أطلب منك اذا لم يكن فى هذا أى أزعاج لك أن تعيدى القيام بهاتين الحركتين ؟ .. تقولين انك كنت تجلسين هنا ومعك الثوب الذى تحيكينه ؟

جلست سلستين . وردا على اشارة من بوارو قامت واقفة ومضت الى الغرفة المجاورة وأخذت منها شيئا من فوق الطاولة ثم عادت .

وكان اهتمام بوارو منصبا بين حركاتها وبين ساعة ضخمة يحملها فى يده :

- مرة أخرى يا آنسة .

وبعد التجربة الثانية دون بضع كلمات فى دفتر مذكراته ثم أعاد الساعة الى جيبه وقال :

- أشكرك يا آنسة ، وأنت أيضا.يا سيدى .. انك كنت كريما .

وانحنى أمام المفتش .

وبدا كأن هذه الانحناءه المفرطة فى الأدب قد أطربت هذا الاخير ، وخرجت سلستين وهى تبكى ترافقها المفتشة والشرطى الذى يرتدى الثياب الرسمية .

وأبدى المفتش بضع كلمات يعتذر لمسز أوبالسن وأخذ يفتش الغرفة تفتيشا دقيقا ففتح الادراج والدواليب ، ورفع المراتب وتحسس الارضية ونظر مستر أوبالسن اليه متشككا وقال :

- هل تظن انك ستجدها حقا ؟

- نعم يا سيدى ، فهذا أمر يقره كل ذى عقل ، انها لم تجد متسعا من الوقت لكى تأخذها خارج الغرفة . فان السيدة اكتشفت السرقة فورا وقلبت خططها رأسا على عقب . نعم . مما لاشك فيه أن العقد موجود هنا وأن احدى الفتاتين اخفته ، ولا يحتمل أن تكون الخادمة هى التى قامت بذلك .

تدخل بوارو عندئذ فقال فى هدوء : - هذا احتمال بعيد عن الواقع .

فسأله المفتش مشدوها : - ولماذا ؟

- سأثبت لك ذلك عمليا .. أى صديقى العزيز ، اليك ساعتى .. احرص عليها فهى ميراث عائلى .. اننى قمت بتوقيت حركات الانسة فهى قد تغيبت عن الغرفة فى المرة الاولى اثنتى عشرة ثانية ، وفى المرة الثانية خمس عشرة ثانية . والان ، راقب حركاتى جيدا . ستتكرم السيدة بأن تعطينى مفتاح صندوق المجوهرات . شكرا لك ..

على صديقى هاستنجز الان أن يعطى الاشارة .. هيا.

وأعطيته الاشارة وأنا أقول بدورى : - هيا .

وبسرعة مذهلة لا تصدق فتح بوارو الدرج مسرعا وأخرج منه الصندوق ودس المفتاح فى القفل ورفع غطاءه وانتقى قطعة من المجوهرات ثم أغلق الصندوق وأدار المفتاح وأعاده الى الدرج . كانت حركاته سريعة كالبرق . وقال يسألنى وهو يلهث .

- حسنا يا صديقى .

- ست وأربعون .

دار بوارو ببصره فيما بيننا وقال : - أرأيتم ؟ .. لم يكن هناك متسع من الوقت أمام الخادمة لاخراج العقد من الصندوق وان تخبئه فوق ذلك .

وقال المفتش فى ارتياح : - هذا يثبت جرم الوصيفة ، ومضى الى الغرفة المجاورة وهى غرفة الوصيفة . وقطب بوارو حاجبيه واستغرق فى التفكير . وألقى على مستر أوبالسن سؤالا مفاجئا فقال :

- هل هذا العقد مؤمن عليه ؟

بدا أوبالسن مشدوها ازاء هذا السؤال وأجاب مترددا :

- نعم .. الواقع انه كذلك .

وقالت مسز أوبالسن وهى تنتحب : - ولكن ما فائدة التأمين ؟ .. أننى أريد العقد .. أنه فريد فى نوعه ..لا يمكن لاى مبلغ من المال أن يعوضه .

فقال بوارو فى رقة :- اننى اقدر شعورك يا سيدتى .. اننى أقدر شعورك جيدا .. ان العاطفة هى كل شئ عند المرأة ، أليس كذلك ؟ ولكن الامر ليس كذلك بالنسبة للسيد فانه سيجد فى التأمين عزاء ولو خفيفا .

وقال مستر أوبالسن فى صوت غير أكيد : - طبعا .. طبعا .. ولكن ..

وقاطعته صيحة أطلقها المفتش مزهوا منتصرا ، ودخل وهو يهز شيئا بين أصابعه ،

ووثبت مسز أوبالسن واقفة وقد تغيرت أساريرها وهى تصيح قائلة :

- اوه .. عقدى .

وأخذته بيديها الاثنتين وضمته الى صدرها . وأحطناها جميعا ، وقال أوبالسن :

- أين وجدته ؟

- فى فراش الوصيفة ، بين ياياّت المرتبة المعدينة . لا ريب انها سرقته وخبأته هناك قبل أن تصل الخادمة .

وقال بوارو وفى رقة : - هل تسمحين يا سيدتى ؟

وأخذ منها العقد وفحصه فى دقة ثم رده اليها وهو ينحنى . وقال المفتش :

- أظن يا سيدى أنه لا مناص من أن تعهدى به الينا ريثما نستكمل التحقيق . سنحتاج اليه لالقاء تهمة السرقة . ولكننا سنرده اليك بأسرع ما يمكن .

اكفهر وجه أوبالسن وقال :- هل لابد من ذلك حقا ؟

- أخشى ذلك يا سيدى .. انه اجراء ضرورى .

فصاحت زوجته : - اوه .. دعه يأخذه يا ابد . سأشعر بأننى أكثر أمانا اذا أخذه . لن أستطيع أن أغمض جفنا خوفا من أن يحاول شخص آخر سرقته .. يا لهذه الفتاة التعيسة ! .. ما كنت لاظن انها تقدم على مثل هذا العمل .

- اوه .. كفاك انفعالا يا عزيزتى .

وأحسست بضغط رقيق على ذراعى ، وقال بوارو :

- هلا انصرفنا يا صديقى ؟ .. أعتقد أنهم ليسوا بحاجة الى خدماتنا بعد .

وفى الطرقة الخارجية بدأ عليه التردد ولم يلبث أن اثار دهشتى بقوله :

- أريد أن أرى الشقة المجاورة .

ولم يكن الباب مغلقا فدخلنا الى غرفة كبيرة شاغرة تضم فراشين ، تغطى الأرض والاثاث طبقة سميكة من الغبار . وكشر صديقى الرقيق تكشيرة ذات معنى وهو يمر

باصبعه حول علامة مستطيلة فوق مائدة بجوار النافذة . وقال فى حدة :

– ما أشد أهمال الخدم فى أيامنا هذه !

وأطل من النافذة فى تفكير وبدا كأنه استغرق فى تأمل شديد ، وسألته فى فروغ صبر :

– حسنا .. لماذا أتينا هنا ؟

فأجفل وقال : – أرجو المعذرة يا صديقى .. أردت أن أرى اذا كان الباب موصدا حقا من هذه الناحية ايضا .

فقلت وأنا أنظر الى الباب الذى يفصل بين هذه الغرفة والغرفة التى غادرناها منذ لحظات .

حسنا ، نعم ، انه موصد .

هز بوارو رأسه وبدا كأنه استغرق فى التفكير مرة أخرى فسألته قائلا :

– مهما يكن من أمر فما أهمية هذا ؟ .. ان القضية انتهت . كنت اود أن يخدمك الحظ لكى تظهر مواهبك ولكنها قضية عادية بسيطة لا يمكن حتى لاغبى الاغبياء إلا أن يحل طلاسمها .

هز بوارو رأسه وقال : – ان القضية لم تنته بعد يا صديقى ، ولن تنتهى الا بعد أن نهتدى الى الذى سرق العقد .

– ولكن الوصيفة هى التى سرقته .

– لماذا تقول هذا القول ؟

فتمتمت : – لماذا ؟ .. لان البوليس عثر عليه تحت مرتبة فراشها .

فقال بوارو فى فروغ صبر : – تا .. تا .. تا أنهم لم يعثروا على العقد ..

– ماذا ؟

– ان الذى عثروا عليه تقليد متقن له .

نظرت اليه وأنا أكاد لا أتنفس . وابتسم بوارو فى برود وقال : - من الواضح أن المفتش الطيب لا يعرف شيئا عن المجوهرات .. لن تلبث ان تقع فضيحة كبيرة .

فصحت وأنا أشده من يده : - تعال .

- الى أين ؟

- يجب ان نخطر آل أوبالسن على الفور .

- ليس هذا رأيى .

- ولكن هذه السيدة المسكينة ؟

- حسنا .. ان هذه السيدة المسكينة كما تدعوها . ستقضى ليلة أجمل وهى تعتقد أن المجوهرات فى أمان .

- ولكن فى مقدور اللص أن يهرب بها ..

- انك تتكلم من غير تفكير كعادتك دائما يا صديقى . من أين لك أن تعلم أن العقد الذى وضعته مسز أوبالسن فى الصندوق الليلة الماضية بكل هذا الحرص ليس العقد المزيف ، وان السرقة الحقيقية قد حدثت قبل ذلك .

فقلت فى شئ من الحيرة : - أوه !

وقال بوارو مسرورا : - تماما .. سنبدأ الان من جديد .

وتقدمنى خارج الغرفة ووقف دقيقة يفكر ثم سار الى آخر الغرفة وتوقف أخيرا أمام الغرفة الصغيرة التى يجتمع فيها الخدم . وكانت خادمتنا واقفة وسط جمع من الخدم تقص عليهم ما وقع لها . وتوقفت فى منتصف جملة وأنحنى بوارو فى أدبه المعهود وقال :

- التمس المعذرة لازعاجى لكم ، ولكنى أكون ممتنا لك اذا فتحت لى باب غرفة مستر أوبالسن .

نهضت الفتاة عن طيب خاطر ورافقناها عبر الممر من جديد . وكانت غرفة مستر

أوبالسن تقع فى الجانب الاخر أمام غرفة زوجته . وفتحت الخادمة لنا الباب بالمفتاح الذى معها . واذ همت بالانصراف احتجزها بوارو قائلا :

– لحظة من فضلك .. ألم ترى بين متاع مستر أوبالسن بطاقة كهذه ؟

وأخرج من جيبه بطاقة بيضاء مصقولة غريبة الشكل لا تحمل أى كتابة فأخذتها الخادمة وفحصتها فى عناية ثم قالت :

– كلا يا سيدى . لا أظن اننى رأيت بطاقة كهذه . ولكن قد يستطيع الخادم أن يخبرك فهو الذى يهتم بغرف الرجال .

– آه .. شكرا لك .

استعاد بوارو البطاقة وانصرفت الفتاة .. وبدأ التفكير لحظة على بوارو ثم هز رأسه فى حركة خفيفة وقال :

– أرجوك أن تدق الجرس يا هاستنجز .. ثلاث مرات لاجل الخادم .

أطعته والفضول يستبد بى . وفى أثناء ذلك أفرغ بوارو سلة المهملات على الارضية وأخذ يفتش فيها . وما هى الا لحظات حتى أقبل الخادم ، والقى بوارو عليه نفس السؤال الذى القاه على الخادمة وناوله البطاقة ليفحصها . ولكن الرد لم يتغير فقد ذكر الخادم أنه لم ير بطاقة من هذا النوع بين متاع مستر أوبالسن . واذ شكره بوارو انسحب فى اسف وهو يلقى نظرة أخيرة كلها فضول على السلة والاوراق المبعثرة

وكان لابد له ان يسمع الملاحظة التى أبداها بوارو مفكرا وهو يعيد الاوراق الممزقة الى السلة .

– وكان مؤمنا على العقد بمبلغ كبير .

فصحت : بوارو .. اننى فهمت .

ولكن بوارو قاطعنى بقول فى حدة : – أنت لا تفهم شيئا على الاطلاق كعادتك يا صديقى .. وهذا أمر عجيب .. لنعد الآن الى غرفتنا .

وعدنا فى صمت واذ ضمتنا الغرفة أخذ بوارو يستبدل ثيابه مما أثار دهشتى وقال أخيرا .

- اننى ذاهب الى لندن الليلة .. لامر ضرورى .

- ماذا ؟

- تماما .. العمل الحقيقى الذى يدل على ذكاء هرقل بوارو قد انتهى .. وأنا الان ذاهب للبحث عن البرهان وسأجده . فمن المحال ان يخدع أحدهم هرقل بوارو .

فقلت وقد أخذنى الاشمئزاز لغروره : - سوف تخفق اخفاقا فاضحا ذات يوم .

- دع عنك هذا الحنق يا صديقى فاننى اعتمد عليك لتؤدى لى خدمة .. بدافع صداقتنا .

وأسرعت أقول وقد أخجلنى تصرفى : - بالطبع .. ما هى ؟

- كم الجاكتة التى خلعتها الان .. هل لك أن تنفضه ؟ .. هل ترى المسحوق الابيض الذى تعلق به .. انه بودرة .. لعلك لاحظت اننى مررت باصبعى حول درج مائدة الزينة ؟

- كلا لم الحظ ذلك .

- كان يجب ان تلاحظ حركاتى يا صديقى . وهكذا علقت البودرة باصبعى وقد استولى على الانفعال بعض الشئ فمسحت أصبعى فى كمى .. وهذا اهمال يرثى له .. اهمال ليس من عادتى .

فسألته غير مكترث بعاداته : - ولكن ما شأن هذه البودرة ؟

أجابنى بوارو وهو يغمز بعينه : - انها ليست سما مما كان يستخدمه آل بورجيا .. اننى أرى خيالك يصور لك أشياء كثيرة .. ولهذا أسارع فأقول لك انها بودرة تلك .

- بودرة تلك ؟

- نعم . ولجارو الموبيليا يستخدمونها عادة لكيلا يصدر من الادراج أى صوت

عند فتحها .

ظننتك ستقول لى شيئا مثيرا .

لم أملك الا أن أضحك وأقول : - يالك من مهذار ..

- الى الملتقى يا صديقى .. اننى ذاهب .

وانصفق الباب خلفه . وأخذت الجاكتة وبسطت يدى لامسك بالفرشاة وقد ارتسمت على وجهى ابتسامة فيها ود وسخرية .

***

لم أسمع عن بوارو فى اليوم وخرجت أتمشى ، والتقيت ببعض الاصدقاء القدامى وتناولت الغداء معهم . وقمنا بنزهة فى السيارة بعد الظهر ، وأصيبت السيارة بعطب ولم استطع العودة الى فندق متروبوليتان الا بعد الثامنة .

وكان بوارو أول شخص تقع عيناى عليه ، وبدا أصغر مما هو عادة بين مستر، أوبالسن وزوجته اللذين كانا يطفحان بشرا وسرورا .

وصاح بوارو وهو يسرع للقائى : صديقى هاستنجز ! .. بالحضن . يا صديقى ! .. لقد تم كل شئ على ما يرام .

بدأت أقول : - هل تعنى ؟ ..

وقالت مسز أوبالسن ووجهها يتألق بالابتسام : - كان ذلك رائعا .. ألم أقل لك يا ايد .. انه اذا لم يستطع ان يستعيد عقدى فلن يستطيع غيره ذلك .

- هو ذلك يا صديقتى .. هو ذلك .. انك كنت على حق ..

نظرت الى بوارو فى رجاء وتوسل فقال : - ان صديقى هاستنجز على أحر من الجمر .. اجلس يا صديقى .. سأروى لك تفاصيل القصة التى انتهت على أحسن ما يكون .

- انتهت ؟

- نعم . وقد تم القبض عليهما .

- على من ؟

- الخادمة والخادم طبعا . ألم تشك فى أمرهما حتى بعد حديثى لك عن بودرة التلك ؟

- ولكنك قلت ان لمجارى الموبيليا هم الذين يستخدمونها .

- طبعا ، فهم يعالجون بها الادراج لكيلا يصدر منها اى صرير عند فتحها أو قفلها .. وقد أراد بعضهم ان يفتح هذا الدرج من غير أن يفطن إليه أحد فمن يمكن ان يكون غير الخادمة طبعا .. كانت الخطة بارعة بحيث لم تخطر على بال أحد على الفور، ولا حتى على بال بوارو .. واليك ما حدث . انتظر الخادم فى الغرفة المجاورة . وغادرت الوصيفة الفرنسية الغرفة وبأسرع من البرق تفتح الخادمة الدرج وتأخذ صندوق المجوهرات وترفع مزلاج الباب وتعطى الصندوق للخادم . ويفتحه هذا الاخير فى أتم هدوء بمفتاح طبق الاصل كان قد حصل عليه قبل ذلك ويأخذ العقد ثم ينتظر حتى المرة الثانية . وتغادر سلستين الغرفة مرة أخرى وبسرعة خاطفة يمر الصندوق بين الغرفتين وتعيده الخادمة الى الدرج .

وتأتى السيدة وتكتشف السرقة ، وتطلب الخادمة من البوليس ان يقوم بتفتيشها وهى فى أشد حالات السخط والغضب ، ولا تلبث أن تغادر الغرفة وهى بريئة الساحة بعد أن خبأت العقد المزيف فى فراش الوصيفة وهى ضربة معلم كما ترى .

- ولكن لماذا ذهبت الى لندن ؟

- هل تذكر البطاقة ؟

- طبعا فقد أثارت حيرتى وما زالت تثيرها ظننت .. وترددت وأنا أنظر الى مستر أوبالسن ولكن بوارو ضحك من سويداء قلبه وقال :

- كانت خدعة .. فخا نصبته للخادم والخادمة . وكانت البطاقة معدة بصورة خاصة لطبع البصمات عليها . وقد ذهبت بها رأسا الى سكوتلانديارد وقابلت صديقنا الحميم المفتش جاب . وعرضت عليه الحقائق وكما ظننت كانت البصمات لاثنين من كبار لصوص المجوهرات يبحث البوليس عنهما منذ وقت طويل . وأقبل جاب معى وألقى القبض على اللصين . وعثرنا على العقد مع الخادم . انهما ذكيان بارعان ولكن النظام أعوزهما وكان سببا فى ضياعهما ، ولعلك تذكر يا عزيزى هاستنجز اننى قلت لك اكثر من ست وثلاثين مرة على الاقل أن النظام ..

فقاطعته قائلا : - تريد أن تقول اكثر من ست وثلاثين الف مرة .. ولكن كيف تسبب النظام فى ضياعهما ؟

- انهما اتبعا خطة بارعة يا صديقى فقد التحقا بالعمل فى الفندق سويا ولكنهما لم يقوما بعملهما كما يجب ، فقد تركا الغرفة الشاغرة على حالها ولم يقوما بتنظيفها وظل الغبار عالقا بها ، ولهذا السبب حين وضع الخادم الصندوق فوق المائدة الصغيرة بجوار الباب الفاصل بين الشقتين ترك فوقها علامة مستطيلة .

- فصحت اننى اذكر ذلك .

- كنت مترددا قبل ان أراها ولكنى تأكدت بعد ذلك .

وساد الصمت لحظة ولم تلبث مسز أوبالسن ان قالت كالكورس :

- وقد استعدت عقدى .

قلت : - حسنا . أظن ان الاوفق ان اذهب لتناول العشاء .

ورافقنى بوارو وقلت ونحن نسير معا .

- لاريب انك اكتسبت مجدا كبيرا ؟

فاجابتنى فى هدوء : - أبدا .. ان المجد سيكون من نصيب المفتش جاب ورجل البوليس المحلى . أما أنا (وتحسس جيبه) . فمعى شيك من مستر أوبالسن بمبلغ

محترم .. اننا لم نستمتع بعطلة نهاية الاسبوع هذه فما رأيك فى أن نعود فى الاسبوع المقبل ، على نفقتى أنا هذه المرة .

* * *

الفصل الثامن

اختطاف رئيس الوزراء

اليوم وقد أصبحت الحرب ومسبباتها أثرا من أثار الماضى فانى أعتقد أننى أستطيع ، دون أى ضرر ، أن أكشف للعالم أجمع الدور الذى لعبه صديقى هرقل بوارو أبان الازمة الدولية ، وقد أحيط هذا الدور بالكتمان التام ، ولم تسمع الصحف بحرف واحد منه . ولكن ، الان ولم يعد هناك ما يبرر مثل هذا الكتمان فانى أعتقد أن من أبسط قواعد العدل أن تعلم انجلترا بما تدين به لصديقى القصير الغريب الاطوار الذى عرف بمقدرته الكبيرة أن يتجنب وقوع كارثة كانت مؤكدة .

ذات مساء ، بعد أن فرغنا من تناول العشاء ، ولن أحدد اليوم بالتدقيق ، ويكفى أن أقول أن ذلك كان فى الوقت الذى راح فيه أعداء بريطانيا ينادون باجراء المفاوضات لاجراء السلم ، كنت أجلس مع صديقى فى غرفته . وكنت قد أعفيت من الخدمة وألحقت بوظيفة كتابية فى ادارة التطوع واعتدت أن أذهب الى بوارو كل ليلة بعد العشاء ، فأتحدث معه عن القضايا الهامة التى قد يكون مضطلعا بها .

وكنت أريد أن أتحدث معه فى أنباء اليوم المثيرة ، وكانت أنباء مثيرة حقا ، فقد وقع اعتداء على حياة مستر ماك آدم ، رئيس الوزراء وجاء البيان الذى نشرته الجرائد مقتضبا ، خضع للرقابة وروعى فيه عدم اثارة القلق والفزع بين الجمهور ، ولم تقدم أية تفصيلات فيما عدا أن رئيس الوزراء نجا من الموت بأعجوبة وأن الرصاصة التى أطلقت عليه أصابته بخدش بسيط فى خده . وكان من رأيى أن البوليس الانجليزى قد أظهر

اهمالا شديدا حتى يقع مثل هذا الاعتداء المشين ... ماك المكافح المناضل كما يدعوه حزبه والذى حارب بكل شجاعة دعاة السلامية التى تفشت فى البلاد بهذه الصورة العجيبة .

كان دافيد ماك آدم أكثر من رئيس للوزراء .. كان هو انجلترا نفسها ، واختفاؤه من منطقة النفوذ والسلطة كان بمثابة ضربة قاصمة لانجلترا .

كان بوارو منهمكا فى ذلك الوقت فى تنظيف بذلة داكنة بواسطة قطعة من الاسفنج، ولم أعرف أبدا رجلا شديد العناية بمظهره مثل هرقل بوارو ، كانت النظافة والاناقة شغله الشاغل ، وكانت رائحة البنزين تملأ الغرفة بحيث تعذر عليه أن يمنحنى كل اهتمامه . وقال :

- بعد دقيقة واحدة أكرس نفسى لك يا صديقى المسكين فأننى أوشكت أن أفرغ .. ان منظر هذه البقعة من الدهن ليس جميلا .. واننى أعمل على ازالتها .

ولوح بقطعة الاسفنج فى يده .

ابتسمت وأشعلت سيجارة أخرى . وقلت بعد لحظات :

- هل هناك شئ يثير الاهتمام ؟

- اننى أساعد سيدة .. كيف أقول ؟ .. امرأة شغالة لكى أعثر لها على زوجها الهارب . وهى قضية عسيرة تتطلب لباقة خاصة فانه يخامرنى الشك فى أن الزوج لن يسره أن نعثر عليه .. ماذا تريد ؟ .. اذا شئت رأيى فاننى أتعاطف معه ، وقد كان من الذكاء والحصافة اذ هرب منها .

ضحكت فى حين استطرد هو يقول :

- أخيرا .. ها قد أزيلت بقعة الدهن .. اننى الان رهن تصرفك .

- كنت أريد أن أعرف رأيك فى محاولة الاعتداء على حياة ماك آدم .

فأسرع بوارو يرد :

- انه عمل صبيانى لا يمكن أن ننظر اليه نظرة جدية .. ان اطلاق النار من بندقية لا يمكن أن يصيب الهدف أبدا .. هذه طريقة من طرق الماضى .

- ولكنها أوشكت أن تفلح هذه المرة .

هز بوارو رأسه فى فروغ صبر . وهم بأن يرد حين أطلت صاحبة البيت برأسها من الباب وقالت ان بالدور الارضى سيدين أقبلا لزيارة مسيو بوارو وأردفت تقول :

- انهما لا يريدان الادلاء باسميهما يا سيدى ويقولان أن الامر عاجل .

فقال بوارو وهو يطوى بنطلونه فى عناية :

- دعيهما يصعدا . وبعد دقائق أدخلت صاحبة البيت الرجلين . ووثب قلبى بين ضلوعى حين عرفت أول من دخل منهما ، فلم يكن غير اللورد استير ، زعيم مجلس العموم ، أما زميله فقد كان مستر برنارد دودج ، عضو مجلس العموم . وكنت أعرف أن هذا الآخر صديق حميم لرئيس الوزراء .

قال لورد استير متسائلا :

- مسيو بوارو ؟

انحنى صديقى . ونظر الرجل الكبير اليه مترددا وقال :

- اننى جئتك فى مسألة خاصة .

فقال صديقى وهو يشير الى بأن أبقى .

- يمكنك أن تتحدث أمام الكابتن هاستنجز .. انه لا يتمتع بأية موهبة ولكنى أستطيع أن أضمن لك كتمانه ومحافظته على السر .

ولكن اللورد استير ظل على تردده . واذ رأى مستر دودج ذلك أسرع يقول :

- أوه .. تكلم يا صديقى ولا تدعنا نلف حول الموضوع ، فبقدر ما أعلم ستعرف انجلترا القصة كلها إن عاجلا وإن آجلا .. ان الوقت ثمين .

وقال بوارو بلهجة مهذبة :

- أرجو أن تتفضلا بالجلوس .. هلا أخذت هذا المقعد يا سيدى اللورد ؟

أجفل اللورد اجفالة قصيرة وقال :

- هل تعرفنى ؟

ابتسم بوارو وأجاب :

- طبعا .. كيف لا أعرفك وأنا أقرأ الجرائد وأرى الصور ؟

- مسيو بوارو .. اننى جئت أستشيرك فى مسألة على جانب كبير من الاهمية ويجب أن أطالبك بالكتمان التام .

فقال صديقى فى لهجة طنانة :

- لك وعد هرقل بوارو ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا .

- اننى جئتك بخصوص رئيس الوزراء .. اننا فى قلق شديد .

وقال مستر دودج :

- بل اننا فى ورطة .

فقلت أسأله :

- هل الجرح خطير ؟

- أى جرح ؟

- جرح الرصاصة .

فصاح مستر دودج فى أزدراء :

- أوه .. لقد أصبح هذا الجرح فى الماضى .

واستطرد اللورد استير :

- لقد انتهت هذه المسألة وأصبحت طى الماضى كما يقول زميلى . ومن حسن الحظ أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ..وددت لو أن أقول نفس الشئ عن المحاولة الثانية .

- هل وقعت محاولة ثانية اذن ؟

– نعم . وان لم تكن من نفس النوع .. ان رئيس الوزراء اختفى يا مسيو بوارو .

– ماذا ؟

– انه اختطف .

فصحت مشدوها :

– هذا محال .

ألقى بوارو الى نظرة صاعقة عرفت منها أنه يطالبنى بالتزام الصمت . واستطرد اللورد يقول :

– على الرغم من استحالة هذا الامر فانه قد وقع حقا .

نظر بوارو الى مستر دودج وقال :

– انك قلت الان ان الوقت ثمين فماذا كنت تعنى بذلك ؟ تبادل الرجلان النظر ثم قال اللورد استير :

– هل سمعت عن مؤتمر الحلفاء يا مستر بوارو ؟

أومأ صديقى بالايجاب ، واستطرد اللورد :

– لاسباب واضحة لم تنشر أية تفاصيل عن مكان هذا المؤتمر أو عن موعده . وعلى الرغم من أن الصحف لم تشر الى ذلك فان موعد اجتماع المؤتمر معروف فى الدوائر السياسية .. ان هذا المؤتمر سيجتمع غدا .. مساء الخميس فى فرسايل ، ولعلك تدرك خطورة الموقف . ولا أخفى عليك أن حضور رئيس الوزراء لهذا المؤتمر أمر حيوى فان الدعاية السلامية التى انتشرت فى الاوساط التى يهمها الامر قد نشطت فى هذه الايام الاخيرة . والرأى العام يعرف أن المحور الذى يدور عليه المؤتمر هو شخصية رئيس الوزراء الجبارة ، ويمكن أن يكون لغيابه عن هذا المؤتمر نتائج خطيرة . ولعل السلام المبتسر يتسبب فى كارثة . ولا يوجد لدينا من يستطيع أن يحل محله فهو وحده الذى فى استطاعته أن يمثل الجلترا .

ارتسمت امارات الجد والخطورة على ملامح بوارو وقال :

- اذن فأنت تعتقد أن اختطاف رئيس الوزراء ما هو الا مؤامرة مباشرة لمنعه من حضور المؤتمر ؟

- وفى أى ساعة يجتمع المؤتمر ؟

- فى الساعة التاسعة من مساء غد .

أخرج بوارو ساعة ضخمة من جيبه وقال :

- انها التاسعة الا الربع الان .

قال مستر دودج فى تفكير :

- أربع وعشرون ساعة .

فقال بوارو مصححا :

- وربع ساعة . لا تنس الربع يا سيدى .. فقد يكون له أكبر الفائدة . الى بالتفاصيل الان . هل وقع الاختطاف فى انجلترا أم فى فرنسا ؟

- بل فى فرنسا . ذهب مستر ماك آدم الى فرنسا هذا الصباح ، وكان المفروض أن يقضى الليلة فى ضيافة القائد العام وأن يستأنف رحلته الى باريس غدا وقد عبر المانش فى بارجة حربية . وكانت تنتظره فى بولونى عربة عسكرية وبها أحد ضباط القوات المسلحة .

- حسنا ؟

- انطلقت العربة من بولونى ولكنها لم تصل الى وجهتها أبدا .

- وكيف هذا ؟

- كانت عربة زائفة يا مسيو بوارو . أما العربة الحقيقية فقد عثروا عليها فى طريق جانبى ووجدوا السائق والضابط مشدودى الوثاق مكممى الفم .

- والعربة الزائفة ؟

- لم يعثروا عليها بعد .

أتى بوارو باشارة تدل على فروغ صبره وقال :

- هذا أمر لا يقبله العقل .. لابد من العثور عليها ان آجلا وان عاجلا .

- كان هذا اعتقادنا ، وبدا لنا أنه ما علينا الا أن نبحث عنها فان هذه الناحية من فرنسا تقع تحت الحكم العسكرى وقد حسبنا أن البوليس الفرنسى سيهتدى الى العربة فى وقت قصير . ورجال البوليس الفرنسى كذلك رجال اسكوتلانديارد على أعصابهم . انه أمر لا يصدق .. ولكنهم لم يعثروا على أى شئ حتى الان .

وفى هذه اللحظة طرق أحدهم الباب ، ودخل ضابط صغير ومعه مظروف مختوم ناوله للورد استير قائلا :

- جاء هذا المظروف من فرنسا الان يا سيدى ، وقد أتيت به على الفور طبقا لتعليماتكم .

فض الوزير المظروف فى لهفة شديدة ولم يلبث أن ندت عن صدره صيحة . أما الضابط فكان قد انصرف . وقال اللورد استير .

- ها قد وصلت الانباء أخيرا .. لقد فكوا رموز هذه البرقية قبل أن يرسلوها الى وقد عثروا على العربة الثانية وعثروا فيها على السكرتير دانيلز مكمما وموثق اليدين وفاقد الرشد من تأثير مخدر . وكان ذلك فى مزرعة مهجورة بالقرب من قرية س . والسكرتير الا يذكر أى شئ فيما عدا أنه أحس بشئ يوضع على فمه وأنفه من الخلف وأنه حاول أن يتخلص . والبوليس مقتنع بصحة أقواله .

- ألم يعثروا على شئ آخر ؟

- كلا .

- ألم يعثروا على جثة رئيس الوزراء ؟ .. هناك أمل اذن . . ولكن هذا أمر غريب لماذا يهتمون الان بالحفاظ على حياته وهم قد حاولوا الاعتداء عليه صباح اليوم

باطلاق النار عليه .

هز دودج رأسه وقال :

- الشئ المؤكد أنهم يحاولون منعه من حضور المؤتمر بأى ثمن .

- سوف نبذل كل ما فى طاقة البشر من جهد لكى يحضر ذلك المؤتمر وأرجو الله ألا يكون السيف قد سبق العذل .. والان ، اذكر لى كل شئ من البداية .. يجب أن أعرف الظروف التى أحاطت بمحاولة الاعتداء عليه .

- فى الليلة الماضية ذهب رئيس الوزراء ويرفقته أحد سكرتيريه وهو الكابتن دانيلز ..

- أهو نفس السكرتير الذى رافقه الى فرنسا ؟

- نعم . ذهب بالسيارة كما قلت ويرفقته الكابتن دانيلز الى وندسور حيث كان ينبغى أن يحضر اجتماعا وفى وقت مبكر من هذا الصباح عاد الى المدينة . وقد وقعت المحاولة فى طريق عودته .

- لحظة واحدة من فضلك .. من هو هذا الكابتن دانيلز ؟ .. هل لديك الملف الخاص به ؟

ابتسم اللورد استير وقال :

- ظننت أنك قد تلقى على هذا السؤال . اننا لا نعرف الكثير عنه . فهو ليس من عائلة معروفة ، وقد خدم فى الجيش الانجليزى . وهو كسكرتير قدير جدا ويجيد التكلم بعدة لغات بطلاقة تامة ، وأعتقد أنه يتحدث سبع لغات ، وهذا هو بالذات سبب اختيار رئيس الوزراء له لكى يرافقه الى فرنسا .

- أليس له أهل فى انجلترا ؟

- له عمتان . مس ايفرارد وهى تقيم فى هامبستيد ، ومس دانيلز وهى تقيم فى اسكوت ..

- اسكوت ؟ .. هى على مقربة من وندسور ، أليس كذلك ؟

- لم تفتنا هذه النقطة ولكنها لم تؤد بنا الى أى شئ .

- هل تعتبر الكابتن دانيلز فوق الشبهات اذن .

- كلا يا مسيو بوارو .. اننى اتردد كثيرا فى أيامنا هذه قبل أن أقول عن أى شخص أنه فوق الشبهات .

- حسنا جدا .. ولكنى اعتقد يا سيدى اللورد أن رئيس الوزراء كان يجب أن يكون تحت حراسة مشددة من البوليس وان هذه الحراسة كان يجب أن تجعل الاعتداء عليه أمرا مستحيل الوقوع .

أحني اللورد استير رأسه وقال :

- هذا صحيح . والحق أن سيارة رئيس الوزراء كانت تتبعها سيارة أخرى يستقلها بعض رجال البوليس من المدنيين . ولم يكن مستر ماك آدم يعرف عنهم شيئا فهو رجل لا يهاب شيئا ، ولو أنه عرف انه يخضع لحراسة مشددة لامر باستبعادها فورا دون أن يستمع الى كلمة ما ولكن رجال البوليس يقومون باجراءاتهم من غير اثارة أي شك طبعا ، والواقع أن سيارة رئيس الوزراء يسوقها رجل من رجال البوليس يدعى مستر أومورفى .

- مستر أومورفى ؟ .. هذا اسم ايرلندى ، أليس كذلك ؟

- نعم . انه ايرلندى .

- من أى ناحية من ايرلندا .

- اعتقد انه من اقليم كونتي كلير .

- آه .. استمر .

- انتقل رئيس الوزراء الى لندن فى عربة مقفولة . وكان هو والكابتن دانيلز يجلسان بالداخل ، وكانت السيارة الثانية تتبعها كالعادة ، ولكن لسوء الحظ ،

ولسبب غير معروف انحرفت عربة رئيس الوزراء عن الطريق العام ..

فقاطعه بوارو قائلا :

- هل كان ذلك فى طريق جانبى ؟

- نعم . ولكن كيف عرفت ذلك ؟

- أوه .. هذا أمر واضح .. تكلم .

واستطرد اللورد استير :

- ولسبب ما لا ندريه تركت العربة الاولى الطريق الرئيسى . أما العربة الاخرى فقد استمرت فى طريقها غير مدركة ما حدث . وبعد مسافة قصيرة ، وفى الطريق المنعزل تقريبا والذى اتخذته عربة رئيس الوزراء اعترضت هذه الاخيرة عصابة من الرجال المقنعين ، ولم يجد السائق ..

وتمتم بوارو فى تفكير :

- هذا الباسل أومورفى ! ..

- ولم يجد السائق بدا من أن يضغط على الفرامل وقد أخذ على غرة . وأطل رئيس الوزراء برأسه من باب السيارة ، وما كاد يفعل حتى انطلقت رصاصة وتلتها أخرى . وأصابته الرصاصة الاولى بخدش بسيط فى خده . أما الثانية فقد طاشت لحسن الحظ . واذ رأى السائق الخطر الذى يحوم بهم اندفع بالسيارة الى الامام مجبرا الرجال على التفرق .

فصحت وأنا ارتجف :

- انه افلت بجلده .

- ورفض مستر ماك آدم أن يثير أى ضجة بسبب الجرح الذى أصابه قائلا انه لا يعدو أن يكون أكثر من خدش ، وتوقف فى أقرب مستشفى ريفى حيث اعتنوا بالجرح وضمدوه من غير أن يكشف عن شخصيته بالطبع . ثم استأنف طريقه المرسوم ومضى

رأسا الى محطة تشارنج كروس حيث كان ينتظره قطار خاص لينطلق به الى دوفر . وبعد تقرير موجز بما حدث ، وهو تقرير قدمه الكابتن دانيلز بنفسه لرجال البوليس الذين تملكهم القلق سافر الى فرنسا رأسا . وقد استقل بارجة من دوفر لكى تنقله الى هناك ، وكانت العربة الزائفة تنتظره فى بولونى كما تعرف وعليها العلم الانجليزى ، لا يفرقها عن العربة الحقيقية أى شئ .

– أهذا كل ما تستطيع أن تذكره لى ؟

– نعم .

– أليست هناك أية تفاصيل أخرى لم تذكرها يا سيدى اللورد ؟

– حسنا . هناك شئ غريب حقا .

– وما هو ؟

– ان عربة رئيس الوزراء لم تعد بعد أن غادرها رئيس الوزراء فى تشارنج كروس فقد كان رجال البوليس يتلهفون للعثور على أومورفى لاستجوابه وراحوا يبحثون عنها على الفور ، وقد عثروا على العربة واقفة بجوار مطعم صغير فى حى السوهو معروف بأنه ملتقى العملاء الالمان .

– والسائق .

– لم يعثروا له على أثر ، فقد اختفى هو الاخر .

قال بوارو فى تفكير :

– هكذا .. اختفاءان .. رئيس الوزراء فى فرنسا وأومورفى فى لندن .

ونظر الى اللورد ايستر فى حدة ، ولكن هذا الاخير أتى بحركة تدل على اليأس وقال :

– لا أستطيع أن أقول لك انه لو حاول أحد أن يقول لى أمس أن أومورفى رجل خائن لضحكت فى وجهه استنكارا ..

- واليوم ؟

- لا أدرى حقا ماذا أظن اليوم .

هز بوارو رأسه فى شئ من الخطورة ، ونظر الى ساعته الضخمة مرة أخرى ثم قال :

- هل أفهم اننى مفوض تفويضاً مطلقا وان لى سلطة تامة فى كل ما أفعل . أعنى هل لى أن أفعل ما اشاء وأن اتصرف كما أشاء ؟

- هو ذلك هناك قطار خاص منطلق الى دوفر بعد ساعة ، وفيه بعض رجال آخرين من سكوتلاتديارد . وسيرافقك ضابط حربى ومفتش من سكوتلانديارد .. سيكونون كلهم رهن أشارة منك ، فهل يرضيك هذا ؟

- تماما .. سؤال آخر قبل أن تنصرف يا سيدي .. ما الذى حملكما على المجئ الى أنا بالذات .. اننى غير معروف ونكرة فى هذه المدينة الكبيرة .

- أتينا اليك بناء على توصية خاصة من شخصية كبيرة من مواطنيك .

- كيف هذا ؟ .. هل تعنى صديقى المحافظ ؟ .. هز لورد استير رأسه وأجاب :

- بل أعنى شخصية أكبر وارفع منه شأنا .. أعنى رجلا كانت كلمته بمثابة القانون فى بلجيكا .. سوف يعود الى مكانه قريبا .. وقد اقسمت انجلترا على ذلك .

ارتفعت يد بوارو الى جبينه على الفور وقال :

- امين .. هذا يدل على أن صاحب الجلالة لا ينسانى . سيدى .. انا ، هرقل بوارو، سأبذل قصارى جهدى فى سبيل خدمتكم .. واطلب من الله أن لا يكون السيف قد سبق العذل . ولكن كل هذا غامض .. شديد الغموض . ولا استطيع ان اتبين فيه أى شئ .

قلت فى فروغ صبر بعد أن انصرف الوزيران ؟

- حسنا يا بوارو ؟ . ما رأيك ؟

كان صديقى منهمكا فى اعداد حقيبة صغيرة بسرعة وفى حركات رشيقة انيقة فهز

رأسه فى تفكير وقال :

- لا أعرف ماذا أظن .. ان ذكائى يخوننى ..

فقلت متأملا :

- لماذا يختطفونه وقد كان فى مقدورهم أن يتخلصوا منه بخبطة واحدة كما قلت أنت .

- اصفح عنى يا صديقى .. اننى لم أقل هذا على وجه التحديد .. ان رغبتهم كانت اختطافه بكل تأكيد ..

- ولكن لماذا ؟

- لان الشك يولد الذعر . هذا سبب من الاسباب ، فلو أن رئيس الوزراء مات فان فى موته كارثة كبيرة لانجلترا طبعا ولكن من الممكن مواجهة الموقف عندئذ . ولكن فى هذه الحالة بالذات سيعم الذعر البلاد وسيتساءل الجميع هل يظهر رئيس الوزراء أم لا ؟ هل مات أم لا يزال على قيد الحياة ؟ .. لن يعرف أحد ذلك بالتدقيق ولن يمكن عمل أى شئ طالما لا نعرف شيئا محددا . وكما قلت لك منذ لحظة فان الشك يولد الذعر وهذا هو ما يبحث عنه الالمان بالذات . ولو أن الذين اختطفوه احتفظوا به سرا فى مكان ما فانهم يستطيعون املاء شروطهم على الطرفين عندئذ . والحكومة الالمانية معروفة بأنها غير سخية ولكن لاشك فى أنها فى هذه الحالة قد تتخلى عن مبالغ جسيمة على كره منها . ثم أن المختطفين يخاطرون بحبل المشنقة .. اوه .. يقينا ان الاختطاف هو هدفهم .

- اذا كان الامر كما تقول فلماذا يخاطرون باطلاق النار عليه أولا ؟

اتى بوارو باشارة تدل على الحنق وقال :

- هذا ما لا أدريه بالذات .. انه حادث سخيف لا مبرر له .. انهم اتخذوا كل تدابيرهم ، وهى تدابير تدل على حذق وذكاء ، لاختطاف رئيس الوزراء ، وعرضوا

الأمر كله للخطر بطريقة ميلودرامية جديرة بأفلام السينما وبعيدة عن المعقول . من المحال تقريبا أن نؤمن بوجود مثل هذه العصابة من الرجال المقنعين على مسيرة أقل من عشرين ميلا من لندن .

فقلت :

- لعلها محاولتان مختلفتان لا تنم كل منهما للأخرى بصلة .

- آه ، كلا . لو أن الامر كما تقول فانها لتكون مصادفة غريبة .. ثم ، من هو الخائن ؟ ..يجب أن يكون هناك خائن ..ولو فى المحاولة الاولى على الاقل .فمن هو ؟ أهو دانيلز ؟ .. أم هو أومورفى .. يجب أن يكون الخائن أحد الاثنين .. ولكن لماذا انعطفت العربة عن الطريق العام ؟ .. لا يمكن أن نفترض أن رئيس الوزراء قد تآمر على مصرعه بنفسه . هل انحرف أومورفى من تلقاء نفسه أم هو دانيلز الذى أمره بذلك ؟

- لا ريب أن أومورفى هو الذى انعطف من تلقاء نفسه .

- نعم ، هو ذلك ، فلو أن دانيلز هو الذى أمره لسمعه رئيس الوزراء ولا ستفسر منه عن السبب . ولكن هناك أسئلة كثيرة فى هذه القضية وكل سؤال منها يتعارض مع الاسئلة الاخرى . اذا كان أومورفى رجلا شريفا فلماذا انحرف عن الطريق العام ، واذا كان خائنا فلماذا سارع بالانطلاق بالعربة بعد أن أطلقت رصاصتان فقط منقذاً بذلك حياة رئيس الوزراء ، وثمة سؤال آخر .. لو أنه رجل شريف فلماذا انطلق الى مقر اجتماع العملاء الالمان بعد أن غادر شارع تشارنج كروس ؟

فقلت :

- انها لقضية غاية فى السوء .

- دعنا نفحص ملابساتها فى دقة وعناية .. مالدينا ضد الرجلين وما لدينا فى صالحهما .. لندرس حالة أومورفى أولا .. لدينا ضد هذا الرجل انحرافه ، وهذا وحده

أمر مريب .. ثم انه من ايرلندا ، ومع اقليم كونتى كلير بالذات وقد اختفى بطريقة لها مغزاها .. ولدينا فى صالحه سرعة انطلاقه بالسيارة منقذا حياة رئيس الوزراء ، وكونه من رجال اسكوتلانديارد . وواضح من هذه النقطة بالذات أنه مخبر موضع ثقة .

ولننتقل الان الى دانيلز .. لا شئ لدينا ضده فيما عدا أننا لا نعرف شيئا عن ماضيه وانه يجيد عدة لغات . وهذه صفة لا يتميز بها أى واحد من الانجليز (ومعذرة يا صديقى فانكم معشر الانجليز قوم يرثى لكم من ناحية اللغات) . والان ، لدينا فى صالحه أنهم عثروا عليه مقيدا ومكمما وفاقد الرشد مما يدل على أنه لم تكن له يد فى هذا الحادث .

- لعله أوثق نفسه وكمم فمه ليبعد الشك عنه .

هز بوارو رأسه وأجاب :

- ان البوليس الفرنسى لن يجوز عليه مثل هذا الامر . ثم انه لم يكن هناك ما يدعوه الى البقاء بعد أن تم اختطاف رئيس الوزراء ، ولعلك تقول أن شركاءه ربما أوثقوا قيادة وخدروه ولكنى أرد عليك فأقول انتى لا أرى ما الذى يعود عليهم من ذلك . أنه لن يكون بذى فائدة تذكر الان لانه سيكون موضع رقابة شديدة الى أن يتم استجلاء الظروف التى أحاطت باختطاف رئيس الوزراء .

- لعله يأمل ان يوجه البوليس الى أثر كاذب .

- لماذا لم يفعل ذلك اذن ؟ .. ان كل ما ذكره هو أنه احس بشئ يوضع على فمه وانفه وأنه لا يذكر شيئا بعد ذلك . ليس فى هذا أى توجيه الى أى أثر كاذب . وإنما هذا هو عين الحقيقة .

فقلت وانا انظر الى الساعة :

- حسنا . أعتقد أنه من الاوفق أن نبادر بالذهاب الى المحطة فقد نعثر على آثار أخرى فى فرنسا .

– هذا جائز يا صديقى . ولكنى أشك فى هذا . فانه لمما يستغرب أنهم لم يعثروا على رئيس الوزراء فى هذه المنطقة الضيقة المحدودة حيث لا يمكن اخفاؤه كل هذه المدة. اذا كان العسكريون ورجال البوليس فى دولتين كبيرتين لم يجدوه فكيف أجده أنا ؟

والتقينا فى محطة تشارنج كروسى بمستردودج ، وقدمنا هذا الى رجلين قائلا :

– هذا هو المخبر بارنس من سكوتلانديارد ، والماجور نورمان ، وهما رهن تصرفك المطلق . اتمنى لك التوفيق . أنها قضية سيئة ولكنى لم أتخل عن الامل بعد .. يجب أن اذهب الان .

وابتعد الوزير فى خطوات سريعة .

وتبادلنا الحديث فى اشياء كثيرة مع الماجور نورمان ، وفى وسط جماعة من الرجال المجتمعين بالمحطة رأيت رجلا قصيرا له وجه شبيه بابن مقرض (١) يتكلم مع رجل طويل القامة وسيم الوجه . كان ذلك الرجل من اصدقاء بوارو الحميمين .. هو المفتش جاب المفروض انه أذكى وألمع مفتشى سكوتلانديارد . وأقبل نحونا وحيا صديقى فى سرور وقال :

– سمعت انك اضطلعت بهذه القضية .. وهى قضية مزعجة .. انهم ذهبوا بالبضاعة .. بعيدا ولكنى لا أعتقد انه سيبقى فى مخبئه طويلا فان رجالنا يفتشون فرنسا تفتيشا دقيقا وكذلك البوليس الفرنسى وأعتقد ان الامر أصبح مسألة ساعات معدودة الآن .

فقال الرجل الطويل القامة فى كآبة :

– هذا اذا كان لايزال على قيد الحياة .

– فر اللون من وجه جاب وقال :

---

(١) حيوان أشبه بالنمس يتصف بالذكاء وحدة البصر .

– نعم .. ولكن مهما يكن من أمر فاننى أشعر بأنه لا يزال على قيد الحياة .

أومأ بوارو برأسه وقال :

– نعم ، نعم .. انه على قيد الحياة ، ولكن هل نجده فى الوقت اللازم ؟ .. اننى مثلك أعتقد أنه سيبقى فى مخبئه طويلا .

ودوى صفير القطار فأندفعنا كلنا الى العربة البولمان ، ولم يلبث أن انطلق القطار وهو يهتز هزة عنيفة .

كانت رحلة غريبة . ووقف رجال سكوتلانديارد معا وقد بسطوا أمامهم خريطة فرنسا الشرقية وراحت الاصابع المتلهفة تشير الى المدن والقرى . وأخذ كل واحد يدلى برأيه الشخصى . ولم يكن بوارو على طلاقته العادية بل ظل صامتا يحملق أمامه وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات صبيانية تدل على الحيرة والارتباك ، وتحدثت مع نورمان وكان محدثا لبقا ، وعندما بلغنا دوفر تغيرت تصرفات بوارو فأثارت الدهشة والاستغراب فقد تشبث الرجل القصير بذراعى فى يأس ونحن نصعد الى الباخرة ، وكانت الريح تصفر وتزأر وتمتم يقول :

– يا الهى ! .. هذا مروع !

فصحت به :

– تشجع يا بوارو .. ستفلح .. ستجده .. اننى واثق من هذا .

– اواه يا صديقى .. انك لم تفهم سبب انفعالى .. ان الذى يثير جزعى هو ذلك البحر البغيض .. دوار البحر .. انه الم مروع !

فقلت وقد اخذت على غرة :

– اوه !

ودار محرك الباخرة ، وما كاد يفعل حتى تأوه بوارو وأطبق عينيه .وقلت أخاطبه :

– ان مع الماجور نورمان خريطة لشرق فرنسا فاذا اردت ان تفحصها ؟ ..

- كلا ، كلا .. دعنى يا صديقى .. ارأيت ؟ .. لكى يحسن المرء التفكير يجب أن تكون المعدة والعقل فى انسجام تام ، ولا فرجيه له طريقة بارعة لتفادى دوار البحر فهو ينصح بأن تقوم بعملية التنفس فى بطء وأنت تدير رأسك من اليمين الى اليسار وتعد ما بين كل مرة وأخرى من واحد الى ستة .

وتركته لتمريناته ومضيت الى سطح الباخرة .

وفيما كنا ندخل ميناء بولانى فى هدوء ظهر بوارو نظيفا مبتسما وهمس فى أذنى ان طريقة لافرجيه افلحت الى حد بعيد .

وكانت اصابع جاب لا تزال تشير الى المواقع على الخريطة وسمعته يقول :

- هذا سخف ! .. ان العربة بدات سيرها من بولونى .. وانعطفت هنا .. واعتقد انهم نقلوا رئيس الوزراء الى عربة أخرى . الا تعتقدون ذلك .

وقال المخبر الطويل القامة :

- حسنا .. سوف اصدر اوامرى بمراقبة الموانى وأراهن أنهم نقلوه خفية الى ظهر سفينة .

هز جاب رأسه وقال :

- هذا واضح جدا .. وقد اصدرنا الاوامر على الفور لاغلاق الموانئ .

وبدأ نور النهار ينبلج ونحن نهبط الى البر.ولمس الماجور نورمان ذراع بوارو وقال :

- هناك عربة عسكرية فى انتظارك يا سيدى .

- شكرا لك . ولكنى لا أنوى مغادرة بولونيا فى الوقت الحالى .

- ماذا ؟ ..

- كلا . سنذهب الى هذا الفندق المطل على البحر ،

وأتبع القول بالعمل فطلب ان تخصص لنا غرفة خاصة ، وتبعناه نحن الثلاثة ونحن حائرون لا نفهم شيئا .

وألقى بوارو نظرة سريعة الينا وقال :

- ما هكذا يتصرف المخبر البارع ، أليس كذلك ؟ .. اننى اقركم على ما يجول فى خاطركم . يجب ان يكون المخبر مشحونا بالنشاط والقوة وان يسرع الى كل مكان . وأن يفترش الارض ويفحص آثار العجلات بمنظار معظم وان يجمع بقايا السجاير وعيدان الثقاب . هذا ما يجول فى اذهانكم ، أليس كذلك ؟

ونظر الينا متحديا وقال :

- ولكنى ، أنا هرقل بوارو ، لست من هذا النوع .. ان المفاتيح الحقيقية هنا .. فى الداخل .

وضرب جبينه بيده وقال :

- هل ترون ؟ .. لم تكن بى حاجة الى مغادرة لندن .. كان يكفينى ان أجلس فى غرفتى ، هناك ، فى هدوء .. فكل ما يهم هو العمل الذهنى .. ان عقلى يقوم بعمله فى صمت وسكون الى ان اطلب فجأة خريطة وأضع اصبعى فى مكان ما وأقول أن رئيس الوزراء هنا . هذا ما كان يجب ان افعل فبالنظام والمنطق يمكن للمرء أن يفعل كل شئ .. واندفاعنا إلى فرنسا بهذه الصورة كان عملا خاطئا بعيدا عن اللباقة وأشبه بلعبة الاستخفاء التى يمارسها الاطفال . ولكنى الان ، وعلى الرغم من ان الوقت قد ضاع بدون مبرر فسأقوم بالعمل من الداخل كما يجب أرجوكم أن تلزموا الصمت والهدوء يا أصدقائى .

ومضت خمس ساعات طوال بقى الرجل القصير جالسا خلالها دون أن يبدى اى حراك وهو يرمش بعينيه كالقطط من وقت لاخر ، وقد ازدادت نظرته حدة ولم يخف رجل اسكوتلانديارد ازدراءه . أما الماجور نورمان فقد ارتسمت على وجهه امارات القلق والجزع . وانا نفسى استبطأت مرور الوقت .

ونهضت واقفا أخيرا ، ومضيت الى النافذة وأنا أحرص على ان لا يصدر منى

صوت بقدر المستطاع .. أن الامر سيصبح مهزلة .. كنت شديد القلق فى قرارة نفسى على صديقى فانه اذا كان ولابد من الفشل فقد كنت اود ان يفشل بطريقة بعيدة عن السخرية ، ورأيت من خلال النافذة الباخرة واقفة فى الميناء وهى تنفث الدخان منها .

وتنبهت على صوت بوارو فجأة وهو يقول :

- هلموا بنا يا اصدقائى .

تحولت عن النافذة فرأيت صديقى وقد طرأ عليه تغيير كبير عجيب . كانت عيناه تبرقان بالانفعال وصدره يكاد ينفجر .

- اننى كنت مغفلا كبيرا يا أصدقائى .. ولكن وضح كل شئ الان .

اسرع الماجور نورمان الى الباب وهو يقول :

- سأستدعى العربة .

- لا داعى لذلك ، فاننى لن استقلها .. احمد الله على ان الطقس قد أعتدل .

- هل تعنى انك ستمضى راجلا يا سيدى ؟

- كلا يا صديقى فانا لست قديسا .. اننى أوثر أن أعبر البحر على الباخرة .

- تعبر البحر ؟

- نعم . لكى يعمل المرء بنظام فلابد له من العمل من نقطة البداية ونقطة البداية فى هذه القضية قد بدأت فى انجلترا .. ولهذا سنعود اليها .

* * *

وفى الساعة الثالثة كنا نقف مرة أخرى فى محطة تشارنج كروس . وأولى بوارو أذنا صماء لكل محاولاتنا وهو يكرر أن اعادة نظر القضية من البداية ليس مضيعة للوقت وانها هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى الهدف . وفى الطريق راح يتكلم فى صوت خافت مع نورمان وأرسل هذا الاخير برقيات كثيرة .

وبفضل التصريحات التى يحملها نورمان تمت كل الاجراءات فى وقت قصير .

وكانت تنتظرنا فى لندن عربة كبيرة من عربات البوليس وفيها بعض الرجال الذين يرتدون الثياب المدنية وناول أحدهم صديقى ورقة مكتوبة على الالة الكاتبة . ورد بوارو على نظرتى المستفهمة قائلا :

- هذه قائمة بالمستشفيات الريفية التى تقع فى الناحية الغربية من لندن .. اننى أبرقت فى هذا المعنى ونحن فى دوفر .

وانتقلنا سريعا عبر شوارع لندن وأخذنا طريق بات وود ومنه الى شارع هامر سميث وشزويك وبرنتفورد . وبدأت أرى الهدف الذى يسعى اليه .. كنا نعبر وندسور فى طريقنا الى اسكوت . وركض قلبى بين ضلوعى فان لدانيلز عمة تقيم فى اسكوت . كنا نسعى وراء دانيلز اذن لا وراء أومورفى .

ووقفنا أمام فيللا صغيرة جميلة . ووثب بوارو اليها ودق الجرس ورأيت ابتسامة بائسة حائرة ترتسم على وجهه . كان واضحا انه شديد القلق . ولم يلبث أن انفتح الباب فاندفع بوارو الى الداخل . وبعد لحظات قصيرة ظهر من جديد ووثب الى العربة وهو يهز رأسه وبدأت آمالى تتبدد . وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة الان ، فانه حتى اذا عثر على بعض الادلة التى تدين دانيلز فماذا تكون الفائدة ، هذا الا اذا استطاع أن ينتزع من شخص ما المكان الذى أخفوا فيه رئيس الوزراء .

ولم تتم عودتنا الى لندن الا على مراحل متقطعة ، فقد انحرفنا عن الطريق الرئيسى أكثر من مرة وتوقفنا أمام بعض المبانى الصغيرة التى لم يكن من العسير على أن أعرف انها مستشفيات ريفية . ولم يمض بوارو أكثر من دقائق معدودات فى كل منها ولكنه كان يخرج فى كل مرة وقد ازداد وجهه تألقا واطمئنانا .

وهمس ببضع كلمات فى اذن نورمان أجابه الاخير عليها قائلا :

- نعم ، اذا أخذت يسارك فستجدهم فى انتظارنا على الجسر .

وانعطفنا الى طريق جانبى ، وفى الضوء الذى بدا يخفت رأيت سيارة ثانية واقفة

فى انتظارنا على جانب من الطريق وبها رجلان يرتديان ثيابا مدنية . وهبط بوارو وتكلم معهما ثم انطلقا بعد ذلك فى طريق شمالى وتبعتنا العربة الثانية مباشرة .

ومر بنا الوقت ونحن نقطع الطريق ، وكان واضحا ان هدفنا هو أحد بيوت شمال لندن . وتوقفنا أخيرا أمام بيت كبير ، على مبعدة من الطريق . وبقيت أنا ونورمان بالعربة فى حين دق بوارو وأحد المخبرين الباب . وفتحت خادمة نظيفة الباب بادرها المخبر قائلا :

- أنا ضابط بوليس ومعى أمر بتفتيش البيت .

أطلقت الفتاة صرخة خافتة ، وظهرت فى البهو ، خلفها سيدة جميلة متوسطة السن وقالت :

- اغلقى الباب يا اديث ، فاننى أظن انهم لصوص .

ولكن بوارو أسرع فوضع قدمه أمام مصراع الباب ، وفى نفس الوقت دوى صفير خافت ظهر المخبرون الاخرون على أثره واندفعوا داخل البيت وأغلقوا الباب خلفهم .

وقضيت أنا ونورمان نحو خمس دقائق ونحن صامتان على مضض لا ندرى ماذا نفعل . وأخيرا فتح الباب من جديد وظهر الرجال وهم يقودون أمامهم ثلاثة أسرى : امرأة ورجلين . واقتيدت المرأة وأحد الرجلين الى العربة الاخرى . أما الرجل الثانى فقد مضى به بوارو الى عربتنا بنفسه وقال :

- يجب أن أرافق الاخرين يا صديقى ، ولكن احرص على هذا السيد جيدا .. هل تعرفه ؟ كلا .. حسنا .. دعنى أقدم لك اذن السيد أومورفى .

أومورفى ! .. حملقت فيه فاغر الفم ، وانطلقنا من جديد . لم يكن موثق اليدين ولكنى لم أتصور أن يحاول الافلات . كان جالسا ينظر أمامه مشدوها حائرا .. مهما يكن من أمر فاننى أنا ونورمان نستطيع التغلب عليه .

وما كانت أشد دهشتى حين رأيت أننا لا نزال ننطلق فى طريق الشمال . لم نكن

عائدين الى لندن اذن . وأزدادت حيرتى ، وفجأة أبطأت السيارة وعرفت أننا على مقربة من مطار هندون . وفهمت غرض بوارو على الفور فهو يريد أن يمضى الى فرنسا بالطائرة .

كانت فكرة رياضية ولكنها كانت متعذرة عمليا . وارسال برقية أمر أسرع لاكتساب الوقت .. لابد لبوارو أن يترك لغيره فخر تحرير رئيس الوزراء .

وما أن وصلنا الى المطار حتى وثب الماجور نورمان من العربة وجلس مكانه رجل يرتدى ثيابا مدنية ، تبادل بضع كلمات مع بوارو ثم هبط فجأة . ووثبت من مكانى أنا أيضا وأخذت بوارو من يده وقلت :

- أهنئك يا صديقى العزيز .. هل اعترفوا لك بالمكان الذى أخفوا فيه رئيس الوزراء ؟ .. ولكنى أرجو أن تفهم وأن تقدر الموقف .. يجب أن تبرق الى فرنسا على الفور فانك ستصل متأخرا اذا أصررت على أن تذهب أنت بنفسك .

نظر بوارو الى فى دهشة دقيقة أو دقيقتين ثم قال :

- مما يؤسف له يا صديقى أن هناك أشياء يتعذر ارسالها بالبرق .

* * *

وفى هذه اللحظة بالذات عاد الماجور نورمان وبرفقته ضابط شاب يرتدى ثياب الطيران وقال :

- هذا هو الكابتن ليال الذى سيطير بك الى فرنسا يا سيدى وهو سينطلق الان فورا .

وقال الطيار الشاب :

- أنصحك بارتداء ثياب ثقيلة يا سيدى ، واذا أردت فأننى أستطيع أن أعيرك معطفا .

وكان بوارو ينظر الى ساعته الضخمة وتمتم يقول محدثا نفسه :

- نعم .. ما زال هناك متسع من الوقت .. يكاد يكفى .

ثم رفع عينيه وانحنى فى ادب الى الطيار الشاب قائلا :

- أشكرك أيها الشاب ، ولكن لست أنا الذى أسافر معك .. هذا هو السيد الذى سيرافقك .

وأفسح المكان قليلا وهو يتكلم .. وبرز وجه من خلال العتمة التى بدأت تسود المكان . كان هو وجه الاسير الذى اقتيد الى السيارة الاخرى . وسقط الضوء عليه ، وما كدت أتبين ملامحه حتى شهقت من الدهشة :

كان ذلك الرجل هو رئيس الوزراء نفسه .

* * *

صحت أقول فى فروغ صبر ونحن عائدون الى لندن ..أنا وبوارو والماجور نورمان :

- قل لى بحق السماء .. كيف أعادوه الى انجلترا من غير ان يراه أحد ؟

فأجاب بوارو فى جفاء :

- لم يكن هناك أى داع لاعادة رئيس الوزراء خفية فهو لم يغادر انجلترا قط ، وقد تم اختطافه وهو فى طريقه من لندن الى وندسور .

- ماذا ؟

- سأوضح لك الامر . كان رئيس الوزراء فى السيارة وبجانبه سكرتيره وفجأة وضع على وجهه منديل مبلل بالكلورفورم .

- ومن الذى وضعه ؟

- الكابتن دانيلز الذكى . وما أن فقد رئيس الوزراء رشده حتى أخذ دانيلز البوق وأمر أومورفى أن ينعطف يميناً . وأمتثل الشاب على الفور دون أن يتطرق اليه الشك . وبعد بضعة أمتار قطعها فى طريق غير مأهولة تقريبا كانت سيارة كبيرة واقفة . وكان واضحا انها معطوبة . وأشار سائقها الى أومورفى بالوقوف . وأبطأ أومورفى فى سيره

واقترب منه الرجل الغريب . ومال دانيلز من النافذة وبمساعدة المنديل المبلل بالمخدر كرر الخدعة ، وفى بضع دقائق نقل الرجلان الى العربة الاخرى وأخذ مكانهما رجلان آخران..

– هذا محال .

– أبدا . ألم تر بعض الممثلين يقلدون مشاهير الرجال بمقدرة عجيبة . ما أسهل أن يقلد الانسان شخصية مشهورة . ان تقليد رئيس الوزراء أسهل بكثير من تقليد أى رجل عادى . أما بخصوص تقليد أومورفى فلم يكن هناك من سيلحظه بعد رحيل رئيس الوزراء ، وعندئذ يكون قد اختفى . وقد انطلق رأسا من شارع تشارنج كروس الى اجتماع أصدقائه ودخل المقر بصفته أوموزرفى ثم غادره بصفته رجلا آخر . واختفى أومروفى تاركا أدلة مريبة خلفه .

– ولكن الرجل الذى قام بدور رئيس الوزراء قد رآه الجميع .

– لم يره أحد ممن يعرفون رئيس الوزراء معرفة شخصية أو أحد من أهله .

وقد حجبه دانيلز عن الاتصال بغيره بقدر المستطاع وفوق ذلك فقد كان وجهه معصوبا ، ولو انه كان هناك شئ غريب فى تصرفاته أو هيئته لنسب الى ألمه وتوجعه من الاعتداء الذى وقع عليه . وكان مستر ماك آدم ضعيف الحلق ، وكان يدخر صوته بقدر المستطاع قبل أي اجتماع كبير . وقد أحيطت الخدعة بالكتمان حتى فى فرنسا، ولكن كان من المحال أن يستمر الامر على ذلك هناك ولهذا كان لابد من أن يختفى رئيس الوزراء . وقد أسرع بوليس انجلترا عبر القنال دون أن يهتم أحد منهم بحادث الاعتداء الاول . وقد أوثق قياد دانيلز وكمم فمه وخدر بطريقة مقنعة تأكيدا للوهم البالى بأن مستر ماك آدم قد اختطف فى فرنسا .

– وماذا حدث للرجل الذى قام بدور رئيس الوزراء .

– انه تخلص من تنكره طبعا . ويمكن القاء القبض عليه وعلى سائق السيارة

الزائفة كمشبوهين فقط ولكن لن يستطيع أحد أن يشك فى الدور الحقيقى الذى قاما به فى هذه المأساة . وسوف يطلق سراحهما لعدم ثبوت الأدلة .

- ورئيس الوزراء الحقيقى :

- اقتيد هو وأومورفى الى بيت مسز ايفرارد فى هامبستيد ،عمة دانيلز المزعومة . ان اسمها الحقيقى هو فراو برتا ابنتال ، وكان البوليس يبحث عنها فى الاونة الاخيرة . انها لقمة سائغة قدمتها للبوليس الانجليزى ، هذا فضلا عن نفسه ! .. آه كانت خطة بارعة ولكنه لم يقدر ذكاء هرقل بوارو حق قدره .

وأظن أن فى الامكان أن نعذر صديقى فى هذه اللحظة لما تملكه من غرور !

- ومتى بدأت تشك فى الحقيقة لاول مرة ؟

- عندما بدأت العمل كما يجب .. من الداخل . لم أستطع أن أجد مبررا لمحاولة الاعتداء على رئيس الوزراء باطلاق النار عليه . ولكننى حين رأيت أن هذه المحاولة كان من نتيجتها أن اضطر رئيس الوزراء الى الذهاب الى فرنسا معصوب الوجه بدأت أفهم كل شئ . وعندما قمت بزيارة جميع المستشفيات الريفية التى تقع بين وندسور ولندن وتحققت أنها لم تعن أو تضمد جرح رجل أصيب بطلقة مسدس فى خده أيقنت من كل شئ . وبعد ذلك كانت المسألة كلها كما لو كانت لعبة صبيانية بالنسبة لى .

وفى صباح اليوم التالى عرض على بوارو برقية جاءته لا تحمل اسم المكان الذى صدرت منه وبها هذه الكلمات فحسب .

" وصلنا فى الوقت المناسب "

وفيما بعد صدرت جرائد المساء فى ذلك اليوم وبها وصف واف لما دار فى مؤتمر الحلفاء وذكرت أن مستر ماك آدم قوبل بحفاوة لا مثيل لها وأن خطبته أحدثت أبلغ الأثر وأعمقه بين أعضاء المؤتمر .

* * *

الفصل التاسع

اختفاء مستر دافنهيم

كنت انتظر أنا وبوارو قدوم صديقنا المفتش جاب لتناول الشاى . وكنا نجلس أمام المائدة وقد راح بوارو يصف فى عناية كبيرة الاقداح والاطباق التى اعتادت صاحبة البيت أن تلقيها فوق المائدة فى حركة غير رقيقة .

وكان بوارو قد نفخ فى قوة فى براد الشاى وراح يدعكه بمنديله الحريرى فى حين كانت الغلاية فوق الموقد ، وعلى مقربة منها وعاء صغير من الخزف يحتوى على شيكولاته دسمة كان بوارو يفضلها بكثير عن الشاى .

وسمعنا طرقة خفيفة فى الدور الارضى ، وما هى الا لحظات حتى دخل جاب فى خطوات نشيطة ، وتمتم يقول بعد التحيات العادية :

- ارجو ألا أكون قد تأخرت عليكما ، ولكن الواقع اننى وقفت أثرثر قليلا مع المفتش ميللر الذى انيطت به قضية دافنهيم .

أرهفت اذنى ، فمنذ ثلاثة أيام ولا حديث للصحف الا عن اختفاء مستر دافنهيم ، احد صاحبى بنك دافنهيم وسالمون المعروف ، وهو اختفاء عجيب أثاره حيرة الناس ودهشتهم ، ففى يوم السبت الماضى غادر منزله ولم يعد اليه بعد ذلك ، وتطلعت الى جاب محاولا استخلاص بعض المعلومات المهمة منه وقلت :

- كنت أظن ان من المستحيل أن يختفى أحد فى عصرنا هذا هكذا .

أبعد بوارو طبق التوست عنه قليلا وقال فى صوت جاف :

- توخ الدقة يا عزيزى هاستنجز .. ماذا تعنى بالضبط بكلمة " يختفى " ؟ والى أى نوع من الاختفاء تشير ؟ .

فقلت ضاحكا :

- وهل للاختفاء أنواع اذن ؟

ابتسم جاب بدوره . اما بوارو فقد نظر الينا مقطب الجبين وقال :

- بالطبع . ان له ثلاثة أنواع . أولها واكثرها شيوعا هو الاختفاء الاختيارى ، والثانى هو الاختفاء الذى يسببه فقدان الذاكرة . وهى حالة نادرة ولكنها محتملة الوقوع مع ذلك . وهناك أخيرا الاختفاء الذى ينتج عن جريمة قتل تختفى الجثة على أثرها . فهل تشير بكلمة مستحيل الى كل هذه الانواع الثلاثة ؟

- تقريبا على ما أعتقد . فمن الجائز أن يفقد الانسان الذاكرة ولكن هناك دائما من يتعرف عليه خاصة اذا كان المختفى رجلا مشهورا كدافنهيم ، ثم ان الجثث لا تختفى فان عاجلا وان آجلا يعثرون عليها مخفاة فى مكان مقفر أو داخل حقيبة وتنكشف الجريمة . وكذلك الصراف الذى يختلس والخادم الخائن ، يمكن الاهتداء اليهما فى عصرنا هذا حيث يقوم البرق والتليفون بدور كبير ويمكن بواسطتهما تعقب المجرمين فى الخارج ثم ان فى الامكان مراقبة الموانى والمحطات . اما اذا اختفى احد فى المدينة بالذات فان وجهه يصبح مألوفا لقراء الصحف وتنقلب المدينة نفسها عليه وتصبح عدوه المبين . فقال بوارو :

- ولكنك نسيت شيئا يا عزيزى .. هناك تلك الحالة التى تستقر فيها نية الرجل على اخفاء شخص غيره أو اخفاء نفسه بالذات ، اذا استطعنا أن نعبر عن ذلك مجازا وهو يدبر هذا الاختفاء بطريقة منظمة دقيقة .. أن أى مخلوق على جانب كبير من الذكاء والدقة يمكنه أن يستغل ذكاءه فى هذه الناحية ويستغفل رجال البوليس .

قال جاب مغتطبا وهو يغمز لى بعينه :

- ولكنه لا يستطيع ان يستغفلك انت بالذات يا مسيو بوارو اليس كذلك ؟

حاول بوارو ان يتظاهر بالتواضع وقال :

- ولم لا ؟ .. الواقع انني أواجه مثل هذه الحالات بطريقة علمية ودقة حسابية يخيل لي ان الغالبية الكبرى من مخبري الجيل الجديد لا يتمتعون بهما .

اتسعت ابتسامة جاب وقال : - ولكن ميللر الذى يضطلع بهذه القضية رجل فائق الذكاء ولك ان تثق انه لن يدع كبيرة او صغيرة الا بعد ان يقتلها فحصا وتمحيصا . ان له عينين حادتين لا يفوقهما شئ .

فقال بوارو : - وكذلك الباشق الانجليزى ياسيدى ، ومع ذلك فلن أطلب من هذا الطائر الصغير ان يحيط اللثام عن سر اختفاء دافنهيم .

- أظنك لن تدعى الان أن التفاصيل لا قيمة لها كأدلة ؟

- كلا . ان لكل نقطة أهميتها ولكن الخطر يكمن فى المبالغة بهذه الاهمية فان بعضها تافه وقليل منها يمكن ان تكون له أهمية كبرى .

وضرب بوارو جبينه بيده واستطرد : - ولكن المهم هو العقل الذى يعمل .. ان الادلة خادعة ، ويجب البحث عن الحقيقة فى الداخل وليس فى الخارج .

- هل تعنى بقولك هذا يا مسيو بوارو انك تستطيع ان تحيط اللثام عن مثل هذا الاختفاء من غير ان تتحرك من مقعدك ؟

- هو ذلك .. على فرض ان تزودنى بكل التفاصيل .. اننى سأعتبر نفسى فى هذه الحالة كالخبير الذى يلجأون الى مشورته .

ضرب جاب ركبته بيده وقال : - على اللعنة اذا لم أخذك بكلمتك هذه . أراهنك بخمسة جنيهات على أنك لن تستطيع أن تعرف أو أن تذكر لى كيف أعثر على مستر دافنهيم سواء كان ميتا أو على قيد الحياة وذلك فى بحر أسبوع .

فقال بوارو : - حسنا يا صديقى . اننى اقبل الرهان . ان الرياضة هى ولعكم

الوحيد يا معشر الانجليز والان الى بالوقائع .

- فى يوم السبت الماضى ، استقل مستر دافنهيم كما هى عادته ، قطار الساعة الثانية والدقيقة الاربعين من محطة فيكتوريا الى شنجسايد حيث يقع قصره الريفى الفخم المعروف باسم " الارز " . وبعد ان فرغ من الغداء اخذ يتمشى فى حديقته مصدرا تعليماته للبستانيين . وقد اتفق الجميع على ان تصرفاته كانت عادية جدا ، وبعد تناول الشاى أطل برأسه فى مخدع زوجته وقال لها انه ذاهب الى القرية لتسجيل بضع رسائل ثم اردف يقول انه ينتظر قدوم من يدعى مستر لوين لزيارة خاصة بالعمل وأنه اذا اقبل هذا الاخير فعليهم أن يمضوا به الى غرفة المكتبة لكى ينتظره هناك ، وغادر البيت بعد ذلك من الباب الامامى وعبر الممشى الى الخارج ، واجتاز عتبة الباب ولم يره أحد بعد ذلك ، واختفى منذ تلك اللحظة تماما .

فتمتم بوارو : - هذا جميل جدا .. هذه مشكلة صغيرة ظريفة .. استمر يا صديقى العزيز .

- وبعد ذلك بربع ساعة طرق الباب رجل طويل القامة أسمر اللون له شارب غزير وقال انه على موعد مع مستر دافنهيم وذكر ان اسمه لوين ، وطبقا للتعليمات التى أصدرها المالى مضوا بمستر لوين الى غرفة المكتبة ومرت نحو ساعة ولم يعد مستر دافنهيم . واخيرا دق مستر لوين الجرس وقال للخادم الذى أقبل انه لا يستطيع الانتظار اكثر من ذلك وان عليه ان يلحق بقطار المدينة ليعود الى بيته . واعتذرت مسز دافنهيم لغياب زوجها الذى لا مبرر له ، خاصة وانه كان يتوقع قدوم زائره . وكرر مستر لوين اسفه وانصرف .

حسنا .. لم يعد مستر دافنهيم كما يعرف الجميع وفى وقت مبكر من صباح يوم الاحد اخطرت الجهات المسئولة ولكنهم لم يفهموا شيئا فقد بدا ان مستر دافنهيم قد تبخر فى الهواء . اذ اتضح انه لم يذهب الى مكتب البريد وان أحدا لم يره فى القرية .

وفى المحطة اكد الموظفون كل التأكيد انه لم يستقل اى قطار ثم ان عربته الخاصة كانت لا تزال موجودة فى الجاراج . واذا كان قد استأجر سيارة أجرة من مكان ما فقد كان المفروض ان يبادر السائق بالذهاب الى رجال البوليس واطلاعهم على ذلك نظرا الى المكافأة الضخمة المعروضة .

وصحيح انه كان هناك سباق فى انفيلد ، وهى تقع على بعد خمسة أميال واذا كان قد مضى الى محطة أنفيلد فمن الجائز ان يكون قد سافر من غير ان يلحظه احد فى الزحام الشديد . ولكن الصحف نشرت صورته بعد ذلك كما نشرت وصفا دقيقا عنه ولم يتقدم أحد بأية معلومات عنه . وقد جاءتنا خطابات كثيرة بالطبع من جميع أنحاء انجلترا ولكنها لم تؤد الى أية نتيجة .

وفى صباح يوم الاثنين وقع اكتشاف مثير ، فقد كانت هناك خزانة فى غرفة مكتب مستر دافنهيم خلف ستارة ، وقد اتضح ان هذه الخزانة قد اغتصبت وان كل محتوياتها سرقت . وكانت النوافذ موصدة باحكام من الداخل مما يبعد احتمال أية سرقة عادية ما لم يكن هناك شريك يكون قد اوصد النوافذ من الداخل بعد السرقة . اما اذا كان هذا لم يحدث ونظرا الى الفوضى التى عمت البيت يوم الاحد فمن الجائز أن تكون السرقة قد وقعت يوم السبت بالذات وبقيت حتى يوم الاثنين قبل ان يتم اكتشاف أمرها .

فقال بوارو : - هو ذلك . وهل القيتم القبض على ذلك المسكين لوين ؟

اغتصب جاب ابتسامة واجاب : - لم يلق عليه القبض بعد ولكنه يخضع لرقابة مشددة .

أومأ بوارو برأسه وقال : - وما الذى سرق من الخزانة ؟ .. الديك فكرة عن ذلك ؟

- اننا فحصنا الامر مع شريك مستر دافنهيم ومع زوجته ويبدو انه كان بالخزانة مبلغ جسيم من المال عبارة عن سندات مالية لحاملها وأوراق بنكنوت لانه كان قد فرغ من صفقة كبيرة رابحة كما كانت هناك مجموعة ضخمة من الحلى والمجوهرات فان

جميع حلى مسز دافنهيم ومجوهراتها كانت بالخزانة فقد أولع مستر دافنهيم فى الفترة الاخيرة بشراء المجوهرات وكان لايمر شهر الا ويقدم لزوجته هدية ثمينة .

فقال بوارو فى تفكير : - هى غنيمة كبيرة طبعا .. وماذا عن لوين ؟ . هل تعرفون سبب زيارته لمستر دافنهيم فى تلك الليلة .

- حسنا . لم يكن الرجلان على وفاق تام فى الظاهر فان لوين يشتغل بالمضاربات ولكن فى حيز ضيق ، ومع ذلك فقد استطاع أن يتفوق على مستر دافنهيم فى السوق مرة أو مرتين وان كان يبدو انهما لا يلتقيان الا نادرا .. وقد ضرب مستر دافنهيم له موعدا للتشاور معه فى بعض اسهم أمريكا الجنوبية .

- وهل يهتم دافنهيم بأسهم أمريكا الجنوبية ؟

- أظن ذلك ، فقد حدث أن ذكرت لى مسز دافنهيم أن زوجها قضى الخريف الماضى فى بونس ايرس .

- الا تسود حياته العائلية اية شائبة ؟ .. هل الزوجان على علاقات طيبة ؟

- أظن أن حياته الزوجية هادئة لا يشوبها أى شئ ان مسز دافنهيم امرأة رقيقة لا تتمتع بأى قسط من الذكاء .. انها امرأة تافهة جدا .

- لا يجب أن نبحث عن سبب اختفائه فى هذه الناحية . هل له اعداء ؟

- كان له أعداء كثيرون طبعا ، ولا شك ان هناك الكثيرين الذين لم يحالفهم الحظ مثله وتفوق عليهم فى ميدان العمل لا يكنون له أى ود . ومع ذلك فليس بينهم من يخطر له أن يتخلص منه ، واذا كان هذا قد حدث حقا فأين ذهبت الجثة ؟

- تماما .فكما يقول هاستنجز فان الجثث تظهر مهما طال اختفاؤها .

- وبهذه المناسبة يقول أحد البستانيين انه رأى رجلا على مقربة من البيت بجوار حديقة الورد . ونافذة غرفة المكتب كبيرة تؤدى الى حديقة الورد المذكورة ، وكثيرا ما دخل مستر دافنهيم البيت أو غادره عن طريقها . ولكن صاحبنا البستانى كان يقف

على مسافة بعيدة ، وكان منهمكا فى عمله ولا يستطيع أن يجزم اذا كان ذلك الرجل هو سيده أو اذا كان رجلا آخر غيره . وكذلك لا يستطيع ان يحدد الساعة التى رآه فيها ولاريب أن ذلك قد حدث قبيل السادسة لان البستانيين يفرغون من عملهم عادة فى مثل هذه الساعة .

- ومتى غادر مستر دافنهيم البيت ؟

- فى نحو الخامسة والنصف .

- وماذا يقع خلف حديقة الورد ؟

- بحيرة .

- وهل هناك حظيرة للقوارب ؟

- نعم . ويحتفظون فيها بقاربين اتراك تظن ان فى الامر انتحارا يا مسيو بوارو حسنا ، من الاوفق أن أقول لك أن ميللر سينزح البحيرة غدا فهو من ذلك النوع من الرجال الذين يمارسون عملهم بكل دقة .

ابتسم بوارو فى ضعف وتحول الى قائلا : - ناولنى جريدة الديلى تلغراف يا هاستنجز .. ان فيها صورة واضحة للرجل المختفى على ما اذكر .

نهضت وجئته بالنسخة المطلوبة . ونظر بوارو الى الصورة فى دقة وتمتم :

- آه .. شعره طويل متموج وشاربه كثيف وله لحية مدببة وحاجبان غزيران .. أهو أسود العينين ؟

- نعم .

- وهل بدأ المشيب يدب الى شعر رأسه ولحيته .

" أومأ المفتش بالايجاب وقال : - ما رأيك فى كل هذا يا مسيو بوارو ؟ .. هل وضحت لك هذه القضية ؟

- على العكس .. انها شديدة الغموض .

بدا السرور على وجه مفتش سكوتلانديارد ، وقال بوارو فى لهجة مهذبة :

- وهذا ما يجعلنى كبير الأمل فى اماطة اللثام عنها .

- أيه ؟

- حين تكون القضية غامضة فاننى أرى فى ذلك ما يبشر .. اما اذا كانت تبدو واضحة فكن على حذر لان هناك من يحاول أن يجعلها تبدو كذلك .

هز جاب رأسه فى شئ من الوقار وقال : - حسنا .. لكل منا رأيه الخاص .. ولكن لا ضير فى أن ترى الطريق أمامك بكل وضوح .

فقال بوارو : - أما أنا فلا أرى .. اننى أطبق عينى .. وأفكر .

تنهد جاب وقال : - حسنا .ان أمامك أسبوعا كاملا لكى تفكر فى هذا الموضوع .

- وستأتينى بكل ما قد يأتيك من معلومات وتفاصيل جديدة .. وكل النتائج التى قد يصل اليها ذلك الرجل المجد الثاقب النظر وأعنى به المفتش ميللر ؟

- طبعا . فالرهان يشمل كل هذا .

وقال جاب وأنا أشيعه حتى الباب : - شد ما أشعر بالخجل .كأننى أسرق طفلا . لم يسعنى الا أن ابتسم ، وكنت لا أزال ابتسم حتى عدت الى الغرفة . وقال بوارو مسرعا .

- حسنا .. انكما تسخران من بوارو ، أليس كذلك ؟

وهز أصبعه فى وجهى وقال :- انكما لا تثقان فى مقدرتى الذهنية .. آه .. دع عنك هذا الارتباك ولنناقش هذه المشكلة الصغيرة .. أوافقك على أنها لم تتم فصولا بعد ولكنى أرى فيها نقطة أو نقطتين على جانب كبير من الاهمية .

فقلت بلهجة ذات مغزى : - هل تعنى البحيرة ؟

- بل أكثر من البحيرة .. حظيرة القوارب .

نظرت اليه نظرة جانبية . كان يبتسم ابتسامته الغامضة وأحسست أنه لا جدوى

فى تلك اللحظة بالذات من أن أساله أكثر من هذا .

ولم نسمع عن جاب حتى مساء اليوم التالى حين اقبل فى نحو الساعة التاسعة ورأيت من ملامحه على الفور أنه جاء معه بانباء جديدة .

وسأله بوارو : - حسنا يا صديقى ؟ .. هل كل شئ على ما يرام ؟ .. لا تقل لى أنكم عثرتم على جثة مستر دافنهيم فى البحيرة لاننى لن أصدق ذلك .

- اننا لم نجد الجثة ولكننا وجدنا ثيابه .. الثياب التى كان يرتديها فى ذلك اليوم بالذات فما رأيك فى ذلك ؟

- ألا تنقص ثياب أخرى فى البيت ؟

- كلا . ووصيفه قاطع فى هذه الناحية فان بقية ثيابه كاملة .. بل هناك أكثر من ذلك . اننا القينا القبض على لوين ، فان احدى الخادمات . وهى المكلفة باغلاق نوافذ البيت عند دخول الليل تقول انها رأت لوين يتقدم نحو غرفة المكتبة من ناحية حديقة الورد فى نحو السادسة والربع ، أى قبل أن يغادر البيت بعشر دقائق تقريبا .

- وبماذا يعلل هو نفسه ذلك ؟

- انكر أنه غادر غرفة المكتبة فى البداية ، ولكن الخادمة كانت متأكدة مما تقول . واذ رأى ذلك قال انه نسى فعلا انه خرج من النافذة ليفحص زهرة غريبة رآها فى حديقة الورد ، وهى قصة ضعيفة اذا شئت ثم أنه ظهر دليل آخر ضده ، فان مستر دافنهيم كان يحمل دائما خاتماً كبيرا من الذهب به فص من الماس فى الاصبع الاصغر من يده اليمنى . وقد رهن رجل يدعى بيلى كيليث هذا الخاتم فى لندن مساء السبت الماضى .. وكيليث هذا معروف فى ادارة البوليس وسبق أن قضى فى السجن ثلاثة شهور فى الخريف الماضى لانه سرق ساعة أحد المواطنين ، ويبدو أنه حاول ان يرهن ذلك الخاتم خمس مرات متوالية فى لندن قبل ان يفلح أخيرا فى رهنه . وقد شرب بثمنه فى تلك الليلة حتى سكر واعتدى على أحد رجال البوليس فاقتاده هذا الى القسم حيث

سيق الى السجن . وقد ذهبت الى السجن أنا وميللر ورأيناه . وهو قد أسترد صوابه الان ولا أجد ضيرا فى أن أقول اننا أفزعناه كثيرا وقلنا له أنه قد يتهم بتهمة جريمة القتل واليك قصته ، وهى قصة غريبة طبعا .

" قال انه شاهد السباق فى انفيلد يوم السبت الماضى وأنا شخصيا أقول انه ذهب الى انفيلد بقصد النشل ، ومهما يكن فهو لم يفلح فى سرقة أحد فى ذلك اليوم وصاحبة النحس . ويقول انه سار فى طريق شنجسايد وانه توقف لكى يستريح بجوار فندق على مشارف القرية ، وانه بعد دقائق قلائل رأى رجلا يأتى من ناحية القرية ، وكان رجلا اسمر اللون له شارب كبير .. رجل من رجال المدينة المتأنقين .. هكذا وصف الرجل .

وكان كيليث يقف خلف كومة من الحجارة فلم يره الرجل ، وقبل ان يصل هذا الاخير الى مستواه ردد البصر حوله مسرعا ، واذ رأى أن الطريق خال أخرج من جيبه شيئا دقيقا ألقى به من فوق السياج ثم أسرع نحو المحطة . ووقع ذلك الشئ الذى ألقاه الرجل خلف السياج محدثا صوتا معدنيا اثار فضول صاحبنا الذى فى الخندق فأسرع يبحث عنه . وبعد تفتيش يسير عثر على الخاتم . هذه هى قصة كيليث .. وأسارع فأقول ان لوين يكذب ، ولا يمكن طبعا أن نثق فى كلمة نشال مثل كيليث . ومن الجائز ان هذا الاخير التقى بدافنهيم فى الطريق فقتله لكى يسرقه .

هز بوارو رأسه وقال : - هذا بعيد الاحتمال يا صديقى .. لم يكن فى استطاعته اخفاء الجثة . ولو أنه قتله كما تقول لكانوا قد عثروا عليها الان ، ثم أن الطريقة التى رهن بها الخاتم تثبت انه لم يقتل لكى يحصل عليه .ثالثا : ان النشال نادرا ما يقتل رابعا : طالما أنه كان فى السجن منذ يوم السبت فانها لمصادفة عجيبة أن يتمكن من وصف لوين بكل هذه الدقة .

أومأ جاب برأسه وقال :

- لعلك على حق . ومهما يكن من أمر فانك لن تجد رجلا واحدا بين هيئة المحلفين يصدق كلمة ينطق بها أحد نزلاء السجن السابقين ، وأن الذى استغربه حقا هو أن لوين لم يجد وسيلة أفضل من هذه للتخلص من الخاتم .

هز بوارو كتفيه وقال : - حسنا .. مهما يكن من أمر فلو أننا وجدنا الخاتم فى الانحاء لامكننا أن نعتقد أن دافنهيم هو الذى القاه بنفسه .

فصحت أقول : - ولكن لماذا ينزعونه من أصبع الجثة ؟

فأجاب جاى : - لعل هناك سببا لذلك . هل تعرف ان هناك بابا صغيرا خلف البحيرة يؤدى الى التل ، وأنه على مسيرة ثلاث دقائق من هذا الباب يوجد .. مستودع للجير .

فصحت : - يا الهى ! .. هل تعنى ان الجير يمكن أن يحرق جثة وأنه لا يؤثر على خاتم الذهب .

- هذا ما أعنيه تماما .

قلت : - يبدو لى أن هذا يفسر كل شئ .. يا لها من جريمة بشعة !

تحولنا فى حركة واحدة ونظرنا الى بوارو . بدا مستغرقا فى أفكاره ، مقطب الجبين كما لو كان يبذل مجهودا جبارا لكى يركز ذهنه . وأحسست أخيرا أن عقله سيبرهن على ذكائه ومقدرته . ماذا تكون أولى كلماته ؟ .. ولم انتظر طويلا فقد تنهد بوارو وتراخت عضلات وجهه وخاطب جاب قائلا :

- هل تعرف اذا كان مستر دافنهيم وزوجته يرقدان فى مخدع واحد ؟

بدا لى هذا السؤال فى غير موضعه بصورة غريبة بحيث اننا وقفنا نحملق فيه مشدوهين .. وأخيرا ضج جاب بالضحك وقال :

- يا الهى ! ظننت أنك ستقول لنا شيئا خطيرا يا مسيو بوارو .. وردا على سؤالك هذا أقول لك اننى لا أدرى .

فقال بوارو فى اصرار عجيب : - ولكنك تستطيع ان تعرف ذلك .

- أوه طبعا .. اذا كنت تريد ان تعرف ذلك حقا .

- شكرا لك يا صديقى .. أكون ممتنا لك كثيرا اذا اهتممت بذلك .

حملق جاب فيه بضع دقائق ولكن بوارو بدا انه تسينا نحن الاثنين .

وهز المفتش رأسه فى حزن وتمتم :

- مسكين بوارو .. لقد أثرت فيه الحرب كثيرا . ثم غادر الغرفة فى رفق . واذ القيت بوارو غارقا فى تأملاته . أخذت ورقة وقطعت الوقت فى تدوين بعض الملاحظات . وتنبهت أخيرا على صوت صديقى ، فقد استعاد نشاطه وقال يسألنى فجأة .

- ماذا تفعل يا صديقى ؟

- اننى أدون ما بدا لى من نقاط هامة فى هذه القضية .

فقال بوارو موافقا : - انك عرفت النظام اخيرا .

اخفيت سرورى وقلت :- هل اقرأ لك مادونت ؟

- طبعا .

تنحنحت ثم قلت : - اولا : كل الدلائل تشير الى أن لوين هو الرجل الذى اغتصب الخزانة .

ثانيا : انه يحقد على دافنهيم .

ثالثا : انه كذب فى أقواله الاولى اذ قال انه لم يغادر غرفة المكتب ابدا .

رابعا : اذا اعتبرنا أن بيلى كيليث يقول الحقيقة فلابد ان يدان لوين .

امسكت وسألته لاننى كنت أشعر اننى وضعت أصبعى على الحقائق الحيوية .

- حسنا ؟

نظر بوارو الى فى رثاء ثم هز رأسه فى رفق كبير وأجاب :

- أى صديقى المسكين ! .. لا يمكن ان تقول انك رجل موهوب . انك لا ترى النقطة المهمة أبدا .. ثم ان تعليلك خاطئ .

- وكيف ذلك ؟

- دعنى أفند نقاطك الاربع أولا .

" أول كل شئ لم يكن فى مقدور لوين ان يعرف ان الفرصة ستواتيه لكى يفتح الخزانة فهو قد اقبل لزيارة قصيرة ولم يكن يعرف قبل مجيئه أن مستر دافنهيم سيكون غائبا لكى يسجل رسالة ، وأنه بناء على ذلك سيبقى وحده فى غرفة المكتب .

فقلت : - من الجائز انه انتهز الفرصة .

- والادوات ... ان الناس لا يتجولون وفى جيوبهم أدوات العمل لعل الفرصة تسنح لهم . ولا يمكن استخدام مطواة لفتح هذه الخزانة طبعا .

- حسنا . وثانيا ؟

- قلت أن لوين يحقد على دافنهيم وأظنك تريد أن تقول أنه تفوق على دافنهيم مرتين فى المضاربات . وقد عادت عليه هذه المضاربات بشئ من الربح طبعا وعليه فلا يمكن أن يحقد على رجل تفوق هو عليه .. بل ان الامر كان يجب أن يكون على عكس ذلك .. كان يجب أن يحقد دافنهيم على لوين .

- حسنا . لا يمكن ان ننكر انه كذب فى اقواله الاولى وانه لم يغادر غرفة المكتب ابدا .

- هذا صحيح . ولكن لعل الخوف هو الذى دفعه الى انكار ذلك وتذكر ان ثياب الرجل المختفى وجدت فى البحيرة ، وبالطبع كان الافضل له ان يذكر الحقيقة .

- والنقطة الرابعة ؟

- اننى اوافقك على قولك ، فاذا كانت قصة كيليث حقيقة فان لوين لابد أن يدان هذه النقطة بالذات تجعل القضية على جانب من الاهمية .

- اذن فقد وقفت على نقطة هامة .

- ربما . ولكنك تغاضيت حقا عن أهم نقطتين وهما نقطتان يتوقف عليهما مفتاح القضية كلها .

- وما هما ؟

- أولا : ولع مستر دافنهيم بالحلى والمجوهرات فى السنوات الاخيرة . والثانى رحلته الى بونى ايرس فى الخريف الماضى .

- هل تمزح يا بوراو ؟ .

- بل اننى اجد كل الجد .. آه ! .. اللعنة ! .. ولكن أرجو أن لا ينسى جاب ما طلبته منه .

ولكن المفتش لم ينس شيئا ، فقد رأى ان يساهم فى فرحه بوارو ، وفى نحو الساعة الحادية عشرة جاءت لبوارو ، برقية فضضتها بناء على طلبه وقرأت بصوت مسموع :

" الزوجان يرقد كل منهما فى غرفة منفصلة عن الاخرى منذ الشتاء الماضى " .

وصاح بوارو : - آه .. ونحن الان فى منتصف شهر يونيو .. لقد وضح كل شئ .

واذ نظرت اليه مشدوها قال يسألنى : - أليس لك حساب فى بنك دافنهيم وسالمون يا صديقى ؟

فأجبته وقد ازدادت بى الدهشة : - كلا . لماذا ؟

- لانه لو كان لك حساب فيه لنصحتك بأن تسحب كل أموالك .. قبل أن يفوت الاوان .

- ماذا تتوقع ؟

- اننى اتوقع ان يفلس البنك فى الايام القليلة القادمة .. بل لعله يعلن افلاسه قبل ذلك . وهذا يذكرنى بأنه يجب أن أرد على برقية جاب ببرقية أخرى مجاملة له .

ارجو أن تعطيني ورقة وقلما : " انصحك بأن تسحب كل الاموال المودعة فى البنك المذكور " . ستثير هذه البرقية حيرة جاب وستتسع عيناه .. وستزداد اتساعا .. ولكنه لن يفهم شيئا .. لن يفهم أى شئ حتى غدا صباحا .. أو ربما بعد غد .

ولكنى كنت متشككا فى هذه الناحية . غير انى اضطررت ان ابدى كل تقديرى واحترامى لموهبة صديقى العجيبة فقد صدرت جميع الجرائد فى صباح اليوم التالى وفى صفحاتها الاولى عنوان عن افلاس بنك دافنهيم واتخذ اختفاء المالى الكبير صورة أخرى مختلفة كل الاختلاف على ضوء السجلات الرسمية للبنك .

وبينما نحن نتناول طعام الافطار انفتح الباب واندفع المفتش جاب وفى يده اليسرى ورقة وفى اليمنى برقية بوارو . والقى هذه الاخيرة على المائدة امام صديقى صائحا :

- كيف عرفت يا مسيو بوارو ؟ .. كيف عرفت بحق الشيطان ؟

ابتسم بوارو فى برود وأجاب : - آه يا صديقى .. لقد جاءتنى برقيتك باليقين ، فمنذ البداية بدت لى سرقة الخزانة شيئا عجيبا . حلى ومجوهرات وأوراق بنكنوت وسندات لحاملها .. كل هذا شئ عملى ولكن من الذى يستفيد منه حسنا .. هو هذا الرجل الطيب دافنهيم الذى لا يفكر الا فى نفسه . بدا لى كل شئ كما لو كان مدبرا من اجله هو بالذات تقريبا .. ولعله فى السنوات الاخيرة بالمجوهرات وتهافته ما اسهل ذلك ! .. ان المبالغ التى كان يختلسها كان يحولها الى مجوهرات وما من شك فى أنه كان يستبدلها فيما بعد بمجوهرات زائفة لكن طبق الاصل من المجوهرات الحقيقية . وهكذا وضع فى مكان أمين وتحت اسم آخر اسمه ثروة لا يستهان بها كان ينوى أن يستمتع بها عندما ينسى الناس أمره وبعد أن فرغ من اجراءاته هذه ضرب موعدا لمستر لوين الذى دفعته حماقته الى التفوق عليه مرتين ، ثم أحدث ثقبا فى الخزانة وأصدر تعليماته ليدخلوا زائره المكتب بمجرد قدومه ثم غادر البيت فهل تعرف الى أين ؟

أمسك بوارو ومد يده وتناول بيضة مسلوقة أخرى وعبس قائلا :

– انه لأمر محير حقا . ان كل دجاجة تبيض بيضة مختلفة الحجم عن البيضة التى تبيضها غيرها ، وبهذه الطريقة لا يمكن ان يكون هناك تناسب على المائدة .. ماذا لو تم اختيار كل دستة عند البدال قبل .. فقاطعه جاب فى فروغ صبر يقول : – دعك من البيض .. ودع الدجاجات تبيض بيضها مربع الاشكال اذا شاءت ولكن قل لنا اين ذهب صاحبنا بعد أن غادر القصر .. ذلك اذا كنت تعرف .

– حسنا . انه ذهب الى المكان الذى اختفى فيه .. ان السيد دافنهيم هذا مختل العقل ولكنه مع ذلك يتمتع بذكاء خارق .

– هل تعرف أين يختفى ؟

– طبعا . وانها لبراعة منه حقا .

– قل لنا اذن اين يختفى بحق السماء .

راح بوارو يجمع فى عناية كبيرة قشور البيض ووضعها فى الطبق ثم غطاها بقشرة بيضة فارغة . واذا فرغ من هذه العملية ابتسم مغتبطا ثم نظر الينا وقال :

– هيا يا صديقى .. انكما ذكيان ، فليلق كل منكما على نفسه نفس السؤال الذى القيته أنا ..لو اننى كنت مكان هذا الرجل فأين اختفى ؟ ما رأيك انت يا هاستنجز ؟

– فأجبت : – حسنا .. أظن اننى لا اذهب بعيدا ، بل ابقى فى لندن .. فى قلب المدينة ، اتنقل فى الترام والاتوبيس ، وأراهن ان أحدا لن يعرفنى .. ان حشود الجماهير خير مخبأ طبعا .

تحول بوارو الى جاب مستفهما فقال هذا الاخير : – اننى لا أوافق على هذا الرأى.. لو كنت مكان ذلك الرجل لهربت الى أبعد مكان ممكن على الفور . لو اننى منه لدبرت أمرى منذ وقت طويل فأهرب على سطح يخت بخارى وأمضى الى أبعد بقاع العالم قبل أن يبدأ البحث عنى .

نظر كل منا الى بوارو وسأله جاب :

- ما رأيك أنت يا مسيو بوارو ؟

بقى الرجل القصير صامتا لحظة ثم ابتسم ابتسامة غريبة وقال :

- أما أنا يا صديقى فهل تعرفان أين أذهب اذا أردت الاختفاء عن رجال البوليس؟ اننى أمضى الى السجن .

- ماذا ؟

- انكم تبحثون عن مستر دافنهيم لكى تزجوا به فى السجن ، ولهذا لن يخطر لكم أبدا أن تبحثوا عنه فى السجن بالذات .

- ماذا تعنى ؟

- انك تقول أن مسز دافنهيم امرأة لا تتمتع بقسط كبير من الذكاء ، ومع ذلك فاننى أعتقد انك اذا أخذتها الى السجن وواجهتها ببيلى كيليث فانها ستعرفه على الفور ، فعلى الرغم من أنه حلق لحيته وشاربه وحاجبيه الكثيفين ، وعلى الرغم من أنه قص شعر رأسه وجعله قصيرا فان المرأة تعرف زوجها دائما حتى اذا لم يعرفه الاخرون .

- بيلى كيليث ؟ .. ولكنه معروف من رجال البوليس .

- ألم أقل لك أن دافنهيم رجل ذكى ؟ .. أنه أعد عدته منذ وقت طويل ولم يكن فى بونى ايرس فى الخريف الماضى .. كان يخلق شخصية بيلى كيليث بأن قضى ثلاثة شهور فى السجن حتى لا يتطرق الشك الى رجال البوليس حين يشرع فى تنفيذ خطته . انه كان يقامر بثروة كبيرة الى جانب حريته ، وهما شيئان يستحقان أن يعد العدة من أجلهما فى عناية كبيرة .

- حسنا .

- كان عليه بعد ذلك أن يلبس لحية مستعاره وأن يضع حاجبين مستعارين أيضا وأن يعود الى هيئته الأولى من جديد . والرقاد بلحية مستعارة ليس بالامر الهين فان زوجته ستكتشف أمره بكل تأكيد . ولهذا لم يكن فى مقدوره أن يخاطر ويرقد معها .

وأنت قد أخبرتنى أنه طوال الشهور الستة الاخيرة ، أى منذ عودته من رحلته المزعومة الى بونس ايرس ، وهو وزوجته يرقدان فى مخدعين منفصلين . وما عرفت ذلك حتى تأكدت من الأمر ، فقد تطابق كل شئ . والبستانى الذى خيل له أنه يرى سيده على مقربة من البيت لم يكن مخطئاً ، فقد مضى دافنهيم الى حظيرة القوارب وأخرج ثياب المتشرد ، ولك أن تتأكد أنه أخفاها فى عناية فائقة من وصيفه ثم أغرق ثيابه الأخرى فى البحيرة . وبدأ ينفذ خطته بأن رهن الخاتم بطريقة ملفتة للانظار ثم أعتدى على رجل البوليس وعمل على أن يلقوا به فى السجن حيث لا يخطر لاحد أن يبحث عنه فيه.

فتمتم جاب :

- ولكن هذا محال .

فقال صديقى وهو يبتسم :

- دع مسز دافنهيم تواجهه .

وفى اليوم التالى جاء خطاب مسجل لبوارو فأسرع هذا يفحصه ووجد فيه ورقة مالية من فئة الخمسة جنيهات . وقطب صديقى جبينه وقال :

- آه .. ياللسماء ! .. ولكن ماذا أفعل بها ؟ .. شد ما أنا نادم .. ياالجاب المسكين ! .. آه ، لدى فكرة .. سنذهب لتناول العشاء معا نحن الثلاثة .. فاننى أجد فى هذه الطريقة العزاء ، فان الامر كان سهلا جدا .. وأنا الذى لا يطاوعنى قلبى على أن أسرق طفلا .. ياللسماء يا صديقى ! .. لماذا تضحك هكذا من كل قلبك ؟

***

الفصل العاشر

مغامرة النبيل الايطالى

لى أنا وبوارو الكثير من الاصدقاء والمعارف العاديين ، والدكتور هوكر ، وهو طبيب يسكن بجوارنا وعضو عامل فى مهنة الطب من بين هؤلاء . وكان من عادته أن يهبط لزيارتنا فجأة وعلى غير موعد سابق ويفيض فى الحديث مع بوارو . وكان رجلا صريحا غير متشكك الى أبعد الحدود شديد الاعجاب بمواهب بوارو وهى مواهب لم يكن هو نفسه يتمتع بشئ منها .

وذات مساء من أمسيات أوائل شهر يوليو اقبل فى نحو منتصف التاسعة ، وبدأت بيننا مناقشة طريفة حول كثرة جرائم القتل بواسطة سم الزرنيخ . وكان قد مر على قدومه نحو ربع ساعة حين فتح باب غرفة الجلوس واندفعت منه فتاة بادية الاضطراب وصاحت تقول :

- أوه .. انهم يطلبونك يا دكتور ! .. ياله من صوت ينطق بالخوف والذعر .. لقد انتقل الذعر الى أنا نفسى .

عرفت فى زائرتنا الجديدة المدبرة التى تشرف على شئون بيت الدكتور هوكر . والدكتور نفسه رجل أعزب ويقيم فى منزل قديم قائم يبعد عنا ببضعة شوارع . وكانت مس رايدر ، مدبرة بيته ، امرأة تتصف بالهدوء والرزانة . ولكنها كانت فى هذه اللحظة فى حالة كبيرة من الاضطراب والانفعال .

- أى صوت تعنين ؟ .. صوت من ؟ .. ما الخبر ؟

- كان ذلك فى التليفون يا سيدى . وقد تناولت السماعة فاذا بى أسمع صوتا يقول ، النجدة .. أغثنى يا دكتور .. أغثنى .. انهم سيقتلوننى .. ثم خفت الصوت وساد الصمت فقلت " من الذى يتحدث ؟ .. من الذى يتحدث ؟ .. " وعندئذ جاء الرد.. لم يزد عن الهمس كما بدا لى .. " فوسكاتين " .وشيئا أشبه بريجنتس كورت .

أطلق الدكتور صيحة تعجب وقال :

- الكونت فوسكاتين ! .. انه يقيم فى جناح بفندق ريجنتس كورت .. يجب أن أذهب على الفور .. ترى ، ما الذى حدث ؟

وسأله بوارو :

- اهو من مرضاك ؟

- اننى عالجته من مرض خفيف ألم به منذ بضعة أسابيع ، وهو ايطالى ولكنه يتحدث الانجليزية بطلاقة .. حسنا .أتمنى لك ليلة طيبة يا مسيو بوارو .. هذا إلا إذا..

وتردد فقال بوارو وهو يبتسم :

- اننى أعرف ما يدور فى رأسك ، ويسرنى أن أرافقك . اهبط يا هاستنجز واستدع سيارة أجرة .

وسيارات الاجرة دائما تكون صعبة المنال حين يحتاج المرء الى واحدة منها ، ولكنى استطعت أن أستوقف أحداها أخيرا ، وسرعان ما كنا ننطلق فى طريقنا الى فندق ريجنتس كورت ، وهو يقع على مقربة من شارع القديس جونزوود ، حديث البناء ويضم آخر الرسومات والشعائر الدينية .

لم يكن بالقاعة أحد ، وضغط الدكتور على زر المصعد فى صبر نافذ وحين أقبل المصعد قال يسأل العامل فى حدة :

- المسكن رقم ١١ الكونت فوسكاتين .. سمعت أن حادثا وقع له .

- لم أسمع شيئا من هذا .. ان مستر جريفس حملق الرجل فيه وقال :
وصيف الكونت فوسكاتين خرج منذ نصف ساعة ولم يذكر لى شيئا .
- وهل الكونت وحده فى المسكن ؟
- كلا يا سيدى ، فان لديه اثنين من الزوار يتناولان العشاء معه .
فسألته فى لهفة :
- ما أوصافهما ؟
وكنا فى هذه اللحظة فى المصعد الذى أخذ يرتفع بنا مسرعا الى الدور الثانى حيث تقع الشقة رقم ١٠ .
- اننى لم أرهما يا سيدى ، ولكنى سمعت أنهما أجنبيان .
وفتح الباب الحديدى فخرجنا الى البسطة ، وكانت الشقة رقم ١١ تقع أمامنا . ودق الدكتور الجرس فلم يرد علينا أحد ، ولم نسمع أى صوت بالداخل . وعاد الدكتور فدق الجرس مرة ثانية وثالثة ولكننا لم نسمع غير رنين الجرس بالداخل ، ولم يكن هناك أى دليل على أن هناك حياة خلف الباب . وتمتم الدكتور يقول :
- ان الامر يبدو خطيرا .
وتحول الى عامل المصعد وسأله :
- ألا يوجد مفتاح عمومى لنفتح هذا الباب .
- هناك مفتاح مع البواب بالطابق الارضى .
- إئت لنا به اذن . وأظن أن من الاوفق أن تستدعى رجال البوليس .
هز بوارو رأسه موافقا . وعاد الرجل بعد قليل وبرفقته مدير الفندق . وقال هذا الاخير :
- هلا تفضلتم بافادتى عن معنى كل هذا أيها السادة ؟
- بكل تأكيد . جاءتنى مكالمة تليفونية من الكونت فوسكاتين يقول فيها أنه

هوجم وأنه يحتضر . يجب أن تفهم أنه لا ينبغى أن نضيع دقيقة واحدة أكثر من هذا فقد أضعنا من الوقت ما فيه الكفاية .

أخرج المدير المفتاح من غير أن ينطق بكلمة . ودخلنا جميعا الشقة .

اجتزنا أولا صالة صغيرة مربعة ، وكان هناك على يمينها باب نصف مفتوح أشار المدير اليه وهو يهز رأسه قائلا :

- غرفة الطعام .

تقدمنا الدكتور هوكر ، ومضينا فى أثره ، وما أن دخلنا الغرفة حتى شهقت ، فقد كانت لا تزال فوق المائدة المستديرة التى تتوسط الغرفة بقايا طعام ، وقد دفعت ثلاثة مقاعد الى الخلف مما يدل على أن الجالسين فوقها هبوا واقفين فجأة . وفى ركن من الغرفة ، على يمين الموقد ، كان هناك مكتب كبير يجلس أمامه رجل .. لم يكن غير جثة هامده . وكانت يده اليمنى لا تزال تقبض على جهاز التليفون ، وقد وقع الى الامام وأصيب على أم رأسه بضربة شديدة أصابته من الخلف . أما سلاح الجريمة فلم يكن هناك أى داع للبحث عنه فقد كان هناك تمثال رخامى ترك فوق المكتب على عجل، وقد تلوثت قاعدته بالدم .

ولم يستغرق فحص الطبيب له أكثر من دقيقة قال بعدها :

- جثة هامدة .. لاريب أن الموت كان سريعا ، وانى لأعجب كيف استطاع أن يتكلم فى التليفون . من الأفضل ألا نلمس شيئا الى أن يأتى رجال البوليس .

وقمنا بتفتيش الشقة بناء على اقتراح المدير ولكن النتيجة كانت معروفة سلفا فلم يكن من المعقول أن يختبئ القتلة فى الشقة فى حين كان فى مقدورهم مغادرتها بعد ارتكاب جريمتهم .

عدنا الى غرفة النوم ولم يكن بوارو قد رافقنا فى تفتيشنا للشقة فوجدته يفحص المائدة ، وكانت مصنوعة من خشب الموجنى وتتوسط الغرفة . وكان يفحصها فى

أهتمام شديد . كانت فوق المائدة فازة من الزهور ويغطى المائدة ذاتها مفرش أبيض ذو مربعات وفوقها طبق من الفاكهة وثلاثة أطباق من الحلوى لم تمسسها يد . وكانت هناك ثلاثة فناجين من القهوة بها بقايا بن .. فنجانان كان بهما قهوة من غير سكر والثالث قهوة باللبن . وقد تناول الرجال الثلاثة النبيذ فقد كانت زجاجة النبيذ لا تزال مملوءة الى النصف وتتوسط المائدة . وقد دخن أحدهم سيجارا ، أما الاخران فقد دخن كل منهما سيجارة .. وكان فوق المائدة صندوق مصنوع من الصدف والفضة به بعض السيجار والسجاير .

ورأيت كل هذه الحقائق بنفسى ولكنني اضطررت الى أن أسلم بأنها كلها لا تلقى ضوءا على الموقف . وعجبت ما الذى رآه بوارو فيها لكى يهتم بها كل هذا الاهتمام . وسألته فأجابنى :

– أى صديقى .. انك تسيئ الفهم .. اننى أبحث عن شئ لا أراه .

– وما هو ؟

– هفوة .. حتى ولو كانت تافهة .. من ناحية القاتل .

ومضى فى خفة الى المطبخ الملحق ونظر فيه ثم هز رأسه وقال للمدير :

– هلا أوضحت لى أيها السيد طريقة خدمة الطعام هنا ؟

مضى المدير الى باب صغير فى الحائط وقال :

– هذا هو المصعد الخاص بالخدمة ، وهو يؤدى الى المطابخ فى أعلا العمارة ، فأنت تطلب الطعام بواسطة هذا التليفون الداخلى فترسل اليك الاطباق بطريق المصعد . والاطباق والصحاف القذرة ترسل بنفس الطريقة .. لا داعى للخدم كما ترى ، وفى نفس الوقت تتخلص من مشقة تناول الطعام فى المطعم دائما .

هز بوارو رأسه وقال :

– اذن فالاطباق والصحاف التى استخدمت هذه الليلة موجودة فى أعلا المطبخ ..

هل تسمح لى بأن أصعد هناك .

– أوه ، طبعا . سيمضى بك روبرتس ، عامل المصعد الى هناك ، ولكنى أخشى ألا تجد شيئا يفيدك ، فانهم يستخدمون مئات الاطباق والصحاف ، وستجدها كلها متجمعة هناك .

ولكن بوارو ظل علي رأيه ، فصعدنا معا الى المطابخ وسألنا الرجل الذى تلقى الاوامر من الشقة رقم ١١ فأجاب :

– لقد صدرت الى الاوامر بأعداد طعام لثلاثة أشخاص شوربة خضار وسمك موسى وشرائح من اللحم وأرز محمر فى أي وقت ؟ .. فى تمام الساعة الثامنة .. كلا ، أخشى أن تكون الاطباق والصحاف قد نظفت الان لسوء الحظ ، كنت تفكر فيما عليها من بصمات ، أليس كذلك ؟

فأجاب بوارو وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

– ليس تماما . اننى أهتم أكثر بشهية الكونت فوسكاتين . هل أكل من كل الاطباق ؟

– نعم . ولكنى لا أستطيع أن أقول طبعا أي كمية من الطعام أكل من كل طبق ، فقد كانت الاطباق كلها ملوثة وفارغة فيما عدا طبق الارز المحمر ، فقد بقيت به كمية لا بأس بها .

فقال بوارو : – آه !

وانبسطت أساريره وبدا كأن هذه الواقعة قد ملأته سرورا .

وقال فى صوت خافت ونحن نهبط الى الشقة من جديد : – اننا بازاء رجل دقيق .

– هل تعنى قاتل الكونت فوسكاتين ؟

– ان الكونت كان رجلا يحب الدقة والنظام ، فبعد ان طلب النجدة واعلن عن موته الوشيك اعاد السماعة الى موضعها من جهاز التليفون .

حملقت فى بوارو ، فان كلماته هذه واستفساراته حملتنى الى فكرة نيرة فقلت لاهثا :

- هلا تشتبه فى السم .. كانت الضربة على الرأس للتعمية اذن ؟

فابتسم بوارو مسرورا مغتبطا .

ودخلنا المسكن فوجدنا مفتش البوليس قد أقبل ، وجاء معه رجلان من الكونستبلات . وقد أبدى المفتش أستياءه لوجودنا ولكن بوارو استطاع أن يهدئ خاطره باشارة منه الى صديقنا المفتش جاب بادارة سكوتلانديارد فلم يسعه الا أن يسمح لنا بالبقاء متذمرا . وقد كان من حسن حظنا أن بقينا لانه لم تمض على عودتنا أكثر من خمس دقائق حتى اندفع الى الغرفة رجل متوسط العمر بادى الاضطراب والحزن ، شديد الانفعال .

كان هذا الرجل هو جريفس ، وصيف الكونت فوسكاتين . وكانت القصة التى ذكرها لنا مثيرة حقا .

ففى صباح اليوم السابق أقبل سيدان لزيارة سيده . كانا ايطاليين واكبرهما فى نحو الاربعين وذكر ان اسمه السنيور اسكانيو . اما الشاب فكان رجلا انيقا فى نحو الرابعة والعشرين من عمره .

وكان من الواضح أن الكونت فوسكاتين يتوقع هذه الزيارة لانه ارسل جريفس الى الخارج على الفور ، فى مهمة عادية . وهنا توقف الرجل وتردد فى اعترافه ولكنه لم يلبث ان قال ان الفضول دفعه لمعرفة الحديث الذى يدور فلم يبادر بالانصراف وتباطأ لعله يسمع ما قد يشبع فضوله .

ولكن الحديث الذى دار بين الرجال الثلاثة كان من الخفوت بحيث لم يفلح فى معرفة ما كان يصبو اليه ،. بيد انه سمع ما فيه الكفاية لكى يعلم ان الحديث يدور حول نوع من التعامل النقدى وان اساس هذا التعامل هو التهديد . ولم يكن الحديث

وديا . وفى النهاية رفع الكونت فوسكاتين صوته قليلا وسمعه الوصيف يقول هذه الكلمات فى وضوح :

- ليس لدى من الوقت ما يسمح لى بالمناقشة الان اكثر من هذا أيها السيدان ، واذا أردتما تناول العشاء معى غدا فى الثامنة مساء فسيمكننا استئناف المناقشة .

وخشى جريفس أن يفتضح أمره فأسرع بالانصراف لاداء المهمة التى كلفه بها سيده

وفى مساء اليوم أقبل الرجلان فى الموعد المضروب ، أى فى تمام الثامنة . ودار الحديث أثناء العشاء فى مختلف الامور .. السياسة والطقس والمسرح .. وحين وضع جريفس النبيذ على المائدة واحضر القهوة اخبره سيده انه يستطيع أن ينصرف وأن يقضى السهرة فى الخارج .

وسأله المفتش : - وهل هذا اجراء عادى حين يكون هناك ضيوف ؟

- كلا يا سيدى . انه ليس بالاجراء العادى ، وهذا ما حملنى على التفكير فى بادئ الامر فى انه لابد أن هناك شيئا غير عادى يريد سيدى أن يتناقش فيه مع هذين السيدين .

وهكذا فرغ جريفس من قصته ، فقد انصرف من البيت فى نحو الثامنة والنصف ليلتقى بصديق له وذهب معه الى قاعة المتروبوليتان للموسيقى فى ادجو رود .

ولم ير أى من الرجلين وهما ينصرفان ولكن وقت وقوع الجريمة كان واضحا بما فيه الكفاية .. كان ذلك فى تمام الساعة الثامنة والدقيقة السابعة والاربعين ، فقد كانت هناك ساعة مكتب صغيرة دفعتها يد الكونت فوسكاتين فوقعت وتوقفت عند هذه الساعة ، وهى تتفق مع المكالمة التليفونية التى تلقتها الانسة ريدر ..

وأجرى الطبيب الشرعى فحصه للجثة ، وكانت مسجاة الان فوق الفراش .

ورأيت وجه الكونت فوسكاتين لاول مرة .. بشرة سمراء وأنف طويل وشارب غزير أسود اللون يلمع وشفتين حمراوين مكتنزتين تفتران عن أسنان ناصعة البياض ، وكل

هذه الصفات مجتمعة كانت بعيدة عن الوسامة والجمال .

وقال المفتش وهو يفتح دفتر مذكراته : - حسنا . ان القضية واضحة بما فيه الكفاية . والصعوبة الوحيدة التى تواجهنا هى أن نضع ايدينا على هذا المدعو اسكانيو وأظن ان عنوانه غير مذكور فى دفتر مذكرات القتيل .

ولكن الفقيد فوسكاتين كان رجل دقيقا يحب النظام كما قال بوارو فقد وجدنا فى دفتره هذه الكلمات مكتوبة بخط دقيق واضح : سنيور باولو اسكانيو بفندق جروسفينور .

وأسرع المفتش الى التليفون ثم عاد الينا ثانية وهو يغتصب ابتسامة وقال :

- اننى تكلمت فى الوقت المناسب فان رجلنا كان يهم باللحاق بالقطار المنطلق الى كونتيتونج . حسنا أيها السادة . هذا كل ما نستطيع عمله هنا . انها مسألة بغيضة ولكنها واضحة بما فيه الكفاية .. من الجائز أن تكون جريمة انتقام ايطالية ومن الجائز ألا تكون كذلك .

وكان هذا إيذانا بانصرافنا فهبطنا ومعنا الدكتور هوكر وهو فى غاية الانفعال فقد قال :

- انها لأشبه برواية ، أليس كذلك ؟ .. مادة حقيقية مثيرة لن تصدقها ابدا لو قرأتها .

ولم ينطق بوارو . كان قد غرق فى تفكير عميق ولم يفتح شفتيه الا غرارا طوال الليلة . وسأله هوكر وهو يربت بيده على ظهره :

- ماذا يقول سيد المخبرين ؟ .. ألم تهتد الى شئ ؟

- بل اهتديت طبعا .

- وما هو اذن .

- حسنا .. هناك النافذة على سبيل المثال .

- النافذة ؟ .. ولكنها كانت مغلقة ولا يمكن لأحد أن يخرج عن طريقها ، وقد تأكدت من ذلك بنفسى .

- ولماذا لاحظت هذه الواقعة بالذات ؟

بدت الحيرة على وجه الدكتور وأسرع بوارو يقول : - اننى انما اشير الى الستارة . كانت مسدلة تماما ، وهذا غريب . بعض الشئ ، أليس كذلك ؟ .. ثم كانت هناك القهوة .. وهى قهوة من غير سكر .

- حسنا ؟ .. وما الغرابة فى ذلك .

فعاد بوارو يقول : - من غير سكر .. واذا ربطنا هذا بالقدر اليسير جدا الذى تناوله فوسكاتين من الارز المحمر فماذا نجد ؟

ضحك الطبيب وقال : - الحق اننى لا ادرى .. انك تثير اهتمامى .

- اننى لا أمزح .. وهاستنجز يعلم تماما اننى اتكلم بكل الجد .

فقلت : - ولكنى لا اعلم الصلة بين هاتين الواقعتين . لعلك لا تشتبه فى الخادم . مهما يكن من أمر فلعله مشترك مع العصابة ولعله قد دس مخدرا ما فى القهوة.. أعتقد أنهم سيتحرون عن المكان الذى كان فيه وقت ارتكاب الجريمة .

من غير شك يا صديقى . ولكن مكان وجود السنيور اسكانيو وقت ارتكاب الجريمة هو الذى يهمنى .

- هل تظن ان لديه ما يثبت انه كان بعيدا عن مكان ارتكاب الجريمة ؟

- هذا هو ما يزعجنى بالذات . ولا أشك فى اننا سنجلو هذا الغموض وشيكا .

وقد أتاحت لنا جريدة الديلى نيوز مولجر أن نتناقش فى هذه الظروف . فقد القى القبض على السنيور اسكانيو بتهمة قتل الكونت فوسكاتين . وحين ألقى القبض عليه أنكر أنه يعرف الكونت وأدعى انه لم يكن موجودا بفندق ريجنتس كورت لا فى ليلة الجريمة ولا فى الليلة السابقة لها . أما الشاب فقد اختفى كلية . وقد أقبل السنيور

اسكانيو بمفرده الى فندق جوسفينفور قادماً من الخارج قبل ارتكاب الجريمة بيومين . وباءت كل المحاولات التي بذلت للاهتداء الى الشاب الاخر .

ومع ذلك فلم يقدم السنيور اسكانيو للمحاكمة ، فقد اقبل السفير الايطالى بنفسه وشهد فى قسم البوليس بأن اسكانيو كان معه فى السفارة من الساعة الثانية مساء حتى التاسعة من تلك الليلة . واطلق سراح السجين ، وقد اعتقد جمع كبير بأن الجريمة لها طابع سياسي طبعا وسرعان ما أسدل عليها ستار النسيان .

وقد اهتم بوارو بكل هذه النقاط كل الاهتمام . ومع ذلك فقد دهشت بعض الشئ حين ابلغنى ذات صباح انه يتوقع زائرا فى الساعة الحادية عشرة وان هذا الزائر ما هو الا اسكانيو نفسه .

- هل يريد استشارتك ؟

- ابدا يا هاستنجز . بل انا الذى أريد ان اتبادل الحديث معه .

- فى أى شئ .

- فى جريمة فندق ريجنتس كورت .

- هل ستثبت انه هو الذى ارتكبها .

- لا يمكن ان يحاكم مرتين فى جريمة قتل واحدة يا هاستنجز يجب أن تكون ذكيا . آه . ها هو ذا صديقنا يدق الجرس .

وبعد بضع دقائق دخل السنيور اسكانيو ، وكان رجلا قصير القامة نحيل الجسم تنبعث من عينيه نظرات غامضة .وبقى واقفا وهو ينقل بصره بيننا فى شئ من الشك .

- مسيو بوارو ؟

ربت صديقى بيده على صدره فى رقة وقال : - تفضل بالجلوس يا سنيور . هل وصلتك رسالتى ؟ .. اننى قررت ان اجلو الغموض حول هذه المسألة ويمكنك ان تساعدنى فى أضيق الحدود .. دعنا نبدأ اذن .. انك ذهبت أنت وصديق لك لزيارة

الكونت فوسكاتين فى صباح يوم الثلاثاء التاسع من ..

أتى الايطالى بحركة تدل على الغضب وقال : - لم أفعل شيئا من هذا القبيل .. اننى أقسمت فى المحكمة .

- تماما .. وعندى فكرة صغيرة بانك حنثت فى يمينك .

- هل تهددنى ؟ .. ياه ! .. ليس هناك ما أخشاه منك ، فقد برئت ساحتى .

- هذا صحيح . وانا لست غبيا ولهذا لا أهددك بالمشنقة ولكن بالدعاية الدعاية ! ارى انك لا تحب هذه الكلمة ، وقد خطر لى انك لن تحبها فعلا .. وآرائى غالية كما تعلم وعزيزة .. تكلم يا سنيور فان فرصتك الوحيدة هى ان تكون صريحا معى . اننى لا اسالك عن الاسباب التى دعتك الى المجئ الى انجلترا فاننى أعرفها جيدا فانك اتيت لكى ترى الكونت فوسكاتين بالذات .

فزمجر الايطالى : - انه لم يكن كونتا .

- اننى تحققت من أن اسمه لا يظهر فى دليل الأشراف والنبلاء ولكن هذا لا يهم.. ان لقب كونت له أكبر الفائدة فى مهنة التهديد وابتزاز المال .

- أعتقد أنه يجب أن أكون صريحا معك فيبدو لى أنك تعرف الشئ الكثير .

- اننى استخدمت المنطق لمعرفة الكثير . تكلم يا سنيور اسكانيو ..

انك ذهبت لزيارة القتيل فى صباح يوم الثلاثاء .. أليس كذلك ؟

- نعم . ولكنى لم اكن هناك ابدا فى اليوم التالى ، فلم يكن هناك داع لذلك . سأقول كل شئ فان بعض المعلومات التى تتصل بشخصية كبيرة فى ايطاليا وصلت الى هذا النذل وقد طلب مبلغا كبيرا ليرد بعض المستندات . وقد قدمت الى انجلترا لتسوية هذه المسألة واتصلت به ليضرب لى موعدا فى ذلك الصباح . وكان الكونت أكثر تعقلا مما ظننت على الرغم من أن المبلغ الذى دفعته له كان مبلغا جسيما .

- معذرة .. كيف تم دفعه ؟

- اوراقا نقدية ايطالية صغيرة يصعب الاهتداء اليها . وقد جمعتها من هنا وهناك بناء على طلبه ، وسلمنى الاوراق المدينة بعد ذلك ، ولم أره ابدا بعد هذا .

- ولم لم تذكر هذه الحقائق حين القى القبض عليك ؟

- فى موقفى الدقيق اضطررت الى انكار اى تعامل مع هذا الرجل وكيف تظن أن الحوادث قد جرت فى تلك الليلة اذن ؟

- اعتقد ان شخصا ما استعار اسمى ، ولكنى سمعت انهم لم يعثروا على المال فى الشقة .

نظر بوارو اليه ثم هز رأسه وتمتم :

- هذا غريب ! .. ان لكل منا عقلا ولكن القليل منا يعرف كيف يستخدمه .

طاب يومك يا سنيور اسكانيو ، اننى أصدق قصتك فهى كما تخيلتها تماما ، ولكن كان يجب أن أتأكد .

وبعد أن شيع ضيفه عاد بوارو الى مقعده ونظر الى مبتسما وقال :

- دعنا نسمع الان رأي الكابتن هاستنجز فى هذه القضية .

- حسنا .. اظن ان اسكانيو على حق .. شخص ما استعار اسمه .

- لن تعرف ابدا ان تستخدم عقلك الذى وهبك الله اياه .. تذكر الكلمات القليلة التى نطقت بها فى تلك الليلة .. اننى تكلمت عن الستائر المسدلة التى لم .. اننا فى شهر يونية وما يزال النهار منيرا فى الثامنة ، والظلام لا يحل الا بعد نصف ساعة فهل لهذا معنى ؟ .. اننى أعتقد انك سوف تصل ذات يوم الى شئ . اما الان فدعنا نستمر.. كانت القهوة من غير سكر كما قلت ، وكانت أسنان الكونت فوسكاتين بيضاء ناصعة والقهوة تصبغ الاسنان ، ونفهم من هذا ان الكونت لم يتناول أي قهوة ، ومع ذلك فقد كانت هناك بقايا قهوة فى فناجين ثلاثة ، فلماذا الادعاء بأن الكونت شرب قهوة فى حين انه لم يشرب .

هززت رأسى وانا فى أشد الحيرة .

- هيا .. سأساعدك . أى دليل هناك على أن اسكانيو وصديقه أو أى رجلين آخرين انتحلا صفتهما جاءا الى الشقة في تلك الليلة " .. لم يرهما أحد وهما يأتيان ولم يرهما أحد كذلك وهما ينصرفان . لدينا شهادة رجل وحشد من الحقائق الجامدة " .

- هل تعنى .

- اعنى الشوك والسكاكين والاطباق والصحاف الفارغة . آه ولكنها كانت فكرة تدل على الذكاء ، ان جريفس لص ونذل ولكنه رجل يحب النظام . انه يسمع فى الصباح جزءا من الحديث يكفى لكى يتحقق من ان اسكانيو سيكون فى موقف يستطيع ان يدافع فيه عن نفسه . وفى الليلة التالية ، فى نحو الثامنة مساء يقول لسيده ان هناك من يطلبه على التليفون . ويجلس فوسكاتين ويمد يده ليمسك السماعة فيضربه جريفس من الخلف بالقاعدة الرخامية ثم يسرع بعد ذلك الى التليفون الداخلى ويطلب طعام العشاء لثلاثة أشخاص ويأتى الطعام فيجلس أمام المائدة ويلوث جميع الاطباق والسكاكين والشوك ولكنه يحاول التخلص من الطعام كذلك ، وهو ليس برجل يتمتع بالذكاء فحسب ، بل انه يتمتع بمعدة قوية ذات مقدرة جبارة ، ولكن بعد أن يلتهم طعام ثلاثة اشخاص يتعذر عليه ان يأكل الارز كله . ويدخن بعد ذلك سيجارة أو سيجارتين لكى يعتقد الجميع بوجود الزائرين حقا . آه .. ولكنه كان عملا رائعا . ثم يحرك بعد ذلك عقرب الساعة الى الثامنة والدقيقة السابعة والاربعين . ويحطم الساعة فتتوقف . والشئ الوحيد الذى غفل عنه هو انه لم يسدل الستائر . فانه اذا كان هناك عشاء فى تلك الليلة حقا فان الستائر كان يجب ان تسدل بمجرد هبوط الليل . ويسرع بعد ذلك الى الخارج ذاكرا لعامل المصعد أن هناك زائرين ، ويمضى الى التليفون فى نحو الساعة الثامنة والدقيقة السابعة والاربعين على قدر المستطاع ويطلب الدكتور وهو يقلد صوت سيده المحتضر . وهكذا تنجح حيلته بحيث لا يشك أحد أن المكالمة قد

جرت خارج الشقة رقم ٢ فى تلك الليلة .

- قلت متهكما :

- فيما عدا بوارو طبعا .

فقال صديقى وهو يبتسم :

- ولا حتى هرقل بوارو . اننى أقوم بالتحرى الان يجب ان اثبت لك نظريتى أولا وسوف ترى .. سأكون على حق . اننى اتصلت بجاب واطلعته على نظريتى هذه وسيلقى القبض على جريفس المحترم بمجرد ان يتحقق من ذلك ، وانى لاعجب كم انفق من النقود !

وكان بوارو على حق ، وهو دائما على حق .. لعنة الله عليه !

* * *

الفصل الحادى عشر

الوصية المفقودة

الواقع ان المعضلة التى جاءتنا بها الانسة فيوليت مارسن احدثت تغييرا طريفا وخرجت بنا عن عملنا المعتاد ، فقد بعثت برسالة مقتضبة الى بوارو ، أشبه برسائل رجال الاعمال تسأله فيها ان يحدد لها موعدا لمقابلته . وقد أجابها بوارو يدعوها لزيارته فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى .

واقبلت فى الموعد المحدد ، وكانت امرأة شابة طويلة القامة . جميلة ترتدى ثيابا بسيطة محتشمة ينطق كل ما فيها بالثقة بالنفس والجد والمثابرة وتوطيد العزم على النجاح فى الحياة . وانا لست من المعجبين بذلك النوع من النساء الذى اصطلح الجميع على تسميته بالمرأة الحديثة ولهذا فاننى لم اشعر بأى ميل نحوها .

وبدأت تقول بعد أن جلست على المقعد الذى قدمه اليها بوارو :

- ان قضيتى ذات طابع خاص يا مسيو بوارو .. ولكن من الاوفق ان ابدأ من البداية وان اذكر لك كل شئ .

- تفضلى يا آنسة .

- اننى يتيمة . وكان أبى أحد ابنين لفلاح عادى فى ديفونشير ، وكانت المزرعة التى يملكها جدى صغيرة لا تدر شيئا يذكر ، ولهذا فقد هاجر أندرو ، الابن الاكبر الى استراليا ، وكان سعيدا وقد نجح فى عمله واصاب ثروة كبيرة بفضل مضارباته فى

البورصة . اما الابن الأصغر ، روجر ، وأعنى به أبى فلم يشعر بأى ميل الى الفلاحة واستطاع ان يظفر بحظ من التعليم مكنه من الحصول على عمل كتابى فى شركة صغيرة . وتزوج بامرأة من طبقة تعلوه بقليل . وكانت أمى ابنة فنان فقير . ومات أبى حين بلغت السادسة من عمرى . وعندما بلغت الرابعة عشرة لحقت أمى به فى قبره . ولم يعد لى فى الحياة غير عمى اندرو ، وكان قد عاد من استراليا منذ قليل واشترى له بيتا صغيرا فى موطنه يعرف باسم " قصر كرابترى " . وكان كريما نحوى فأخذنى للاقامة معه وعاملنى كما لو كنت ابنته حقا .

وقصر كرابترى ، على الرغم من اسمه الرنان ما هو فى الواقع الا مزرعة عتيقة . وكان عمى شغوفا بالفلاحة يجرى حبها فى دمه ، وقد أظهر اهتماما كبيرا . بعدة تجارب زراعية ، وعلى الرغم من انه كان سخيا معى فقد كان رجعيا عقيما فى افكاره فيما يتعلق بتربية النساء . ولم يكن قد أصاب حظا كبيرا من التعليم ولكنه يتمتع بذكاء عجيب ولا يؤمن بكتب العلم ويعارض بصفة خاصة تعليم النساء . كان من رأيه ان الفتيات يجب أن يتعلمن أصول التدبير المنزلى وصناعة منتجات الالبان وكل ما يفيد البيت بدلا من تحصيل العلم . وكان هذا هو البرنامج الذى اعده لى وقد ضايقنى ذلك وازعجنى كل الازعاج وثرت على هذا الوضع صراحة فقد كنت اتمتع بذكاء كبير ولا أشعر بأى ميل للاعمال المنزلية . واتسع النقاش بينى وبين عمى فى هذا الموضوع وعلى الرغم من أن كلا منا كان متعلقا بالاخر فقد تمسك كل منا برأيه . وكان من حسن حظى اننى فزت بمنحه دراسية واستطعت ان افعل ما اريد الى حد ما . ووقعت الازمة حين قررت الذهاب الى جامعة جيرتون . وكنت املك قدرا من المال تركته أمى فعقدت العزم على أن استفيد من الموهبة التى منحنى الله اياها . وتجادلت مع عمى للمرة الاخيرة ووضعنى امام الامر الواقع فقال لى اننى قريبته الوحيدة على قيد الحياة وانه كان يريد ان يجعل منى وريثته الوحيدة . وهو كما قلت لكما ثرى جدا .. قال لى اننى

اذا تمسكت برأى واصررت على تلقى العلم فلا يجب ان انتظر منه شيئا وبقيت على موقفى وقلت له فى أدب كبير اننى شديدة التعلق به ولكننى اريد ان افعل بحياتى ما اريد . وافترقنا على هذه الكلمات " تحسبين أنك ذكية يا ابنتى . اننى لم أتلق نصيبا من التعليم ولكنى سأقارع ذكائى بذكائك ذات يوم وسنرى عندئذ ما يكون " .

كان ذلك منذ تسع سنوات ، وقد ذهبت لقضاء عطلة نهاية الاسبوع لديه مرارا كثيرة ، وبقيت علاقتنا على أحسن ما يكون على الرغم من انه لم يغير رأيه . ولم يشر الى الجامعة أو الى حصولى على الشهادة اطلاقا . وتدهورت صحته فى السنوات الاخيرة ومات منذ شهر واحد .

وأصل الان الى سبب زيارتى لك ، فقد خلف وصية من أشد الوصايا غرابة جاء بها أن قصر كرابترى وكل ما فيه يؤول الى ويظل تحت تصرفى لمدة عام واحد ابتداء من وفاته . وفى هذه الاثناء تستطيع ابنة اخى الذكية ان تثبت ذكاءها ، واذا انقضت هذه المدة وظهر ان ذكائي أقوى وأشد من ذكائها فان البيت وكل ما فيه ، وكذلك الثروة الكبيرة ، كل هذا يؤول الى جمعيات خيرية مختلفة .

– هذا امر بالغ القسوة بالنسبة لك يا آنسة خاصة وانك قريبة مستر مارسن الوحيدة .

– اننى لا انظر الى الامر من هذه الناحية ، فقد حذرنى عمى بما فيه الكفاية واخترت طريقى بمحض اختيارى ، ومادمت قد رفضت الانصياع لرغباته فقد كان له مطلق الحرية فى أن يترك ثروته لمن يريد .

– هل قام أحد المحامين باعداد الوصية ؟

– كلا . بل حررها هو بنفسه على استمارة مطبوعة شهد عليها رجل وزوجته يقومان بخدمته .

– اليس من الجائز الاعتراض على مثل هذه الوصية ؟

- اننى لا أفكر حتى فى الاقدام على مثل هذه الخطوة .

- انت تنظرين اذن الى الامر على انه تحد رياضى من جهة عمك ؟

- هو ذلك .

قال بوارو فى تفكير : - فى مقدورنا تفسير هذا الامر على هذه الصورة . ان عمك قد اخفى فى هذا القصر إما مبلغا كبيرا من المال أوراقا مالية وإما وصية جديدة وأعطاك مهلة سنة تستطيعين فيها استخدام ذكائك للعثور عليها .

- تماما يا مستر بوارو . وقد قصدتك الان اعترافا منى بان ذكاءك سيكون أقوى وأشد من ذكائى .

- جميل منك هذا القول يا آنستى . اننى اضع موهبتى رهن أمرك . ولكن الم تحاولى البحث من ناحيتك .

- قمت ببحث سطحى ولكنى أقدر ذكاء عمى حق قدره بحيث أعلم أن البحث عن هذه الوصية لن يكون بالعمل اليسير .

- هل معك هذه الوصية أو صورة منها ؟

ناولته مس مارسن المستند عبر المائدة وقرأه بوارو وهو يحدث نفسه :

- حررت منذ ثلاث سنوات .. ومؤرخه بتاريخ ٢٥ مارس وقد ذكر الوقت الذى حررها فيه .. ولهذا معناه ، فهو يضيق حقول البحث . ومن المؤكد أن هناك وصية أخرى يجب ان نبحث عنها وصية حررت بعد نصف ساعة مثلا تلغى هذه . حسنا يا آنسة .. هذه قضية طريفة تدل على ذكائك اذ أتيت بها الى ويسرنى أن أجلوها لك ، من المسلم به أن عمك رجل موهوب ولكنه لا يستطيع أن يبرز ذكاء هرقل بوارو .

وبدا لى حينئذ ان غرور بوارو قد فاق كل حد حقا .

ولحسن الحظ انه ليس هناك ما يشغلنى فى الوقت الحاضر ، وسأذهب انا وهاستنجز الى قصر كرابترى الليلة . الا يزال الرجل الذى كان يقوم على خدمة عمك موجودا هو

و زوجته .

– نعم وهو يدعى بيكر .

***

طلع علينا صباح اليوم التالى ونحن فى قصر كرابترى وكنا قد وصلنا فى الليلة السابقة وكانت مس مارسن قد ارسلت برقية لمستر بيكر وزوجته تخبرهما فيها بقدومنا فخفا لاستقبالنا وهما زوجان طيبان هادئان .. الرجل كثير العقد مجعد الوجه كتفاحة ذابلة والزوجة مكتنزة الجسم تتميز بالهدوء الذى يتسم به أهالى ديفونشير .

وكنا قد تعبنا من رحلتنا ومن الاميال الثمانية التى تفصل المحطة عن القصر فمضينا الى الفراش على الفور بعد أن تناولنا عشاء مكونا من لحم الدجاج وحلوى التفاح والكريم وقد فرغنا لتونا من تناول طعام الافطار الشهى وجلسنا فى غرفة مزينة بالالواح الخشبية الجميلة كان مستر مارسن يتخذها مكتبا له ، تضم مكتبا متوازى الاضلاع له غطاء دوار تغطيه أكداس من الاوراق ، ومقعد جلدى كبير يدل شكله على أنه كان المكان المفضل لاستراحة مستر مارسن ، وأمام الحائط المواجه أريكة كبيرة منجدة بالقماش المطبوع ، والمقاعد المنخفضة المصفوفة تحت النوافذ كانت منجدة هى الاخرى بنفس القماش المطبوع .

وقال بوارو وهو يشعل احدى سجائره الرفيعة : – حسنا يا صديقى .. يجب ان نضع خطة للعمل . اننى القيت على البيت نظرة عامة ، ومن رأيى انه اذا كان هناك أى شئ فسوف نجده فى هذه الغرفة بالذات يجب ان نفحص الاوراق الموجودة فوق المكتب فحصا دقيقا وافيا واننى لا اتوقع ان اعثر على الوصية بينها طبعا ، ولكن قد نهتدى الى ورقة بريئة تضم بين كلماتها ما يدلنا على المكان المخبوءة به الوصية . ولكن يجب ان نحصل على بعض المعلومات أولا . أرجوك ان تدق الجرس .

وفعلت كما طلب منى . وراح بوارو يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا فى انتظار

قدوم مستر بيكر ، وهو ينظر حوله فى استحسان .

- ان مستر مارسن هذا رجل دقيق يحب النظام . ان الاوراق منسقة وعلى كل مجموعة منها بطاقة مميزة ، وكل مفتاح من مفاتيح الادراج مزود ببطاقة عاجية وكذلك مفتاح الفترينة الزجاجية التى بجوار الحائط ، والاوانى الصينية التى بداخلها منسقة ومرتبة بشكل يريح النفس .. ان هذا يسر القلب حقا .. لا شئ هنا يخدش النظر .

وأمسك فجأة ، فقد وقعت عيناه فى هذه اللحظة على مفتاح المكتب نفسه وقد ثبت فيه ظرف قذر . وعبس بوارو وسحب المفتاح من الدرج ، وكان مكتوبا على الظرف هذه الكلمات " مفتاح المكتب المتوازى الاضلاع " . فى خط معقد يختلف تماما عن الخط العادى الواضح .

وقال بوارو مقطبا : " هذه اشارة غريبة استطيع ان اقسم اننا نفتقد هنا شخصية مستر مارسن . ولكن من غيره كان فى البيت .. مس مارسن فقط ، وهى ايضا اذا لم أخطئ شابة دقيقة تحب النظام .

وجاء بيكر ردا على رنين الجرس .

- هل لك ان تبحث عن زوجك لكى تردا على بعض الاسئلة ؟

انصرف بيكر وعاد بعد دقائق قلائل مع مسز بيكر وهى تمسح يديها فى مئزرتها وتبتسم ابتسامة عريضة .

وفى كلمات قلائل واضحة اوقفهما بوارو على مهمته . وتعاطف آل بيكر معه على الفور .. وقالت المرأة :

- اننا لا نريد ان نرى الانسة فيوليت تجرد مما هو حق لها ، وانه لمما يدعو الى الاسف ان تؤول هذه الثروة الى المستشفيات .

ويدأ بوارو استجوابه لهما نعم ان مستر ومسز بيكر يذكران جيدا انهما وقعا على الوصية بصفتهما شاهدين وقد ارسل مستر مارسن بيكر قبل ذلك الى المدينة المجاورة

للحصول على استمارتين مطبوعتين من استمارات الوصايا .

وسأله بوارو في حدة : - استمارتين ؟

- نعم يا سيدى . وأظن انه فعل ذلك بدافع الحرص اذا اتفق وتلفت احداهما ، وهذا ما حدث فعلا فاننا وقعنا على واحدة .

- كم كانت الساعة عندئذ ؟ .

حك بيكر رأسه ولكن زوجته كانت أسرع منه فقالت : - كان ذلك فى الساعة الحادية عشرة ، بعد أن وضعت اللبن فوق النار مباشرة لاعداد الكاكاو . الا تذكر ؟ .. لقد فاض اللبن عن الوعاء حين عدنا الى المطبخ .

- وبعد ذلك ؟

- بعد ساعة من ذلك عدنا مرة أخرى وقال لنا مستر مارسن اننى اخطأت ومزقت الاستمارة الاولى . سأضايقكما مرة أخرى لكى توقعا على هذه الاستمارة الثانية . وبعد أن وقعنا عليها أعطانا مبلغا ضخما من المال وقال :

- اننى لم اترك لكما شيئا فى الوصية ولكما فى كل سنة اعيشها مبلغ مماثل لكى تستعينا به على المعيشة بعد موتى وهذا ما قد حدث .

وقال بوارو :- ماذا فعل مستر مارسن بعد ان وقعتما على الاستمارة الثانية ؟ .. هل تعرفان ؟

- ذهب الى القرية ليسدد فواتير التجار .

لم يكن هناك ما يشجع حتى هذه اللحظة وقام بوارو بمحاولة أخرى فبسط مفتاح المكتب وسأل : - هل هذا خط سيدك .

ولعل كان ذلك وهما منى ، ولكن خيل لى أنه مرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يرد بيكر ويقول : - نعم يا سيدى .. انه خطه .

وقلت احدث نفسى :- انه يكذب . ولكن لماذا ؟

- هل اجر سيدك البيت لأحد ؟ .. هل أقام به شخص غريب اثناء السنوات الثلاث الاخيرة .

- ألم يأته زوار ؟

- لم يأته احد غير الآنسة فيوليت .

- الم يدخل أى رجل غريب هذه الحجرة أبدا ؟

- كلا يا سيدى .

وتدخلت زوجته فقالت تذكره : - انك نسيت العمال يا جيم .

فتحول بوارو اليها وقال : - العمال ؟ .. أى عمال ؟

وقالت له المرأة موضحة انه منذ نحو سنتين ونصف أقبل بعض العمال الى البيت للقيام ببعض الاصلاحات . ولم تستطع ان تحدد نوع هذه الاصلاحات ولكنها تعتقد ان المسألة كلها كانت نزوة من سيدها وأنه لم يكن هناك أى داع لها . وقد قضى العمال فترة من الوقت فى غرفة المكتبة ولكنها لا تستطيع أن تقول ماذا فعلا بها لان السيد لم يدعها تدخل هى أو زوجها غرفة المكتبة فى اثناء ذلك . ولسوء الحظ أنها لا هى ولا زوجها يذكر أن اسم الشركة التى ينتمى اليها العمال لانهم أقبلوا من مدينة بليموث .

وقال بوارو وهو يدعك يديه فى حين كان آل بيكر يغادران الغرفة :- اننا نتقدم يا هاستنجز . من الواضح انه حرر وصية أخرى ثم استدعى العمال من مدينة بليموث ليقيموا له مخبأ لهذا الفرض . وبدلا من اضاعة الوقت وحفر الارضية والتنقيب بين الجدران سنذهب الى بليموث .

وبعد قليل من المتاعب والمشقة استطعنا أن نحصل على ما نريد من معلومات . وبعد محاولة أو محاولتين وجدنا الشركة التى اتفق معها مستر مارسن .

كانت الشركة تحتفظ بالعمال الذين تستخدمهم منذ سنوات طويلة . وكان من

الميسور لنا أن نهتدى الى العاملين اللذين قاما بالعمل لدى مستر مارسن ، وقد تذكرا العمل الذى قاما به بالتحديد . فبين أعمال كثيرة مختلفة رفعا طوبة من طوب المدفأة القديمة واقاما تحتها تجويفا ثم أعاداها مكانها بعد أن أزالا منها جزءا ، وقد تم ذلك بحيث لا يمكن أن يلحظ أحد ما حدث . وقالا أنه يكفى أن نضغط على الطوبة من طرفها فتتحرك بحيث يتسنى لنا أن نرفعها تماما من مكانها . وكان ذلك العمل دقيقا خاصة وأن الرجل العجوز كان شديد الاهتمام به . وكان المتكلم رجلا اسمه كوجان ، وهو رجل طويل القامة نحيل الجسم له شارب مجعد تبدو عليه مخائل الذكاء .

وعدنا الى قصر كرابترى ونحن شديدا الاغتباط واغلقنا علينا باب غرفة المكتب وبدأنا نتحقق من القصة التى سمعناها . وكان من المتعذر أن نرى أية علامة فوق قوالب الطوب ولكننا حين ضغطنا على القالب المشار اليه كما قيل لنا تحرك ورأينا أنه يخفى وراءه تجويفا عميقا .

دس بوارو يده فى التجويف فى لهفة . وتغيرت ملامح وجهه على الفور فاختفت علامات الغبطة والسرور وحلت محلها امارات الاستياء فقد أخرج يده وبها قطعة من الورق أتت النيران على نصفها .

وصاح بوارو محنقا : - يا الهى ! .. لقد سبقنا بعضهم !

وفحصنا قطعة الورق فى شئ من الجزع . كان من الواضح أنها قطعة من الوصية التى نبحث عنها فقد ظهر بها جزء من توقيع بيكر ، ولكن لم يكن بها أى اشارة الى النصوص التى كانت تضمها الوصية .

وافترش بوارو الارض . ولولا الاستياء والارهاق لبدا شكله مضحكاً . وتمتم يقول بين اسنانه : - اننى لا افهم .. من الذى أتلف الوصية ؟ .. وماذا كان غرضه ؟

فأوعزت أقول : - آل بيكر .

- لماذا ؟ .. ان أيا من الوصيتين ليست فى صالحهما . ومن صالحهما البقاء مع

الانسة فيوليت مارسن أكثر مما لو أصبح القصر مستشفى ، فمن الذى يستفيد من اتلاف الوصية ؟ .. ان المستشفيات تستفيد طبعا .. ولكن لا يمكن لاحد أن يشتبه فى هذه المؤسسات .

فقلت :- ربما غير الرجل العجوز رأيه واتلف الوصية هو نفسه .

نهض بوارو واقفا ونفض الغبار عن ركبتيه بكل عناية كعادته دائما وقال :

- هذا جائز . مرة أخرى تنطق باحدى ملاحظاتك المعقولة يا هاستنجز . حسنا .. اننا لم نعد نستطيع أن نقوم بأى عمل ، فقد بذلنا كل ما يمكن لمخلوق أن يبذله . لقد أثبتنا اننا أكثر فراسة وذكاء من مستر مارسن ولكن لسوء الحظ لم تستفد مس مارسن من ذلك .

ومضينا الى المحطة رأسا ، ولحقنا بقطار كان يهم بمغادرة المحطة منطلقا الى لندن ، وان لم يكن قطارا سريعا . ولم يكن بوارو راضيا . أما انا فكنت متعبا فانتحيت ركنا حيث غلبنى النعاس وفجأة ، بينما القطار يوشك أن ينطلق من محطة تونتون أطلق بوارو صيحة داويه وقال :

- أسرع هاستنجز .. اصح واقفز .. أقول لك اقفز .

وقبل ان أعرف ما أفعل رأيت نفسى واقفا على رصيف المحطة عارى الرأس والقطار يبتعد عنا فى جوف الليل حاملا حقائبنا معه . وكنت محنقا . أما بوارو فلم يعرنى اهتماما وقال : - ما كان أغبانى ؟ .. كنت شديد الغباء .. لن اتشدق بعد اليوم بذكائى .

فقلت متذمرا : - ما أجمل أن يكون هذا ! .. ولكن هل لك أن توضح لى الامر ؟

وكعادته حين يتتبع فكرة طرأت له لم يعرنى أى اهتمام واستطرد يقول :

- فواتير التجار .. اننى اغفلت هذه النقطة .. نعم ! ولكن أين ؟ .. لا يهم .. لا يمكن ان أكون مخطئا .. يجب أن نعود على الفور .

ولكن القول كان أسهل من التنفيذ ، فلم نستطع الحصول إلا على قطار ذاهب الى اكستر فقط ، ومن هناك استأجر بوارو سيارة وعدنا الى قصر كراتيرى مع تباشير الصباح . والتجاوز عن دهشة بيكر وزوجته حين ايقظناهما . ولم يلتفت بوارو الى أى منهما بل اسرع رأسا الى غرفة المكتب وقال :

- لم اكن غبيا فحسب يا صديقى .. بل كنت أغبى الاغبياء .. والآن انظر .

وسار رأسا الى المكتب وأخرج المفتاح وانتزع الظرف القذر منه . وحملقت فيه فى غباء وانا لا أستطيع أن أفهم كيف يأمل أن يجد وصية كبيرة فى هذا الظرف الصغير.. وفى اهتمام كبير فتح الظرف من كل نواحيه ثم بسطه ، وأشعل نارا بعد ذلك وعرض سطح الظرف الداخلى عليها ، وما هى الا دقائق قلائل حتى بدأت الحروف تظهر .

وصاح بوارو فى انتصار : - انظر يا صديقى .

ونظرت . كانت هناك بضعة سطور من الكتابة الباهتة تقول فى ايجاز إنه يترك كل شئ الى ابنة أخيه فيوليت مارسن . وكان مؤرخا بتاريخ ٢٥ مارس فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد الظهر وموقعا عليه من البيرت بايك الحلوانى وزوجته جيسى بايك .

وتمتمت مشدوها : - ولكن هل هذا عمل قانونى ؟

- بقدر ما أعرف ليس هناك قانون ضد تحرير وصية بحبر سرى ، أن نية الموصى واضحة والمستفيد هو قريبته الوحيدة الباقية على قيد الحياة . ولكن يا لذكائه ! .. انه توقع سلفا كل الخطوات التى قد يتخذها الباحث .. وهى الخطوات التى اتخذتها انا ويا لغبائى ! لقد حصل على استمارتين للوصايا وجعل الخادم وزوجته يوقعان مرتين ثم خرج معه وصيته المكتوبة داخل ظرف قذر وقلم يحتوى على حبر سرى ، وبصورة ما أفلح فى أن يجعل الحلوانى وزوجته يوقعان باسميهما تحت توقيعه ثم ثبت المظروف بالمفتاح وضحك بينه وبين نفسه . فاذا اكتشفت ابنة أخيه حيلته الصغيرة فإنها سوف

تبرر بذلك اختيارها لمجرى حياتها وتطور تعليمها وتستطيع بذلك أن تحصل على ثروته..

فقلت فى بطء : - ولكنها لم تكتشف حيلته . أليس كذلك ؟ .. هذا ظلم ! .. ان الرجل العجوز ربح حقا .

- كلا يا غاستنجز .. ان ذكاءك قد ضل .. ان الانسة مارسن أثبتت منتهى الذكاء وحق النساء فى التعليم بأن وضعت المشكلة بين يدى . أستخدم الخبير دائما .. وقد اثبتت حقها فى الثروة بجدارة .

واننى أتساءل .. أتساءل حقا ماذا يكون رأى اندرو مارسن فى ذلك ؟

***

تمت بحمد الله

مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الاستاذ / محمد عبد المنعم جلال

جريمة فى العراق

العميل السرى

أدلة الجريمة

اختطاف رئيس الوزراء

قتيل فى المترو

الرسائل السوداء

التضحية الكبرى

ذكريات

سر التوأمين

جريمة ممثلة

اللغز المثير

القاتل الغامض

جريمة فوق السحاب

الجريمة المعقدة

المتهمة البريئة

الجريمة الكاملة

مغامرات بوار…

الساحرة

ابواب القدر

القضية الكبرى

المكتب العربى للنشر والتوزيع
مكتبة معروف اخوان
اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨٢٨ - ٨١
القاهرة - ٤٣ ش ... - ت : ٥٧٤٣٦١١